

# رسالة القلم

## إسلامية ثقافية شاملة

السنة الثانية . العدد السابع . رجب الأصب ١٤٢٧ هـ . أغسطس ٢٠٠٦ م

V

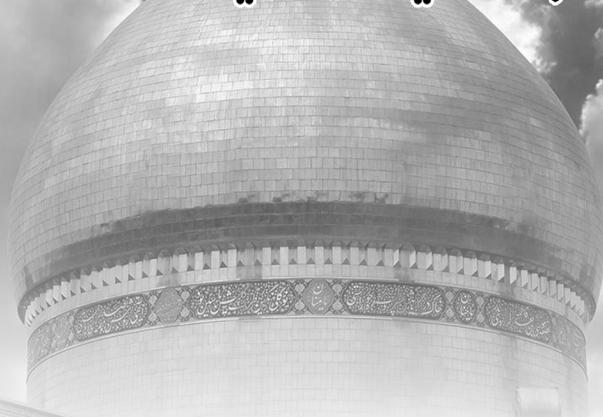
- ◆ القرآن الكريم .. حوار مع السيد محبي الدين المشعل
- ◆ كتمان الأسرار في نظام الخلقة وصفات الخلق
- ◆ الإمامة .. مقامات وأدوار
- ◆ رسالة في الإخلاص
- ◆ هل سعى الأنمة الأطهار لإقامة الحكومة الإسلامية؟
- ◆ قراءة العينيين في ترجمة الصيمريين

رسالة  
القلم

Resalat Alqalam

# رسالة القمر

## إسلامية ثقافية شاملة



فصلية تصدر عن  
طلاب البحرين في الحوزة العلمية  
بمدينة قم المقدسة

برعاية  
مكتب البيان للمراجعات الدينية



- المشرف العام والمدير المسؤول:  
عبد الله علي الدقاقي
- رئيس التحرير:  
علي أحمد الكريابادي
- مدير التحرير:  
علي أحمد الجفيري
- هيئة التحرير:  
فاضل عبد الجليل الزاكي  
جعفر عبد المهدى شهاب  
سعيد حسن المادم



# كتابات

- ٥ القرآن الكريم  
حوار مع سماحة السيد محيي الدين المشعل
- ١٨ الإعجاز القرآني (القسم الأول)  
عادل عبد الحسين الهنان
- ٣١ بحوث موضوعية في العقيدة الإسلامية  
قصي الشيخ علي العربي
- ٦٨ الشفاعة في المنظور الإسلامي  
موسى جعفر حسن
- ٨٢ كتمان الأسرار في نظام الخلقة وصفات الخلق  
عبد الله علي البناء
- ٩٤ الإمامة.. مقامات وأدوار (القسم الثاني)  
علي أحمد الكربابادي
- ١٠٦ كيف ندخل المدخل الكريم الذي وعد به الله؟  
علي عبد الحسين البني
- ١١٤ رسالة في الأخلاق  
السيد ياسين السيد قاسم الموسوي
- ١٣٤ هل سعى الأئمة الأطهار لإقامة الحكومة الإسلامية؟  
حسن عبد الله القصاب
- ١٤٣ قرة العينين في ترجمة الصيمريين  
فاضل عبد الجليل الزاكى
- ١٧٧ مدرسة الإمام الراحل  
علي المسترشد



## نَبَّهَ عَبْرَتِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

آيةٌ من آيات الله.. وما أدرك ما آيات الله! ثم ما أدرك ما آيات الله!!  
ألا يتسائل أحدٌ عن فعل الأمر هذا ﴿نَبَّئِ﴾ أهو ظاهرٌ في الوجوب أم لا؟!  
ومن هو المخاطب به؟ وهل أنه على لسان (إياكِ أعني واسمعي يا جارة)؟  
وإذا كان كذلك فما هو تكليف الأمة بجاه هذا الأمر؟ وما هو تكليف  
علمائها ودعاتها؟! تساؤلٌ ليس إلا..

تلك آيةٌ من ذلك الكتاب الذي يشيد حرفه حصوناً للأمة، ويقودها إلى  
حيث السلامة والنجاة. وهل السلامة إلا أن تقول للناس بوجودك ونبضك  
ولحظات عيونك أن الله هو الغفور الرحيم. هو الرحمن. هو الغفار. هو  
الحبيب، وهو القريب. وهو التواب. وهو الجيب.. أن تشعر الناس بحب الله  
لهم. وعطفه عليهم. وأنه أحنى عليهم من الأم الرؤوم.

ذاك هو الشق الأول من سبيل الوصول. وأما الشق الثاني فهو الخوف  
في قوله تعالى ﴿وَأَنَّ عَذَابِيْ هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ تلك هي طريقة السماء،  
فكن بشيراً، وكن نذيراً، ليسيرا الناس على جادة الخوف والرجاء فهي جادة  
الوصول.

(ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه، من لم يقنط الناس من رحمة الله  
ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يرخص لهم في معاصي الله).

ليس صحيحاً أن نبني علاقتنا مع ربنا على أساس الحسابات العقلية  
المجافة فقط. فكتابه كتاب عقل، وهدایة، ونور، وشوق، وقرب، وسعى،  
ووصول.. ففيه وفي آياته مسرح للقلوب التي تذوب ولها حينما تسمع

في الآية المباركة مَنْ عظِيمٌ من قَبْلِ اللَّهِ عَلَىٰ عَبادِهِ حِيثُ أَضَافُهُمْ  
إِلَيْهِ إِلَى يَائِهِ فِي قَوْلِهِ ﴿عَبَادِي﴾، فَهَلْ يَنْتَظِرُ الْحُبُّ وَالْمُشْتَاقُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ  
لِيَتَوَجَّهَ إِلَى مَحْبُوبِهِ وَيَدْعُوهُ وَيَنْاجِيهِ؟!

لنقل للناس بأن الله (يقبل اليسيير) بدل أن نصدهم عن دعائه ومناجاته بتلك التهويلات وأنه سبحانه لا يستجيب إلا بشروط ليس لها إلا أهل الله، نعم (لا يقبل الله عز وجل دعاء قلب لاه) ولكن أي له ويشتمع مع افتقار الإنسان في حاجة ملحة من حاجات حياته وأمور معيشته التي تأسر فكره، لتكن حاجتك صغيرة، ول يكن انقطاعك بحسبك، فالله لا يرد عباده وهو الذي يقبل اليسيير ويعفو عن الكثير.

يا من يقبل اليسيير ويغفو عن الكثير. اقبل مني اليسيير واعفُ عنِي  
الكثير إنك أنت الرحيم الغفور.

رئيس التحرير

# القرآن الكريم

## حوار مع سماحة السيد مكيه العين المشهـل

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلوة والسلام على أفضـل الخلق والمرسلـين،  
محمدٌ وآلـه الطـاهـرـين، الـهـادـيـن للـهـ، الـمـلـغـيـن رسـالـاتـهـ.

القرآن، اسمُ لكتابٍ له موقعهُ الخاص عند المسلمين، في فكرهم، في عاطفتـهم، في عقـيدـتهمـ، في كـيانـهمـ كـكلـ، وله مـدلـولـهـ الخـاصـ عندـ غـيرـهـ. ولهـ فيـ التـارـيخـ مـحـلـ. كـتـبـتـ حـولـهـ الـكـثـيرـ منـ المؤـلـفـاتـ، وصـنـفـتـ لـعـلـومـهـ المـصـنـفـاتـ، لـكـنهـ يـبـقـيـ الـكـتـابـ الـمـعـلـومـ الـجـهـولـ، فـكـثـيرـ مـنـ يـعـرـفـ شـكـلـهـ وـاسـمـهـ وـرـبـاـ قـرـاءـةـ سـطـورـهـ، فـهـوـ ذـاكـ الـكـتـابـ الـمـشـهـورـ الـمـتـدـ تـارـيـخـهـ إـلـىـ أـكـثـرـ مـنـ أـلـفـ وـأـرـبـعـمـائـةـ عـامـ، لـكـنـ، كـثـيرـ لـاـ يـعـرـفـ مـاـ هـوـ؟ وـلـمـذـ؟ وـكـيفـ يـتـعـالـمـ مـعـهـ؟

وـمـاـ أـحـوجـنـاـ إـلـىـ مـعـرـفـةـ وـاستـشـارـةـ إـجـابـاتـ هـذـهـ الـأـسـلـئـةـ، فـقـدـ نـظـنـ أـنـنـاـ نـعـرـفـهـاـ، لـكـثـرـةـ مـاـ كـتـبـتـ عـنـهـ بـالـتـفـصـيلـ، لـكـنـنـاـ قـدـ نـغـفـلـ عـنـهـاـ مـعـ تـراـكـمـ الشـوـاغـلـ، أـوـ لـأـنـهـاـ مـخـبـوـةـ فـيـ طـيـ الـكـتـبـ الـمـطـنـبـةـ، أـوـ لـأـنـاـ نـتـعـالـمـ مـعـهـاـ بـبـدـيـهـيـةـ حـتـىـ يـطـبـقـ عـلـيـهـاـ السـيـانـ، فـتـكـونـ مـرـكـونـةـ فـيـ رـفـوفـ مـلـفـاتـ الـمـعـلـومـاتـ الـقـدـيـةـ فـيـ حـافـظـتـنـاـ، فـلـاـ نـحـسـ بـأـهـمـيـةـ الـقـرـآنـ الـذـيـ نـتـعـالـمـ مـعـهـ لـأـنـنـاـ نـسـىـ وـنـغـفـلـ عـنـهـ، مـاـ هـوـ؟ وـمـاـ مـوـقـعـهـ؟ وـكـيفـ نـتـعـالـمـ مـعـهـ؟

لـذـلـكـ كـانـ هـذـاـ حـوـارـ مـعـ أـحـدـ السـادـةـ الـأـفـاضـلـ مـنـ الـحـوزـةـ الـعـلـمـيـةـ الـمـقـدـسـةـ، الـمـهـتـمـيـنـ وـالـمـتـخـصـصـيـنـ فـيـ مـجـالـ الـقـرـآنـ وـعـلـومـهـ، وـلـهـمـ باـعـ فـيـ أـمـورـهـ.

- سماحة السيد محيي الدين المشعل، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

● ما هو القرآن؟ وعماذا يتكلم؟

■ بسم الله الرحمن الرحيم، أتصور بأن أفضل تعريفٍ يمكنه أن يستوعب القرآن الكريم هو تعريف القرآن نفسه، حيث يشير في كثير من الآيات إلى أن القرآن كتابٌ هدىً، كتابٌ إخراجٌ من الظلمات إلى النور، نجد ذلك مثلاً في قوله تعالى ﴿الْمَذِكُورُ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ﴾، فهو هدىً، وفي آيةٍ أخرى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدَىٰ لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، فلذلك نجد بأن أشمل تعريفٍ للقرآن بأنه كتابٌ للهداية، ولذلك حتى الآيات التي تتحدث عن الشمولية في القرآن مثلاً ﴿وَلَقَدْ ضَرَبَنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾، أيضاً تشير للقضايا التي ترتبط بالهداية.

أي ظاهرةٍ تحدث عنها القرآن، ربما تحدث عن ظواهر كونية، تحدث عن ظواهر نفسية، تحدث عن ظواهر اجتماعية، المدف من منها كلها هو تحقيق هذه الغاية، غاية الهداية، هذا هو أشمل تعريفٍ للقرآن الكريم من خلال القرآن نفسه.

كذلك نجد أن كلمات النبي ﷺ تدل على هذا المعنى، وكلمات أهل البيت علیهم السلام أيضاً وكلمات أمير المؤمنين علیه السلام بالخصوص تدل على هذا المعنى، نهجٌ أو كتابٌ لا يصل نهجه، يعني من يسلكه ومن يسير على منهاجه.

● عرّفتم القرآن وقلتم هو شموليٌّ، يشمل مواضيع الهدایة، لكن القرآن يتناول مواضيع تفصیلیة، وكأنها رئیسیة في القرآن، فعمّا يتکلم القرآن؟

■ هذه المواضیع التي تحدث عنها القرآن وقلنا بأنّ الظاهره الأساسیة التي تجمعها هي الهدایة، يمكن أن نجملها في الخطوط العامة التي نقرؤها في سورة الفاتحة، أعني في المبدأ والمعاد وما بينهما وهو الرسالة وما يرتبط بها، لذلك نجد أن الفاتحة تتحدث عن هذه المخاور الثلاثة، تتحدث عن المبدأ و هو الله سبحانه وتعالى و توحیده و صفاتـه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذه إشارة إلى التوحيد وما يرتبط به، لكنها إشارة إجمالية، ثم بعد ذلك تتحدث عن المعاد ﴿مَا لِكَ يَوْمَ الدِّين﴾ أيضاً إشارة إجمالية إلى المعاد.

وأيضاً تتحدث عما بينهما وهو بعث الأنبياء ﷺ، وإنزال الكتب وهو ﴿إِنَّا هَدَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الذي هو الخط الذي جسده الأنبياء ﷺ، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم﴾ وأتباع الأنبياء ﷺ، ﴿عَิْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الْظَّالِمِينَ﴾ الذين واجهوا الأنبياء ﷺ، فإذاً، هذه المبادئ الثلاثة أو هذه العناوین الرئیسية الثلاثة، التي اختصرتها سورة الفاتحة نجد تفاصيلها في السور الأخرى، وتلك الأمثل، وتلك القصص وتلك الشواهد المختلفة، تمثل تفصیلاً لكل هذه المرتكزات الإجمالية.

● عادةً ما يرتبط اسم القرآن بالإسلام، في الكتابات، في الأبحاث، في المحافل العلمیة المختلفة، و حتى في المحافل غير الإسلامیة، فماذا يمثل القرآن في العقيدة والمنظومة الإسلامیة؟

■ يمثل على مستوىً عقائدي، دلیل النبوة، بناءً على أن القاعدة العقائدیة في إثبات النبوة وإثبات الرسالة ضرورة وجود المعجز.

الآن نحن نتحدث من جانب عقائدي، من جانب كلامي، وهو أنه قد اتفق علماء الكلام على أن الذي يدعى منصباً إلهياً لابد أن يأتي بعجز لا يقدر عليها غيره، فالقرآن الكريم على مستوى عقائدي يمثل الإعجاز على رسالة النبي ﷺ خصوصاً أن بقية المعجزات لم تصل إلينا والتي شاهدها من كان معاصرأ له ﷺ، هذه لم تصل إلينا وإنما نقل القرآن بعضها من قبيل انشقاق القمر مثلاً، فلذلك نقول على مستوى عقائدي يمثل القرآن دليل النبوة ودليل الرسالة، ولذلك لا يزال القرآن يمثل معجزاً وللبحث عن إعجازه حديث خاصٌ.

- وليس العكس، كما يظن البعض أننا ثبت أن محمدًا ﷺ رسولٌ وثم ثبت أن القرآن رسالته؟
- لا، أصل الرسالة عند تعاملنا معها تمثل الدعوى، والدعوى تحتاج إلى الدليل، فحينئذ لا يمكن أن يكون الدليل هو الدعوى، والدعوى هي الدليل، الدعوى هي هذا المنصب الإلهي، الذي يقول فيها رسول الله ﷺ يا أيها الناس إنني رسول الله إليكم، إذن، أنت تدعى أنك مُرسَلٌ من قبل الله تبارك وتعالى، فما هو دليلك؟ فتختلف الأدلة، كما قلنا إن بعض الأدلة كانت معاصرة لرسول الله ﷺ ولم يعاصرها الجيل الذي جاء من بعده والأجيال الأخرى، فيحتاجون إلى شيءٍ خالدٍ مستمرٍ يثبت رسالة النبي ﷺ ونبيته فيكون القرآن الكريم هو معجزته، هذا على مستوى عقائدي، وهناك مستوى عقلي أيضاً، وهو حكم العقل بأن كل من يدعى دعوى يحتاج إلى إثباتها، مهما اختلفت مستويات ووسائل الإثبات.

هناك جهةٌ معرفيةٌ، وهي أن القرآن الكريم يمثل مصدراً للمعرفة، للمعرفة الدينية بالدرجة الأولى على أساس أنه يتحدث عن الدين في تفاصيل كثيرة من آياته الشريفة وهذه التفاصيل حينما نأخذها تمثل قواعد ونظمًا تفصيليةً للدين. فهناك جهةٌ عقائديةٌ وجهةٌ معرفيةٌ، نعم قد يكون هناك نوعٌ من التفصيل المعرفي، ولكن هذا يحتاج إلى أشخاصٍ خاصين، يحتاج إلى النبي ﷺ وأهل البيت علية السلام، لأننا نجد في بعض الروايات بأن الإمام الصادق علية السلام يقول: (ما من أمرٍ يختلف فيه اثنان إلا وله أصلٌ في كتاب الله عز وجل)، لكن من يستطيع أن يستخلص هذا الحكم من كتاب الله ويستخرجه؟ هذا يتجلّى في أنسٍ خاصين، نعم قد يتمكن جماعةٌ من استخراج معارف لم يتمكن من قبلهم من استخراجها وهذا نراه جليًّا، فنرى علماءً قد استبطوا قواعد في حركة التاريخ مثلاً، وجاء علماءً واستبطوا قواعد في تغيير المجتمع، وهكذا كلما تطورت معارف الناس يمكن من خلال هذه المعرفة أن نحاور القرآن ونستنبطه لاستخرج الجانب التفصيلي للمعارف، ولكن بشكلٍ أساسيٍ هو يمثل المصدر للمعرفة الدينية.

- القرآن رسالةٌ كما أوضحتُم، هذه الرسالة موجهةٌ لمن؟ لل المسلمين فقط؟ أم لفئةٍ معينةٍ من الناس؟ أم مطلقةٌ لجميع البشرية؟
- من الواضح بعد الرجوع إلى القرآن الكريم أنه لا يختص بجماعةٍ، **﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ إِسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾**، هو نازلٌ للجميع **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًىٰ لِّلنَّاسِ﴾** وليس للمؤمنين، نعم يستفيد منه المؤمنون أكثر من غيرهم **﴿وَبَيْنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْقُرْآنَ﴾** لجماعةٍ خاصةٍ **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَبَّ فِيهِ هُدَىٰ لِّلْمُتَّقِينَ﴾** يعني المرتبة الراقية والمتميزة من المهدية يختص بها من اهتدى بالقرآن **﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادُهُمْ هُدًىٰ﴾**، **﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًىٰ**

ولكن في أصل أطروحة القرآن وفي أصل نزوله ﴿وَأُوحِيَ عَلَيْهِ هَذَا الْقُرْآنُ وَشَفَاءٌ﴾، ولكن في أصل أطروحة القرآن وفي أصل نزوله ﴿وَأُوحِيَ عَلَيْهِ هَذَا الْقُرْآنُ وَشَفَاءٌ﴾، وكان القرآن يمثل رسالةً وحجةً لكل من بلغ ووصل إليه لِلْنُورِ كُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ، وكان القرآن يمثل رسالةً وحجةً لكل من بلغ ووصل إليه هذا القرآن.

- إذن كيف نفسر توجه الخطاب القرآني إلى فاتٍ مختلفٌ؟ مثلاً يتوجه الخطاب أحياناً إلى (المؤمنين) ، و (الكافرين) ، و (الناس) ، و (أهل الكتاب)، و(نساء النبي ﷺ)، ... ) وفتاتٍ أخرى.
  - هذا يدل على الشمولية، لاحظ، هذا التعدد في الخطاب كاشفٌ عن الشمولية، فهو كما يخاطب نساء النبي ﷺ يخاطب أهل الكتاب كما يخاطب النبي ﷺ، يخاطب الناس كما يخاطب، وهكذا، والآيات الأخرى التي فيها خطابٌ عامٌ مثلاً ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، كثيرٌ من الآيات فيها ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، كثيرٌ من الآيات مثلاً تقول هكذا للناس ﴿الرَّحْمَةُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ يَأْذِنُ رَبِّهِمْ﴾ لاحظ، لتخرج الناس، إجمالاً، فحينئذ يمثل القرآن خطاباً عاماً، نعم هناك آياتٌ قد تخاطب أناساً مخصوصين، وذلك لظرفٍ خاصٍ وظرف النزول، ولكن هذا بحسب ما دلت عليه روایات النبي ﷺ وروايات أهل البيت ع وتطبيقاتهم لهذه الآيات بأن الآية لا تختص بمخصوص من نزلت فيه وهو ما يعرف بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، أو أن المورد لا يخص الوارد فحينئذ، نستكشف أن القرآن الكريم وإن كان خطابه خاصاً إلا أنه يريد الأعم من هذا الخطاب.

- إذا كان القرآن رساله شاملة غير خاصة ببعض الناس تخاطب

البشرية جماء، هناك مسألةٌ، هذه الدعوى التي يدعى بها القرآن بأنه للبشرية جماء، لكن هناك مسألةٌ يكثر طرحها هذه الأيام، وهي أنه إذا كانت هذه رسالةً عامةً لكل الناس، فهل للكل أن يفهمها؟

■ طبعيًّا جداً، ونحن نقول بأن القرآن لغته لغة الفطرة، صحيحٌ هو جاء بلسانٍ عربيٍ مبينٍ حتى يفهمه الأشخاصُ الذين يتعامل معهم الرسول ﷺ فهماً جيداً، ولكن الحقائق التي جاء بها القرآن حقائق فطرية، القرآن جاء بالتوحيد كأسى وأجلى حقيقةٍ وهي حقيقةٌ فطريةٌ، لا شك في أن الفطرة تدعوا إلى التوحيد، جاء بالتسامي، جاء بالحسن العقلي، كثير من القضايا، أمر بالعدل والعدل قضيةٌ عقليةٌ، أمر بالإحسان، أمر بمحاربة الأخلاق بشكلٍ عامٍ، وهي أمور يتفق العقلاً ويتوافقون على حسنها ومدح فاعلها، ونهى عن قبائح الأفعال والصفات ومذمومها كالظلم والمنكر والباطل مثلاً وهذه أيضاً يتواتأ العقلاً عليها.

فلذلك نقول بأن القرآن لغته لغة الفطرة وطبيعة خطاب الأنبياء عليهما السلام بشكلٍ عامٍ، كما يقول أمير المؤمنين ع: (ويثروا لهم دفائن العقول)، العقول فُطرت على التوحيد وفُطرت على كل حَسْنٍ، وعلى حب كل جيلٍ وذم وبغض كل قبيحٍ، وبالتالي هذه العقول تحتاج إلى استثارة وإلى نحوٍ من التحفيز كما قال الأمير ع، مما علينا إلا أن نترجم معاني القرآن، ويمكن أن تترجم إلى أي لغةٍ وهو حاصلٌ بالفعل، فالنتيجة هي أن القرآن لما كان كتاباً يتحدث بلغة الفطرة؛ فالفطرة السليمة يمكن أن تفهمه ومن أراد أن يتعمق في القرآن الكريم يمكنه أن

يُتَعْرَفُ عَلَى قَوَاعِدِ هَذِهِ الْلُّغَةِ وَبِالْتَّالِي يُكَنَّهُ أَنْ يَتَعَامِلُ تَعَامِلًا مُبَاشِرًا مَعَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ وَمَنْ لَمْ يَصُلْ إِلَى حَقَائِقِهَا فَيُمْكِنُ أَنْ يَتَعَامِلُ مَعَ التَّرْجِمَةِ فَلَا إِشْكَالٌ.

● إِذْنَ هَنَاكَ مَسْتَوَيَاتٍ فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

■ هَذَا بَحْثٌ أَخْرَى، مَسْأَلَةُ الْمَسْتَوَيَاتِ، نَحْنُ تَارَةً نَتَحَدَّثُ عَنْ مَطْلُوبِيَّةِ الْفَهْمِ وَأَنَّهُ لَا شُكَّ وَلَا رِيبٌ فِي أَنْ كُلَّ إِنْسَانٍ يُرِيدُ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى الدِّينِ أَوْ عَلَى الْإِسْلَامِ إِمَّا فَهْمًا مُبَاشِرًا مِنْ خَلَالِ كُونِهِ ابْنًا لِلْلُّغَةِ، أَوْ فَهْمًا غَيْرَ مُبَاشِرٍ مِنْ خَلَالِ كُونِهِ يَتَعَاطِي مَعَ تَرْجِمَةِ هَذِهِ الْمَعْانِيِّ، هَذَا بَحْثٌ.

الْبَحْثُ الْآخَرُ أَنَّهُ عَلَى صَعِيدِ الْلُّغَةِ الْوَاحِدَةِ هَنَاكَ مَسْتَوَيَاتٌ، تَارَةً نَتَحَدَّثُ عَنْ الظَّاهِرِ الْقُرْآنِيِّ أَيْضًا، فَرِبَّما تَخْتَلِفُ الْأَفْهَامُ فِيهِ، وَمَثَالُنَا عَلَى ذَلِكَ عِنْدَمَا جَاءَ أَبَانُ وَسَلَّمَ الْإِمَامَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حِينَمَا سُأَلَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى «وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا» فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (يَعْنِي أَنْقَذَهَا مِنْ حَرِيقٍ أَوْ غَرْقٍ)، فَقَالَ لَهُ أَخْرَجَهَا مِنْ ضَلَالٍ إِلَى هُدَىٰ؟ قَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ذَلِكَ تَأْوِيلُهَا الأَعْظَمُ)، يَعْنِي هَنَاكَ مَسْتَوَيَاتٌ فِي فَهْمِ الْخُطَابِ وَتَلَكَ تَخْتَلِفُ بِالْخَتْلَافِ بِالْمُخْتَلَفِ صَفَاءَ النَّفْسِ، كَمَا عَبَرَ الْقُرْآنُ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ نُورٌ، وَالنُّورُ هُوَ الظَّاهِرُ بِنَفْسِهِ وَالظَّاهِرُ لِغَيْرِهِ.

حِينَمَا تَكُونُ نَفْسِيَّةُ الْمُتَعَالِمُ مَعَ الْقُرْآنِ أَكْثَرُ صَفَاءً وَأَكْثَرُ شَفَافِيَّةً فَيُكَوِّنُ اسْتِنبَاطَهُ مِنَ الظَّاهِرِ مُخْتَلِفًا عَنِ الْغَيْرِ، كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إِنَّهُ لِي نَظَرٌ إِلَى الْغَيْبِ مِنْ سَرِّ الْقِرْيَقِ)، كَانَ أَبْنَ عَبَاسٍ يَرِى الْآيَاتِ مِنْ سَرِّ الْقِرْيَقِ،

يعني كأنها تمثل وضوحاً تماماً عنده، هذا من جهة الظاهر، وهناك بحث في الباطن أيضاً، ويكون الحديث فيه، هل يمكن لأي أحدٍ أن يفهمه أم أنه وقف على أهل البيت عليه السلام وبعض أهل الله المخلصين؟

- هل لغير الطالب الحوزوي إمكانية تعلم القرآن والتفسير مثلاً وما ربط العلوم الأخرى كالفقه والأصول وعلم الكلام وغيرها بالقرآن؟ قلتم قبل قليل إن هناك أدوات وبعض الأمور التي إذا أراد الإنسان أن يتبحر في القرآن لا بد أن يتعلمها، فهل هي مقصورة على الطالب الحوزوي أم لا؟
- القرآن الكريم كتاب للناس، وهذا يعني أن الناس عندهم قدرة على فهمه، ولكن الآن نحن بما أننا لسنا أهل اللغة العربية، فاللغة العربية كانت موجودة عند العرب العاربة الذين نزل القرآن في بيئتهم وبلغتهم، نحن نحتاج لأن نتعرف على قواعدها، وهذا لا يختلف فيه طالب الحوزة مع غيره، فإذا أراد أي طالب أن يعرف القرآن وظواهر القرآن لا بد أن يعرف اللغة وقواعدها، وبطبيعة الحال كلما زاد تعمقه في اللغة وزادت إحاطته بعلوم اللغة نتج عن ذلك إحاطة أكبر بفهم الخطاب القرآني، نعم هناك علوم متعددة كلما أحاط بها الباحث كان لها أثر على فهمه للقرآن، مثلاً هناك العلوم الخاصة بالقرآن الكريم التي تُعرف بعلوم القرآن، وكثير منها لها ارتباط بفهم القرآن كالعام والخاص مثلاً الذي قد نجده بشكل مفصل في علم الأصول، المطلق والمقييد، الجمل والمبنين، هناك محكم ومتتشابه.

هذه أمور حينما يطلع عليها الباحث تزداد قدرته على التعاطي مع القرآن، يعني

ذكر علماء علوم القرآن إن المفسر الذي يريد أن يقدم تفسيراً للقرآن مثلاً، يقولون هذا يحتاج إلى خمسة عشر أو ستة عشر علماً، منها مثلاً علم البلاغة بأقسامه المختلفة المعاني البيان والبديع، النحو، علم الصرف، علم اللغة، المعاجم والمفردات، علوم الأصول والحديث والدرایة والفقه، ذكروا ما يقرب من خمس عشرة علم، لكن مع ذلك نقول الآن قد يحتاج المفسر إلى أكثر منها. الآن قد يحتاج إلى أن يحيط ببعض العلوم العقلية مثلاً، وقد يحتاج إلى أن يحيط ببعض العلوم الأخلاقية مثلاً، يحتاج للدخول إلى بعض العلوم الاجتماعية، إلى بعض العلوم النفسية، وبشكل عامٌ، كلما ازدادت ثقافة المفسر وازدادت دائرة معرفته وعلمه بالعلوم والثقافات المختلفة، سيوفق و يكون له وبالتالي تأثيرٌ كبيرٌ على ما ينتجه من تفسير.

ألا ترى ما أنتجه العالمة الطباطبائي قُدْسَهُ؟ لا شك أن معرفته الفلسفية وعمق دخوله في البحوث العقلية أثر على نضج ما أنتجه من تفسير، أقول هذا لمن أراد أن يفسر، لكن من أراد أن يفهم الفهم الأولي، فقد لا يحتاج إلى هذه المنظومة العلمية والمعرفية لفهم النص، يعني هناك كثيرٌ من الناس قد يفهم أوليات اللغة ومن ثم يتمكن أن يفهم لا أقل مستوىً خاص من القرآن الكريم وهذا متيسرٌ لكل من يعرف اللغة ويفهم قواعدها الأولية.

- بعد الكلام عن القرآن وموقعيته في المنظومة الإسلامية، وإمكانية فهمه من قبل الناس، ننتقل إلى بعض ما يتعلق بالمجتمع والقرآن. في نظركم هل يهتم المجتمع الإسلامي اليوم بالقرآن الكريم كما يجب؟
- أنا أقول دائماً بأننا نحتاج إلى استبيان لفهم هذه الحالة، نسأل الناس أنهم بأي

مقدارٍ يتفاعلون مع القرآن؟ بأي مقدارٍ يقرؤونه؟ بأي مقدارٍ يتذمرون فيه؟ بأي مقدارٍ يعملون به؟ بأي مقدارٍ يتحققونه في نظم حكمهم؟ بأي مقدارٍ يستفيدون منه منهجاً في حياتهم؟ نحن بالنظرية الأولية نجد بأن الناس ينطبق عليهم النص الذي فيه شكوىٌ للنبي ﷺ ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي أَتَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ ونجد إن المجران في جميع المستويات، بحيث لو تساءل الناس، كم مرةً في السنة يقرؤون القرآن؟ تجد قليلاً من الناس.

● في شهر رمضان....

■ ربما، أحسنت بعض الناس يقرأ القرآن في شهر رمضان، بعض الناس حتى في شهر رمضان ربما لا يقرأ القرآن، أما بقية السنة فلا، فضلاً عن المراحل الأخرى التي تعقب القراءة، القراءة تمثل مقدمةً للفهم، تمثل مقدمةً للعمل تمثل مقدمةً لتحكيم القرآن في الحياة العامة، فلذلك من المؤسف شديد الأسف أنك تجد حالةً من المجران للقرآن الكريم، وقد يتمثل ذلك حينما يطلب الطالب درساً في التفسير ربما لا يجد من يدرسه، وحينما يبحث عنمن يدرسه علوم القرآن لا يجد، وهذا كاشفٌ من الكواشف الدالة على أن الاهتمام بالقرآن نادرٌ وقليلٌ.

● في بلدنا البحرين يتوجه عددٌ كبيرٌ نسبياً من الشباب والشابات ومن جميع الفئات العمرية إلى تعلم التجويد والحفظ، وكأنما أهملت علوم القرآن والتفسير وغيرها من علوم وأمور مرتبطة بالقرآن الكريم.

هل هو ذنب المجتمع نفسه؟ أم هو تقصير الفئة المعنية بحمل القرآن وإيصاله

للناس؟ فكما ذكرتم بأن الطالب عندما يطلب درساً للتفسير وعلوم القرآن فلا يجد، فكيف يطالب الناس في المجتمع بالاهتمام بهذه العلوم وعدم الاتجاه فقط للحفظ والتجويد مثلاً؟ فما تعليقكم؟

■ نعم، هذه الظاهرة تحتاج إلى تضييفٍ، فالتجويد والحفظ والتلاوة بحسب تصوري تمثل مداخل لارتباط بالقرآن الكريم، قد يبدأ الطالب والتعامل مع القرآن الكريم، قد يبدأ من الحفظ والتجويد لكنه يعيش حالةً من العشق إلى القرآن بعد ذلك، هذه تحفته لأن يكون مفسراً، لأن يكون حاملاً للقرآن، محركاً للقرآن، مفعلاً للقرآن الكريم، في حياته وفي حياة مجتمعه.

فلذلك أقول بأن هذه الخطوة جيدةٌ وفي نفس الوقت تحتاج إلى تضييف الناس وتحريك حالة الحس تجاه القرآن، وهذه تستفيدها من أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما يوصي أولاده قائلاً: (الله الله في كتاب ربكم لا يسبقونكم بالعمل به غيركم)، يعني هناك حالةً من التأخر عندنا والسبق عند غيرنا، فإنهم لا يعملون بالقرآن وإنما يعملون بمضامينه، نجد كثيراً من المعرف التي توجد في كتاب الله قد فعلها غيرنا وهم لا يؤمنون بالقرآن، فكأنهم قد سبقونا بالعمل به مع أننا أولى وأجدر بالسبق في العمل.

وجود الجمعيات، هذه بادرةٌ جيدةٌ - الآن ربما ثلث أو أربع جمعيات - هذه تمثل بادرةً طيبةً لبث الثقافة القرآنية وبث الروح القرآنية، وكذلك أن يهتم مجموعةً من العلماء والبلغيين ومن لهم وجود اجتماعي مؤثر، هذا لا شك في أن له أثرٌ كبيرٌ لارتباط بالقرآن الكريم، كما نجد هنا في الجمهورية الإسلامية أنه من بداية الثورة إلى الآن، أو خلال هذه العشرين أو الأربعين وعشرين عاماً نجد إن حركة التعاطي والتعامل مع القرآن أصبحت قويةً وكبيرةً جداً على مستوى جميع أنحاء

إيران، وما ذلك إلا من خلال وجود جماعاتٍ وجماعاتٍ تروج هذا المعنى.

نعم، صحيحٌ أنهم بدؤوا بالتجويد والقراءة لكن هذا دفعهم أيضاً إلى الاهتمام التفصيلي بالتفاسير ونشر العلوم والثقافات القرآنية، الآن نجد ربما أكثر من أربع أو خمس دوريات باللغة الفارسية تهتم بشؤون القرآن على مستوى علومه وعلى مستوى تفسيره وغيرها، فنسأل الله تبارك وتعالى بأن يكون في بلدنا البحرين هذا النحو من الاهتمام الذي ينمو على مر السنين إن شاء الله.

● سيدنا سؤالٌ توجهون فيه كلمةً أخرىً للطلاب ولمن يتوق لينهل من المعارف القرآنية.

كيف للطالب والمهتم أن ينمِّي معارفه القرآنية على مستوى علوم القرآن وتفسيره وغيرها في ظل وجود الدروس المتعددة لديه؟ وكما قلتم ، ندرة الأساتذة في هذا المجال؟

■ الاهتمام هو الذي يمكن الشخص من ذلك، بترجمة وقته وإعطاء القرآن جزءاً منه سيصل لنتائج طيبةٍ، مثلاً لو قرر الطالب أن يكون في الحوزة لمدة عشرين سنةٍ مثلاً، لكان عنده أكثر من سبعة آلاف يومٍ، لو خصص لكل آيةٍ من القرآن يوماً يتدبّرها وينظر في تفسيرها، لغطى آيات القرآن الـ ٦٢٣٦ مثلاً، فالاهتمام هو الذي يمكن الإنسان من ذلك.

## الأملاز القرآنية

### (القسم الأول)

عادل عبد الحسين الهنّان

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين،  
محمدٌ وآلـهـ الطـيـبـيـنـ الطـاهـرـيـنـ، ربي اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل  
عقدةً من لساني يفـقـهـواـ قولـيـ.

بعد أن ثبتـ في محلـهـ أنـ هـنـاكـ مـخـلـوقـاـ، وأنـ هـذـاـ المـخـلـوقـ خـالـقـاـ حـكـيمـاـ  
لـطـيفـاـ، وأنـ هـذـاـ الـخـالـقـ قد بـعـثـ أـنـبـيـاءـ لـيـأـخـذـوـ بـيدـ خـلـقـهـ إـلـىـ كـمـاـلـهـ الذـيـ لـوـلـاـ  
أـرـسـلـهـمـ إـلـيـهـمـ لـمـ وـصـلـوـاـ إـلـيـهـ، بلـ لـمـ يـهـتـدـوـاـ إـلـيـهـ سـبـيـلاـ...ـالـخـ.

بعد أن ثبت ذلك كله، تأتي مسألة تشخيص وإثبات النبي وأنه من هو  
خارجـاـ؟ـ فإنـ الـإـنـسـانـ بـفـطـرـتـهـ الـتـيـ جـبـلـ عـلـيـهـاـ، لاـ يـقـبـلـ دـعـاوـيـ غـيرـ بـيـنـهـ أوـ مـبـيـنـهـ،ـ  
وبـتـعـبـيرـ الشـيـخـ الرـئـيـسـ:ـ (ـمـنـ قـبـلـ دـعـوىـ الـمـدـعـىـ بـلـ بـيـنـهـ،ـ فـقـدـ خـرـجـ عـنـ الـفـطـرـةـ  
الـإـنـسـانـيـةـ)ـ (ـ١ـ)،ـ فـكـيـفـ إـذـاـ كـانـتـ تـلـكـ الـدـعـوـىـ هـيـ دـعـوىـ الـنـبـوـةـ،ـ وـهـيـ مـقـامـ عـظـيمـ  
وـمـنـصـبـ سـامـ يـطـمـعـ فـيـهـ كـلـ طـالـبـ كـرـسيـ وـزـعـامـةـ...ـالـخـ،ـ وـلـذـاـ إـنـ النـاسـ كـانـوـاـ  
يـطـلـبـونـ مـنـ الـأـنـبـيـاءـ عـلـيـهـمـ الـنـبـوـةـ بـرـاهـيـنـ وـآـيـاتـ وـدـلـائـلـ تـشـبـهـ صـدـقـهـمـ،ـ  
قـالـ تـعـالـىـ عـلـىـ لـسـانـ قـوـمـ صـالـحـ عـلـيـهـ:ـ ﴿ـ مـاـ أـنـتـ إـلـاـ بـشـرـ مـثـلـنـاـ فـأـتـ بـأـيـةـ إـنـ كـنـتـ مـنـ  
الـصـادـقـيـنـ﴾ـ (ـ٢ـ)

منـ هـنـاـ نـشـأـتـ الـحـاجـةـ إـلـىـ الـبـحـثـ عـنـ طـرـقـ تـشـخـصـ الـنـبـيـ الـمـرـسـلـ،ـ وـلـذـاـ نـرـىـ  
أـنـ الـمـتـكـلـمـيـنـ قدـ أـفـرـدـوـاـ فـيـ كـتـبـهـمـ بـابـاـ خـاصـاـ لـذـلـكـ،ـ أـسـعـوهـ:ـ (ـمـاـ تـبـثـ بـهـ دـعـوىـ  
الـنـبـوـةـ)ـ.

ومن أهم الطرق التي لم يختلف في أصل إثباتها اثنان منهم لإثبات دعوى النبوة هي مسألة الإعجاز، ومفاد هذا الطريق أن على مدعى النبوة أن يبرز -متحدياً- إلى جانب ادعائه النبوة وصلته بالله تبارك وتعالى، من البيانات وخارق العادة المطابقة لدعواه، ما يعجز عن الإتيان بثلها كل من أرسل إليهم، ولا يكون مستنداً إلى الأسباب العادية كالآدوات والآلات، بحيث يؤثر في القلب أثره البليغ حتى يُخضع له -إلا أن يكون عناً-. فيعلموا على سبيل القطع أنه مرسلاً من ربه. وكون علمهم لابد أن يكون على سبيل القطع باعتباره إنَّ الظُّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيئاً<sup>(٣)</sup>، وأما كون من يأتي بذلك فهو نبيٌّ مرسلاً من ربه قطعاً، فلأنَّ الله تبارك وتعالى -كما هو ثابتٌ جزماً- لا يعطي تلك القدرة إلا لصادقٍ وإلا نقض غرضه -الذي هو المداية-، والحكيم لا ينقض غرضه. يقول السيد الخوئي جعفر: ( وإنما يكون الإعجاز دليلاً على صدق المدعى، لأن المعجز فيه خرق للنوميس الطبيعية، فلا يمكن أن يقع من أحدٍ إلا بعينيةٍ من الله تعالى، و إقدارٍ منه، فلو كان مدعى النبوة كاذباً في دعواه، كان إقداره على المعجز من قبل الله تعالى إغراءً بالجهل وإشادةً بالباطل، وذلك محال على الحكيم تعالى...).<sup>(٤)</sup>

وقد تحقق ذلك بالنسبة إلى نبينا محمدٌ صلوات الله عليه حيث صحب إعلانه لدعوته إظهار معجزاتٍ خارقةٍ لنوميس العادة، بل من حين ولادته صلوات الله عليه<sup>(٥)</sup>، وقد كانت بين يدي من يطلبها حاضرةً شاهدةً.

والسؤال هنا هو: هل حرم إنسان ما بعد عصر الرسالة من الإعجاز وتأثيره البالغ في إيجاد الإيان؟ فهو لم يرَ عصاً تقلب ثعباناً، ولا يداً تبراً الأكمه والأبرص، في حين أنه أشد حاجةً إلى مشاهدة المعجزة، لذيع بذور الشك

والترديد بين الناس عامةً والشباب خاصةً، أفليس هذا حرماناً من الفيض  
المعنوي ؟ (٦)

### المعجزة القرآن:

والجواب: كلا، لم يحرم إنسان ما بعد عصر الرسالة من الإعجاز، بل وصل  
إليه إعجازٌ وأي إعجازٌ هو، إنه القرآن الكريم، وما أدراك ما القرآن  
الكريم، (كتاباً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا ينبو توقده، وبحراً لا يدرك قعره،  
ومنهاجاً لا يضل نهجه، وشعاعاً لا يظلم ضوءه، وفرقاناً لا يخمد برهانه، وتبياناً  
لا تهدم أركانه،... فهو معدن الإيمان وبجوبنته، وينابيع العلم وبجوره،... جعله الله  
رياً لعطش العلماء وربيراً لقلوب الفقهاء،...). (٧).

فإذا كان إنسان عصر الرسالة قد وصلته معجزاتٌ ومعجزاتٌ فإنها على  
عظمتها - كماً وكيفاً - لا تطبع أن تناول شيئاً من عظمة القرآن، ولا القرآن يحتاج  
إليها لتعضده، بل هو مستغنٍ عنها وهي محتاجةٌ إليه، فإنها معاجز عملية تنقض  
بانقضاء زمان حدوثها أو بعده، أما القرآن فخالدٌ واصلٌ للجميع يفهمه الكل،  
لا يعجز عن فهمه أحدٌ، ولا غنى لأحدٍ عنه، بل الكل محتاجٌ إليه، لا يسد حاجته  
كتابٌ غيره (٨)، ومن هنا يتضح لنا السر في التأكيد على وصف القرآن بالمعجزة  
الخالدة دون بقية معاجزه ﷺ.

### القرآن المعجزة:

اتفق العلماء والمفسرون على أن القرآن كتابٌ خارقٌ للعادة، تحدي ويتحدى  
كل من سمعه منذ نزوله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد عجز الكل ولم

يتمكنوا من الإتيان «بِمُثْلٍ هَذَا الْقُرْآنَ»<sup>(٩)</sup> بل «بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ»<sup>(١٠)</sup> بل «سُورَةٌ مِنْ مِثْلِهِ»<sup>(١١)</sup> - وفي هذا تدرج في التحدي لطيفٌ ظريفٌ يبين بالغ عجز الخصم -، ولن يتمكنوا أن يأتوا «بِمُثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَبْعَضٌ ظَهِيرًا»<sup>(١٢)</sup>، فبطل قولهم «لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا»<sup>(١٣)</sup>.

ولكنهم اختلفوا في جهة إعجازه، وتکاثرت أقوالهم وآراءهم حتى کادت تتضارب<sup>(١٤)</sup>، ولكن قبل الدخول في تفاصيل ذلك لابد من بيان أمرین لا مناص منهما لتتضاح الفكرة وتتم وتكتمل:

**أولاً:** إن معنى الإتيان بالمثل - والذی هو مصب التحدي - أن يُؤْتى بكلامٍ يتحدد مع الكلام المراد معارضته في جهةٍ من الجهات أو غرضٍ من الأغراض، - هذا الكلام - مستقلٍ في ألفاظه وتركيبه وأسلوبه، ليوازن بين الكلامين، فيحكم بالفلج على أحد الطرفين، وليس معناه أن يقلّد الكلام المعارض في تركيبه وأسلوبه، بأن يؤخذ بأطراف كلام الخصم، ويُتصرف فيه بتبديل بعض ألفاظه البعض، ثم يوصل بعضه البعض وصل ترقيعٍ وتلفيقٍ كما وقع في ذاك الكلام النسوب إلى مسيلمة، وإلا لأمكنت معارضة كل كلام.

فمثلاً نرى جريراً يمدح بنى تميم ويعرفهم بأنهم كل الناس، يقول:  
إذا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَاباً

ويقول أبو نواس في نفس هذا الصدد:

ليس على اللهِ بِسْتَنْكَرٍ أن يجمعَ العالَمَ في واحدٍ وقد زاد عليه أبو نواس زيادةً رشيقةً، وذلك أن جريراً جعل الناس كلهم بنى

تميم، ولكن أبا نواس جعل العالم كلهم في واحد. فكان ما قاله أبلغ في المدح والإعظام.

وإذا اتضح هذا فانظر إلى قوله تعالى: ﴿الْحَقَّةُ مَا الْحَقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَقَّةُ﴾ (١٥) وقوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ (١٦) ثم ما اتبع قوله هذا بذكر يوم القيمة وبيان أوصافها وعظيم أهواها بقوله:

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشُ الْمَبْثُوثُ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشُ﴾ (١٧)

فأين هذا من قول القائل : (الفيل، ما الفيل، وما أدراك ما الفيل، له ذنب وبيل، وخرطوم طويل) (١٨) !!

**ثانياً: هل أن إعجاز القرآن منحصر في جهة خاصة؟**

تبين الإجابة من خلال مقدمات:

تشير جملة من الآيات إلى أن رسالة النبي ﷺ عالمية، وأن قومه هم جميع أفراد البشر، وليس مجموعة خاصة من أهل الحجاز، وأنه ﷺ منذر لكل (العالمين) (١٩)، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ﴾ (٢٠)، ويقول في آية أخرى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (٢١)، ويقول: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ (٢٢)، وهذا ما يقتضي خلود القرآن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فإن الرسالة كما احتاجت - في إثباتها - إليه حدوثاً، هي محتاجة إليه أيضاً بقاءً، فهو باقٍ، إذن فتحديه أيضاً باقٍ، وهو واقعٌ في قبال جميع البشر، بل والجن أيضاً وإلى قيام الساعة، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُونُوْنَ عَلَى أَنْ يَأْتُوْا بِمُثْلِ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٢٣).

الغرض الذي من أجله أنزل القرآن هو المداية، المداية لكل الناس، منذ عصر الرسالة إلى أن تقوم الساعة، فهو: حاوٍ لكل ما من شأنه أن يصل إلى الغرض-الذي هو المداية- من قصبةٍ وتشريعٍ وموعظةٍ و.....﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (٢٤).

الإنس- لا أقل- طبقاتٌ مختلفةٌ، فمنهم من حاز من الكمالات الفكرية والأدبية والعلمية و...المختلفة ما شاء الله، ومنهم من لا يكاد يفقه حدثاً، ولا يهتدى إليه سبيلاً. وحتى هذا الذي نال نصيباً من تلك الكمالات تراه لا يعدو أن يكون ذو حظٍ في فنٍ أو فنٍ لا يزيد عن ذلك، وهذا في زماننا من الوضوح بحيث يغنينا عن التكلف لإثباته.

إذا عرفت كل ذلك يتبيّن لك وبوضوح أنه لا يمكن أن يكون إعجاز القرآن منحصراً في جهةٍ خاصةٍ، فإنه لو كان كذلك، لما صرخ تحدي إلا أهل الاختصاص في تلك الجهة الخاصة، ولما كان شاملاً للكل (٢٥). أضف إلى ذلك أن إطلاق آية التحدي يأبى ذلك.

إذا تبيّن هذا نشرع الآن في بيان الأقوال في وجوه إعجاز القرآن. الصُّرُفَة:

ذهب بعضُ- رغم اعترافهم بفصاحة القرآن وببلاغته و....- إلى أن الإتيان بكتابٍ مثل القرآن ليس محلاً في نفسه، وأن البشر قادرون- لوفرة قدرتهم البينية وبراعتهم في القول- على أن يأتوا بمثله لو خلُوا وأنفسهم، ولكن الله تبارك وتعالى أراد أن يثبت أن القرآن منزل من عنده، وليس من اصطناع البشر فصرَّفَهم عن ذلك صرفاً مقصوداً يدركون معه أنهم مُعجَزون أمامه، بل منعهم منعاً قهرياً، إما بسلب القدرة العلمية منهم، أي سلب العلوم التي كانت تتأتى

منهم بها الفصاحة، أو بصرف دواعيهم وهمهم عن ذلك، أو إلحاوته تبارك  
وتعالى لهم <sup>(٢٦)</sup>.

ولم تلق هذه النظرة قبولاً عند أكثر العلماء بل ردت ورفضت ووصفت بأنها  
شيطان المتكلمين.

ومرجع هذه الشبهة هو أنه إذا كانت الفصاحة والبلاغة والعلوم الأدبية هي  
صنعة البشر، فكيف لا يتمكنون من الإتيان بكلامٍ فصيحٍ وبليغٍ مثل القرآن؟ <sup>(٢٧)</sup>  
وفي مقام الجواب عن هذه الشبهة يقول آية الله الشيخ الجوادى الآملى حفظه  
الله - ما ترجمته - : إن للفصاحة والبلاغة أركانًا ثلاثة:

أولاً: أن يكون للإنسان اطلاعٌ نسبيٌ على ما هو موجودٌ وواقعٌ.

ثانياً: أن تكون له قدرة سبك الألفاظ وتضمينها المعاني.

ثالثاً: أن تكون له قدرة صب تلك المعاني في قالبها الأنسب من الألفاظ.

والمقصود من التناسب هنا هو الانسجام بين الواقعيات المراد التعبير عنها.

ومن بين هذه الأركان الثلاثة، فقط الركن الثاني هو المتاح للبشر وهم  
إحاطة متفاوتة به، أما الركين الآخران فإنهم ليست لهم بهما القدرة والإحاطة.

يقول حفظه الله: إن هذه الشبهة هي من قبيل أن يقول شخصٌ: كيف لا  
يمكن لصانع السيوف أن ينتصر في معاركه؟ وبطحان هذا من الواضحات، فإن  
السيف أداةٌ بها يقتدر على النصر، أما أنه يحصل النصر أو لا، فإن ذلك مرتبٌ  
 بشجاعة حامله في الحرب و... الخ. غير صحيح قول شخصٌ: كيف لا يمكن لبشرٍ  
 صانعٍ للسيوف أن ينتصر في الركين الآخران؟ فإنهم ليست لهم ، ولعمري إنَّ

هذا إلا من قبيل: (بعثت إليك بالسيف لا بالساعد) (٢٨).

ثم إنه لو كان إعجاز القرآن بالصرف لوجد في كلام العرب السابقين مثله،  
قبل أن يتحدى النبي ﷺ به البشر.

إضافةً إلى أن المدف من إرسال الأنبياء عليهما السلام هو إيصال البشر إلى كمالهم الذي  
هم قاصرون عنه، فإذا كان البشر قادراً في نفسه على الإتيان بمثل القرآن لزم  
لغوية إرسال الأنبياء عليهما السلام، فافهم.

هذا، ومن غير الخفي أن المعجز حينئذ الصرف لا القرآن (٢٩) وهو منافيٌ  
لظاهر آيات التحدي.

وهناك أوجه أخرى كثيرةً أعرضنا عنها روماً للاختصار (٣٠).

### الإخبار بالغيب:

من وجوه إعجاز القرآن: إخباره بالغيب مع كون ما أخبر به مطابقاً للواقع،  
و(الغيب هو خلاف الحضور والشهود، فكل ما لم يكن حاضراً في المدارك  
الجسمانية ومشهوداتها يكون من الغيب، ولكنه ثابتٌ في الواقع بتمام معنى  
الثبت والتحقق) (٣١) و(... باختلاف الشهادة والنسبة إليها يختلف مفهوم  
الغيب، فالشهادة بمعنى الحضور، والحضور إما:

بالحضور المكاني،

أو بالحضور عند الحواس،

أو بالحضور في النظر والعلم،

أو بالحضور في مقام المعرفة والبصيرة،

وفي قبال كل من هذه المراتب الأربع غيبٌ، ومن الغيب مرتبة خامسة، وهو:  
ما يختص علمه بالله تعالى، فإن الله تعالى يظهر من الغيب مقداراً محدوداً  
لرسله وأوليائه عليه السلام على حسب استعدادهم ويفتتضى تحملهم وحاجاتهم في  
أنفسهم وفي مقام الرسالة...فظهر أن للغيب خمس مراتب...).<sup>(٣٢)</sup>

ودلالة الإخبار بالغيب على الإعجاز، باعتبار عدم تيسره بالنسبة إلى الإنسان  
في نفسه، من دون أن تكون له صلة بالحق تبارك وتعالى .

و إخبارات القرآن عن الغيب على قسمين: <sup>(٣٣)</sup>

فمنها ما يتعلق بالأمم السابقة وما جرى عليها، وإليك نماذج منها:

يقول تعالى في قصة شيخ الأنبياء نوح -على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة  
والسلام- مع قومه وما كان منه من السفينة والطوفان و...:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنَّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنَّ لَأَ تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ أَنَّى أَخَافُ  
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ فَقَالَ الْمَلَائِكَةُ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْنَانِ...  
تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ  
إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾<sup>(٣٤)</sup>.

يقول الشيخ الجوادى الأملسى: إن جملة ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا﴾ تفترق كثيراً عن  
جملة (ما تعلمها) أو (ما علمتها)، فإنها تنفي (إمكان) العلم بتلك المطالب الغيبية  
عن نوح عليه السلام في نفسه لو لا إطلاع الله تبارك وتعالى له عليها <sup>(٣٥)</sup>.

ومنها قصص أنبياء الله هود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليه السلام المذكورة في  
نفس سورة هود عليه السلام بعد قصة النبي نوح عليه السلام.

وفي قصة النبي موسى عليه السلام، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ... وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدِينَ... وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَنَا...﴾ (٣٦).

وكثير من الآيات التي لا تخفي على قارئ القرآن فضلاً عن المتبع.

والقسم الآخر يتعلق بالأحداث التي ستقع، نذكر منها:

انتصار الروم: يقول تبارك وتعالى: ﴿إِلَمْ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (٣٧).

عدم إعنان أبو لهب وزوجته ودخولهما النار: يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِيهِ لَهَبِّ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سِيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُه حَمَّالَةُ الْحَطَبِ﴾ (٣٨).

الإخبار بفتح مكة: يقول تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولُهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمِينٌ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقْصِرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٣٩).

واعترض على هذا القول بأن المعجز حينئذ هو ذلك الاشتتمال (يعني خصوص ما اشتمل من الآيات على الإخبار باللغبيات) وهو خلاف ما اتفقا عليه من أن القرآن (كله) معجز. (٤٠).

والظاهر أن هذا الاعتراض إنما يرد على القائلين بأن إعجاز القرآن فقط من جهة أن فيه إخباراً عن الغيب، ولا يرد على من يقول بأن ذلك أحد وجوه إعجاز القرآن، وهذا - الأخير - لا ينكره أحد.

ولنعم ما قاله السيد السبزواري عليه في تفسيره حيث يقول: (فالقرآن من الغيب، لأنه من الله عز وجل العالم غيب السماوات، وللغيث، لأنه يدعو الناس إلى الغيب، وفي الغيب، لأن حقائقه غائبة عن الإدراكات وإن أحاطت بظواهرها عقوتهم) <sup>(٤١)</sup>.

\*\*\* \*\*\* \*\*\*

### المواهش:

- (١) لا يخفي أن هذا في غير التعبديات، فإنها إن وصلت بطريق حجة فهي حجة يجب أخذها والالتزام بها.
- (٢) سورة الشعراء، الآية ١٥٤
- (٣) سورة يونس ﷺ، الآية ٣٦.
- (٤) البيان في تفسير القرآن: ٣٧:
- (٥) راجع في ذلك كتاب علم اليقين ٦٤٩:١، وكتاب براهين أصول المعارف الإلهية: ١٥٦ - ١٦٠ و ١٩٣ - ٢٠٦.
- (٦) الإلهيات ١٠٣:٣
- (٧) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٨.
- (٨) راجع في ذلك تفسير تسنيم للشيخ الجوادى الأملى ٣٣:١
- (٩) سورة الإسراء، الآية ٨٨
- (١٠) سورة هود ﷺ، الآية ١٣.
- (١١) سورة البقرة، الآية ٢٣.
- (١٢) سورة الإسراء، الآية ٨٨
- (١٣) سورة الأنفال، الآية ٣١
- (١٤) يقول السيد الخوئي ق: (... وإن وقع الخلاف من بعض في سبب الإعجاز فإنه لا يضر

بجهة أصلًا، لبداهة عجز أهل اللسان عن الإتيان بمثله، ولو كان العجز بائي سبب من الأسباب، وهذا المقدار دليل واضح على خروجه عن طوق البشر.) نفحات الإعجاز ص٨ وهذه الرسالة طبعت مؤخرًا في دورته في الجزء ٤٩.

- (١٥) سورة الحاقة، الآيات ٣-١.
- (١٦) سورة القارعة، الآيات ٣-١.
- (١٧) سورة القارعة، الآيتين ٤ - ٥.
- (١٨) الإلهيات ٣٥٨-٣٥٦، والبيان في تفسير القرآن: ٩٦، بتصرف.
- (١٩) يقول آية الله الجوادى الأملى: المراد من (العالمين) في بعض الاستعمالات القرآنية، خصوص عصر معين، وفي بعض آخر كما في آية سورة الفرقان، عصر معين وما بعده، وفي بعض آخر كما في: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ليس فقط العصور الماضية والآتية، بل يشمل عوالم غير الإنسان مثل عالم الملائكة والجن وعالم الجماد والنبات، إلا أن يقام شاهد على اختصاصها بغير النبات والجماد. تسنيم ١: ٣٣، بتصرف.
- (٢٠) سورة سباء، الآية ٢٨.
- (٢١) سورة الفرقان، الآية ١.
- (٢٢) سورة المدثر، الآية ٣٦
- (٢٣) سورة الإسراء، الآية ٨.
- (٢٤) سورة النحل، الآية ٨٩.
- (٢٥) راجع: الميزان: ج ١ ص ٦٢، مدخل التفسير: ٤٧-٤٩.
- (٢٦) راجع كتاب: الموضح عن جهة إعجاز القرآن (الصرف) للشريف المرتضى.
- (٢٧) انظر: البيان في تفسير القرآن: ٨٣ - ٨٤.
- (٢٨) وهي قوله لعمرو بن معدى كرب حينما أرسل إليه الخليفة الثاني يسأل عن سيفه الذي ذاع صيته في الصلابة والحدة، فلما أرسل عمرو سيفه للخليفة الثاني، أخذه بيده وضرب به حجراً أو خشباً ولم ير فرقاً بين هذا السيف وغيره فأرسل الثاني لعمرو: أن لا فرق بين سيفك هذا وباقى السيفوف فأرسل عمرو إليه: أنني قد بعثت إليك... راجع

- قرآن در قرآن لآلية الله جوادی آملي: ۱۶۵ - ۱۶۷، بتصرف. راجع أيضاً تسنیم: ج ۲ ص ۴۳۴.
- (۲۹) رسالة: دلیل علی أن القرآن معجز لابن فتح الله مطبوعة في كتاب تراث الشيعة
- القرآنی: ج ۱ ص ۸۵.
- (۳۰) راجع مثلاً الفوائد البهیة: ج ۱ ص ۵۵۲.
- (۳۱) مواهب الرحمن: ج ۱ ص ۷۶.
- (۳۲) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ۷ ص ۲۸۹ - ۲۹۲. لا يترك.
- (۳۳) راجع البيان في تفسیر القرآن للسيد الخوئی رحمه‌للله: ۹۶ - ۷۱، کتاب معارف القرآن للشيخ المصباح: ج ۴ ص ۹۶، قرآن در قرآن للشيخ جوادی آملي: ص ۱۴۷ - ۱۵۴، وقد عدها في الإلهيات ثلاثة: ج ۳ ص ۴۱۳ - ۴۱۷، وأنهاها بعضهم إلى ثمانية أنواع: راجع براهین أصول المعارف الإلهية: ۱۷۵ - ۱۸۰. وللشيخ اللنکرانی حفظه الله بيان لطیف في المقام فلیرجع إلى: مدخل التفسیر: ۵۸ - ۶۳.
- (۳۴) سورة هود علیکم السلام، الآیات ۲۵ - ۴۹.
- (۳۵) قرآن در قرآن: ۱۴۸، بتصرف.
- (۳۶) سورة القصص، الآیات ۴۴ - ۴۶.
- (۳۷) سورة الروم، الآیات ۱ - ۳.
- (۳۸) سورة المد، الآیات ۱ - ۴.
- (۳۹) سورة الفتح، الآیة ۲۷.
- (۴۰) تراث الشيعة القرآنی: ج ۱ ص ۸۴.
- (۴۱) مواهب الرحمن: ج ۱ ص ۱۳۹.



## **بِلَوْثٌ مُوْسَنْوْمِيَّةٌ فِي الْحَقِيقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ**

**شَرْحٌ تَفَصِيلِيٌّ لِشَرْحِ الْبَابِ الْحَادِيِّ عَشْرَ بِصِيغَةِ سَؤَالٍ وَجَوابٍ  
(القسم الثالث)**

قصي الشيخ علي العربي

### **س٤١ : مَا هِي نَظَرَةُ الْبَشَرِ إِلَى الدِّينِ وَالْكَفَرِ؟**

ج: نظرتهم أن الدين والكفر قد يمان، فكما كان منذ القدم رجال صالحون ملتزمون بالدين كان آخرون يكفرون به، فإذا كان كل قديم رجعية فإن الكفر هو الآخر قديم! وهذه الأفكار التي يروجها الجاهليون باسم التقديمية موغلة في الرجعية، إذ أنها تدعو إلى حالة البدائية، حيث لم يكن لدى أهلها التزام بالقيم والعادات الصالحة، وهذا الذي يكفر بالبعث ويُدعي أنه من أساطير الأولين سوف يحشر مع أولئك الكفار من الأولين، حتى يتبيّن له أن الكفر -وليس الدين- هو من أساطير الأولين.

### **س٤٢ : لِمَاذَا سُمِيَّ هَذَا الْفَنُ بِأَصْوَلِ الدِّينِ؟**

ج: طبعاً الجواب واضح باعتبار أنه إذا فرضنا أن هذه المعرفات هي الأساس وأن الشريعة هي البناء، فلا شك أن البناء -أي الشريعة- سيقع على الأساس -وهي المعرفة-. فالدين والشريعة بمنزلة الفروع وهذه المعرفات بمنزلة الأصول فلهذا تسمى هذه الأصول بأصول الدين، وتسمى تلك المعرفات المرتبطة بالشريعة والطريقة بفروع الدين، لهذا قال: (وُسُمِيَّ هَذَا الْفَنُ ) وهو الباحث عن معرفة الله، عن صفاته سبحانه، عن النبوة، عن الإمامة، عن المعاد، بـ (أصول الدين)، لأنّ سائر العلوم الدينية الأخرى (من الحديث والفقه والتفسير واللغة وغير

ذلك من العلوم التي توجد في دين من الأديان، ولا أقل في ديننا هذا كلها (مبنيه عليه) أي: على هذا الفن الذي هو فن أصول الدين، (فإنها) يعني: سائر العلوم الدينية (متوقفة على صدق الرسول، وصدق الرسول متوقف على ثبوت المرسل وصفاته وعلمه وامتناع القبح عليه).

س٤٢ : ماذا يريد السوري هنا من التوقف على صدق الرسول وأن صدقه متوقف على ثبوت المرسل وعلى صفاته وعلمه وامتناع القبح عليه؟

ج: يتضح مراده هذا من خلال التوضيح التالي:

إذا أردنا الرجوع إلى كلام الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ لابد وأن يثبت أنه إمام معصوم، والإمام المعصوم متى يثبت؟ لا بد وأن يثبت أنه منصوب من قبل النبي ﷺ، ومتي ثبت نبوة هذا النبي؟ طبعاً لا بد وأن يثبت عندنا بدليل من خلال العقل وببرهان من العقل، وإلا لا يمكن أن تعتمد على القرآن الكريم لإثبات النبوة في النبي ﷺ، وقد يسأل شخص لماذا؟ باعتبار أن القرآن جاء به هذا النبي ﷺ وقال: إن هذا كتاب الله، فلعله كما يتصور البعض -معاذ الله أنه ليس بكتاب الله، إذن، لا بد من أجل إثبات أنهنبي يحتاج إلى طريق آخر غير الكتاب الكريم وهو ما يبحث هنا، أي: ما يبحث في فن أصول الدين.

وهكذا الواجب سبحانه وتعالى كيف ثبته؟

هل ثبته بالكتاب؟ طبعاً لا يمكن.

ومتي ثبت هذا الكتاب الكريم؟

إذا ثبت أن هناك واجب، ولا يمكن أن ثبت الواجب بهذا الكتاب لأن دور واضح.

فإذا كان هناك واجب الوجود هو الله سبحانه وتعالى وأرسل إلينا عن طريق  
نبه كتاباً يسمى القرآن الكريم.

وإذا أردنا إثبات وجود الواجب بما يقول القرآن الكريم.

إذن لابد من إثبات واجب الوجود أولاً وبعد إثباته، يأتي دور إثبات نبوة  
النبي، وإن من لطف الله على عباده أن يرسلنبياً، هذا ثانياً.

وإذا أرسلنبياً فلا بد وأن يعطيه معجزة، فإذا ثبتنا إعطائه معجزة، فما  
هي المعجزة؟ ثم نحتاج إلى حافظٍ لهذه الرسالة وهو المعموم عَلَيْهِ.

ثم نحتاج إلى أن الله تعالى يُجازي هذا المكلف بأعماله وحيث أنها ليست  
في الدنيا، إذن لابد وأن تكون في الآخرة، لهذا لابد من إثبات المعاد كما يجب  
إثبات ما تقدم، وهذه هي المعارف الأساسية عند الإمامية.

قال السيوري: (إنها) أي: فإن سائر العلوم الدينية (متوقفة على صدق  
الرسول) وصدق الرسول متوقف على ماذا؟ قال: (وصدق الرسول متوقف على  
ثبوت المرسل) وهو الله سبحانه وتعالى، فلهذا تجدون السيد الشهيد الصدر قَدِيرًا  
كتب كراساً في مقدمة الفتاوى الواضحة بعنوان المرسل والرسول والرسالة، أي  
أنه قدّر أثبت أولاً المرسل ثم قال: إن هذا المرسل رسول وهو النبي، وبعد إثبات  
النبي، قال: إن هذا النبي له رسالة لابد من تبليغها إلى الناس.

طبعاً الإمامة من توابع النبوة (يعني إذا ثبتت النبوة فإنه تتبعها ثبت الإمامية،  
وإذا ثبتت الرسالة فإنه تتبعها أيضاً يثبت المعاد، لأن الرسالة تأتي إليها، فالفوز  
من اتبعها والخسران لمن عاقها، وهذا يعني وجود ثواب وعقاب، وحيث أن

الثواب والعقاب ليس في الدنيا، إذن يلزم أن يكون في عالم آخر وهو عالم الآخرة،  
ففيها يتحدد المصير الذي يستحقه العبد - سيأتي التفصيل إن شاء الله تعالى - )

صدق الرسول متوقفٌ على ثبوت المُرسِل (و) متوقفٌ على (صفاته) أي:  
على صفات المُرسِل، (و) متوقفٌ على (عدله) أي: على عدل المُرسِل (وامتناع  
القُبْح عليه) أي: على المُرسِل، هذه هي التي سنبحثها إن شاء الله بعد ذلك.

#### س ٤٤ : ما هو المراد من علم الأصول هنا؟

ج: يعني هذا الفن الذي يبحث في أصول الدين، وليس المراد منه - أي ليس  
المراد من علم الأصول هنا - يعني: علم أصول الفقه الذي يُبحثُ في مقابل علم  
الفقه، وإنما نريد هنا من علم الأصول يعني: هذا العلم الذي يُبحثُ فيه أصول  
الدين، يعني: يُبحثُ فيه ذلك الأساس الذي تبني عليه كلُّ معارف الدين.

لهذا يقول السعدي:

(وعلم الأصول) ما هو؟ قال: (وهو ما) أي: وهو الذي (يُبحثُ فيه) أي:  
في ذلك العلم الذي عبر عنه قبل ذلك بالفن، وهو ما يبحث فيه (عن وحدانية  
الله تعالى وصفاته وعدله، ونبوة الأنبياء ﷺ، والإقرار بما جاء به النبي ﷺ  
وإمامية الأئمة علیهم السلام، والمعاد).

وهذه هي الأصول الخمسة المعروفة في عقائد الإمامية.

#### الفقرة السادسة:

وهي في الأمر الثاني ويقع في بيان دليل العقل والنقل على وجوب معرفة  
أصول الدين قال: أي الماتن وهو العلامة قاضي :

(أجمع العلماء كافةً على وجوب معرفة الله تعالى، وهو الأصل الأول، ووجوب

معرفة صفاته الشبوتية والسلبية وما يصح عليه وما يمتنع عنه والنبوة والإمامية (والمعاد).

فيما يرتبط بتعريف الله وصفاته دخل الأصل الأول والأصل الثاني وهو: التوحيد والعدل، والثلاثة الباقية هي النبوة والإمامية والمعاد فالمجموع خمسة.

هنا أيضاً بعض المباحث التي لابد من الإشارة إليها.

س ٤٥ : ما هو المراد من الإجماع هنا أي في قوله: أجمع العلماء كافية؟

ثم ما هو مراده من العلماء كافية، هل يعني مطلق علماء الإسلام؟ أو أن مراده هو علماء الإمامية خاصة؟

ج: طبعاً لا يمكن أن يكون مراده هو مطلق علماء الإسلام، باعتبار أن الأشاعرة مثلاً لا يقبلون جملةً من هذه الأصول كالعدل، والمعزلة وإن كانوا يثبتون العدل إلا أنهم لا يقبلون الإمامة مثلاً.

فإذا كان مراده من العلماء كافية يعني: العامي والخاصي، أي: الإمامي وغير الإمامي كالمعتزمي الذي لا يقبل الإمامة، والأشعري الذي لا يقبل العدل فهذا غير تام، إذن كيف يمكن أن يقال بأن المراد من العلماء كافية هنا يعني علماء الإسلام، ومن هنا ذكر بعض المعلقين والمخشين بأن المراد من العلماء هنا يعني: علماء الإمامية، يعني: أجمع الفرقة الناجية على هذه الأصول الخمسة، -وكما تعلمون- أن الإجماع حجة على مذهبنا، وتعلمون أنه على مذهب العامة من خلال تصحيحهم للكثير من مسائلهم السياسية وغير السياسية بواسطة الإجماع، أي بواسطة هذا الحديث المجعل الذي يقول: (لا تجتمع أمتي على خطأ)، ووصفنا هذا الحديث بأنه مجعل باعتباره من الأحاديث المجعلة التي لا واقع لها، المهم

أنهم يقبلون هذا الحديث، إذن فالإجماع عندنا حجة، والإجماع عندهم أيضاً حجة، ونحن قد أجمعنا على هذه الأصول الخاصة، أي: الأصول الخمسة يقول العالمة: (أجمع العلماء كافةً) وهم الإمامية (على وجوب معرفة الله تعالى وصفاته التبوتية والسلبية وما يصح عليه وما يمتنع عنه والنبوة والإمامية والمعاد). والمراد من صفاته التبوتية أي من قبيل العلم والقدرة، ومن صفاته السلبية أي من قبيل: إن الحق ليس بجسم وليس بجاهل وليس بجوهر وليس بعرض و... وهكذا، سيأتي بحثها إن شاء الله بعد ذلك.

#### س ٤٦ : إلى ماذا يريد المصنف أن يشير من قوله: والسلبية وما يصح عليه وما يمتنع عنه؟

ج: هذا إشارة إلى أصل العدل، يعني: هذا الفعل الحكيم يصدر من الحق لأنَّه حسنٌ، وهذا الفعل الحكيم لا يصدر منه يعني قبيحٌ، إذن ما هو حسنٌ وما هو قبيحٌ، يعني: إنَّ الله سبحانه وتعالى هل يُدخل الأنبياء عليهم السلام جميعاً إلى النار؟ طبعاً لا يُدخل، أما لماذا؟ فنقول: لأنَّ هذا فعلٌ قبيحٌ وهو تعالى كتب على نفسه أنه لا يدخل هؤلاء إلى النار، فهذه هي صفة العدل، والأشعري ينكر هذه الصفة فيقول الله سبحانه تعالى أن يُدخل جميع الأنبياء عليهم السلام إلى النار، وأن يُدخل جميع الفاسقين والكفار والعاصين إلى الجنة، ثم يستدلون بقوله: ﴿لَا يُسئلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

طبعاً هذا المعنى ليس بهذه الآية الشريفة وإنما شيء آخر ولكنهم - للأسف - يستدلون بها!!!

فلهذا محل الكلام وما يصح عليه وما يمتنع عنه إشارة إلى الأصل الثاني

من أصول العقائد وهو العدل وأنه ما هو الحسن الذي يصح أن يُنسب إليه، وما هو القبيح الذي لا يمكن أن يُنسب إليه ولا يمكن حمله وصدوره من الحق سبحانه وتعالى: ثم قال: (والنبوة) أي: على وجوب معرفة النبوة (و) معرفة الإمامة (و) وجوب معرفة (المعاد).

س ٤٧ : بعد الاستدلال السيء للأشعرية حول قوله تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَأْلَوْنَ﴾، فما هو التفسير الصحيح لهذه الآية؟

ج: لا شبهة ولا إشكال أنه تعالى قد نظم العالم بحكمة لا مجال فيها للإشكال والانتقاص ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَأْلَوْنَ﴾ وتوسيع ذلك: أن لدينا نوعين من الأسئلة:

**الأول: السؤال التوضيحي**, وهو أن يكون الإنسان جاهلاً ببعض المسائل، ويرغب في أن يدرك حقيقتها، وحتى إذا علم وأمن بأن هذا العمل الذي تم كان صحيحاً، فإنه يريد أن يعلم النقطة الأصلية والمهدف الحقيقي منه، ومثل هذا السؤال جائز حتى حول أفعال الله، بل إن هذا السؤال يعتبر أساس ومصدر الفحص والتحقيق في عالم الخلقة والمسائل العلمية، وقد كان لأصحاب النبي ﷺ والأئمة علیهم السلام كثیر من هذه الأسئلة سواءً فيما يتعلق بعالم التكوين أم التشريع.

أما النوع الثاني: فهو السؤال الاعتراضي، والذي يعني أن العمل الذي تم كان خطأً، كأن ينقض إنسان عهده بلا سبب، فنقول: لماذا نقضت عهده؟ فليس المهد طلب التوضيح، بل المهد أن نعترض.

من المسلم أن هذا النوع من السؤال لا معنى له إذا كان حول أفعال الله

الحكيم، وإذا ما اعترض أحد أحياناً فلجهله، إلا أن مجال هذا السؤال حول أفعال الآخرين واسع.

وفي حديثٍ عن الإمام الباقر عليه السلام في جواب سؤال جابر الجعفي عن هذه الآية أنه قال: (لأنه لا يفعل إلا ما كان حكمةً وصواباً)

وي يكن أن تُستخلص نتيجة من هذا الكلام، وهي: إن أحداً إذا سأله سؤالاً من النوع الثاني، فهو دليلٌ على أنه لم يعرف الله معرفةً صحيحةً لحد الآن، وهو جاهلٌ بكونه حكيمًا (٢).

هذا هو التفسير الصحيح للآية الشريفة كما اتضح والله العالم، وليس التفسير السيء الذي استند إليه الأشعري.

#### س ٤٨ : ما هو التوضيح لشرح السيوري على ما تقدم؟

ج: قال السيوري: (أقول: اتفق أهل الحل والعقد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم) طبعاً هنا أيضاً لا يمكن أن نقول أن مراده من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يعني جميع الملل والفرق الإسلامية، وإنما كان باعتبار أن الوارث الحقيقي للنبي صلى الله عليه وسلم والممثل الحقيقي لطريقة النبي صلى الله عليه وسلم هم أهل البيت عليهما السلام فلهذا قال: أهل الحل والعقد أي: هؤلاء هم ورثة النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء هم ورثة الرسالة الحقيقة لأن الإسلام الحقيقي هو عند أهل البيت عليهما السلام فلهذا ورد عن الإمام الباقر عليهما السلام أنه ذكر لتلميذه، سليمان بن كهيل والحكم بن عتبة: (شرا وغرباً لن تجدا علماءً صحيحاً إلا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت) (٣).

أي: إن العلم الحقيقي والصحيح الذي ورثناه عن جدنا، وجدها أخذه عن جبرئيل عليهما السلام، وجريئيل عليهما السلام أخذه عن الله سبحانه وتعالى، هو عندنا.

لهذا قال أمير المؤمنين عليهما السلام:

(نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، و مختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم) (٤).

وقال عَزِيزُهُمْ: (انظروا أهل بيت نبيكم، فالزموا سعتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوك من هدى، ولن يعيدهوك في ردئ، فإن لم يبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا) (٥).

فلهذا يعبر السيوري: اتفق أهل الحل والعقد من أمّة مُحَمَّدٍ ﷺ (على وجوب هذه المعرفة) التي ذكرناها، (وإجماعهم) يعني: وإجماع أهل الحل والعقد (حجّة اتفاقاً).

#### س ٤٩ : ما المراد من حجية إجماع أهل الحل والعقد وأنه حجّة اتفاقاً؟

ج: قبل الإجابة عن هذا السؤال أود - عزيزي القارئ - التمهيد له ببيان آراء الفقهاء في الإجماع ومدى حجيته، لابد من التذكير بأن الإجماع قسمان:

**الأول:** ما يكون في ثوابت الشريعة، فمعناه - كما يرى أحد العلماء - هو اتفاق عددٍ من الفقهاء يكشف اتفاقهم عن حكم الشريعة، وهو أمارة من الأمارات، وحجّيته قائمةٌ على أساس إفادته للاطمئنان عند العقلاة، ولأنه طريق عقلائيٌّ، ويتحدد بشروط سائر الأمارات التي ذكرت في كتب علم أصول الفقه.

**الثاني:** هو الذي يكون في التغيرات، أي في شؤون المسلمين المختلفة، فمعنى الإجماع آنئذٍ أكثرية الآراء، وحجّيته بعد إمضاءولي الأمر، تعتمد على حجية الشورى.

بعد هذه المقدمة نقول:

حكى العلامة الشيخ الأنصاري عن علماء السنة أن الإجماع هو: اتفاق جميع العلماء في عصر، أما علماء الشيعة فحكى قول البعض بأنه اتفاق أمة محمد ﷺ على وجه يشمل قول المعصوم علیه السلام ثم قال: فظاهر إطلاقهم - أي إطلاق علماء الشيعة - إرادة دخول قول الإمام علیه السلام وهذا هو الذي يدل عليه كلام المفيد، والمرتضى، وابن زهرة، والحقوق، والعلامة، والشهيدين، ومن تأخر عنهم.

وأما اتفاق من عدا الإمام بحيث يكشف عن صدور الحكم عن الإمام بقاعدة اللطف كما عن الشيخ الأنصاري فليست أو التقرير عن بعض المؤخرین، أو بحكم العادة القاضية باستحالة توافقهم على الخطأ مع كمال بذل الوسع في فهم الحكم الصادر عن الإمام علیه السلام فهذا ليس إجماعاً اصطلاحياً إلا أن ينضم قول الإمام المكشوف عنه باتفاق هؤلاء إلى أقوالهم<sup>(٦)</sup>.

وجريدة على هذه المقدمة نقول في محل بحثنا: أي: ما هو المراد من قول السيويري: إن إجماع أهل الحل والعقد حجة اتفاقاً، طبعاً المراد من الاتفاق يعني بينما نحن الإمامية وبين العامة لا فرق، وإجماعهم حجة اتفاقاً يعني: حجية الإجماع متفرقة بينما وبين العامة، وهذا قرينة على أن المراد من الاتفاق عندنا وعندهم، (أما عندنا فلدخول المعصوم علیه السلام فيهم)، وهذا ما يسمى بالإجماع الدخولي باعتبار أنهم ذكروا في محله: أنه إذا وجد إجماع من الفرقة الناجية، أي من العصابة المحتلة والمعصوم لا يرضي بذلك كان أن يذكر خلافاً وبعنوان مجهول النسب، يعني: نجد أن هناك من يخالف وهو مجهول النسب من أجل أن يوجد الخلاف في هذه الطائفة حتى لا يتحقق الإجماع، وحيث أنه لا يوجد خلاف في مسألة بحثنا نستكشف من هذا أن المعصوم علیه السلام راضٍ بهذا الإجماع، وإلا لوم

يُكَرِّرُ راضياً بِهِ لِأَفْهَمَ الْخَلَافَ فِيهِمْ وَلَوْ بِعْنَوْنَ مَجْهُولَ النَّسْبِ.

قال: أَمَا عَنْدَنَا فَلَدُخُولِ الْمَعْصُومِ عَلَيْهِ فِيهِمْ، أَيْ: فِي هُؤُلَاءِ الْجَمِيعِ (وَأَمَا عَنْهُمْ) يَعْنِي: عَنْ الْعَامَةِ فَلِقُولِهِ عَلَيْهِ (لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى خَطٍِّ) (٧).

س ٥٠ : لِقَائِلَ أَنْ يَقُولُ: مَا هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى مَعْرِفَةِ هَذِهِ الْمَعَارِفِ وَالْأَصْوَلِ  
الْخَمْسَةِ؟

ج: قال: (والدليل على وجوب المعرفة سندًا للإجماع) باعتبار أن الدليل الأول  
كان عندنا هو إجماع الطائفه.

وأما الدليل يقول: تأييداً وسندًا لهذا الإجماع فإما أن يكون عقلياً وإما  
سعياً، فالدليل ما هو؟ خبره كما يقول: (على وجهين: عقليٌّ وسعويٌّ).

س ٥١ : مَتى يَكُونُ الدَّلِيلُ الْعُقْلِيُّ سندًا للإجماع؟

ج: يكون الدليل العقلي سندًا للإجماع على وجوب معرفة الله سبحانه وتعالى  
على هاتين المقدمتين، أو حسب قول السيوري: (أَمَا الدَّلِيلُ الْعُقْلِيُّ) يكون موجباً  
لمعرفة الحق سبحانه (فلوجهين) اثنين:

أولاً: لوجوب دفع الخوف، لأنَّه أَمْ نَفْسَانِيٌّ

ثانياً: لوجوب شكر المنعم.

س ٥٢ : مَا هُوَ التَّوْضِيْحُ لِلْوَجْهِ الْأَوَّلِ؟

ج: يتضح ذلك من خلال ضرب المثال التالي:

إِنْ أَخْبَرْتَ طَفْلًّا بِدُخُولِ عَقْرَبٍ بَيْنَ طِيَّاتِ لِبَاسِكَ فَإِنَّكَ سَتَنْتَفِضُ مِنْ مَكَانِكَ  
وَتَنْزَعُ ثِيَابَكَ بِسُرْعَةٍ وَتَبْحَثُ بِكُلِّ دَقَّةٍ فِي زُواياهَا وَحُنَایاها حَتَّى تَعْثَرَ

على العقرب أو تطمئن إلى عدم وجودها فيها.

وهكذا لو سمعت قبل القيام بسفرةٍ ليليةٍ بأن هناك كميناً لمجموعةٍ من قطاع الطرق تتصدى للمسافرين على هذا الطريق فإنك لن ترفع قدماً عن قدم حتى تتأكد من خلو الطريق منهم.

إن المثالين السابقين يوضحان تماماً أن الاحتياط والتحسب من الخطير المتحمل ضروري بحكم العقل.

ومن الطبيعي أن نلتفت إلى أن بعض الأضرار قد تكون غير مهمةٍ ولذا لا يهتم لها البعض، ولكن لو كان خطورها يتوجه إلى النفس وينتهي بالقضاء على الحياة فإنه لا يمكن أن لا يحسب لها حسابها.

ولكن ما هي أعظم الأضرار؟

طبعاً إننا نعلم في تاريخ البشرية بوجود أشخاصٍ عرفوا بالصدق والاستقامة، وعرفوا أنفسهم بأنهم رسل الله، ودعوا الناس للاعتقاد بذلك والقيام بالنظام المبني عليه، وعلى أثر جهودهم وسعتهم الحديث في دعوتهم في أنحاء العالم، آمنت مجتمعات من الناس بهم بحيث أن يوم ولادة عيسى عليهما السلام أصبح مبدأً لتاريخ المسيحيين ويوم هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم أصبح مبدأً لتاريخ المسلمين.

ونحن نسأل أنفسنا الآن:

ترى أليس لأقوال هؤلاء الأنبياء عليهما السلام الذين دعوا الناس إلى الدين وإلى اتباع أوامر خاصة وحدروهم من جزاء أعمالهم السيئة وأن المحاكمة في محكمةٍ عظيمةٍ أمام حاكمٍ عالمٍ وعادلٍ أمرٌ حتميٌّ، وكذلك فإنهم كانوا يئنون ويضجرون من شدة أهوال القيمة وعدابها ويذرون الناس منها. أليس لأقوال هؤلاء ما لإخبار ذلك

ال طفل من توليد احتمال خطر صار متوجهاً إلى وجودنا؟!  
وهل أنه من الصحيح أن نتغاضى عن أقوال وأفعال المتدينين الحقيقيين في  
العالم، في حين أنهم صدوا وثبتوا على عقيدتهم وإيمانهم إلى النفس الأخير ولم  
يخلوا بأي غالٍ أو نفيسٍ في سبيل التضحية والفاء له؟  
إنه من الواضح أن أقوال الأنبياء الطاهرين عليهم السلام إن لم توجِد اليقين للإنسان  
فإنها على الأقل تدعو للتساؤل بأنه (من الممكن أن يكونوا صادقين).  
نعم، إن كان الأمر واقعاً كما يقول الأنبياء عليهم السلام فما هي مسؤوليتنا؟ وما  
جوابنا في محكمة العدل الإلهي؟

وهنا بالضبط يفرض العقل ما أسمينا بالتحسب والإعداد لدفع الضرر الذي  
هو محتمل على الأقل كما يعبر عنه علماء العقائد، ويدفعنا للبحث عن  
الدين ومعرفته.

هذا بالإضافة إلى أنهم دعوا الناس إلى حياة إنسانية سليمة وأنهم أكدوا  
ذلك على وجود عالمٍ وسيعٍ ونعمٍ خالدةٍ للمطبيعين بعد موتهم وجود عالم آخر  
هناك يفيض بالطمأنينة والسكينة الروحية، ولا مجال فيه للمرض والحزن والقلق  
والخوف مطلقاً.

فهل تحيز لنا عقولنا أن نتغاضى ونتسامي عن كل هذه الأخبار المهمة؟ ترى ألا  
يجب علينا بعد هذا أن نفك في تهديدات الأنبياء عليهم السلام ووعيدهم، إذ يحذرون  
بأن الذنب والعصيان يستتبع الجزاء؟  
ألا يجب السعي لمعرفة الدين والتفكير فيه بروية وعمق؟!

وبهذا نعلم أن عقولنا وفطرتنا هي التي تدفعنا لمعرفة الواقع الكوني  
واكتشاف الحقيقة الكبرى <sup>(٨)</sup>.

## س ٥٢ : هل من مصدق يكُون مَبْعِثاً لرفع الخوف؟

ج: من أكبر المصداقين هو النبي إبراهيم عليه السلام والذى كان يمثل قدوةً، وكان صديقاً، أي: صدق بكل ما أنزله الله تعالى، من هدىً وبرامج برغم كل الضغوط والصعوبات، وكان نبياً مرسلاً من قبل الله تعالى: فهو عليه السلام بطل التوحيد، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ كُرِّرَ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيًّا﴾

ثم تتطرق الآية إلى شرح محاورته مع أبيه آزر - والأب هنا إشارة إلى العم، فإن كلمة الأب، ترد أحياناً في اللغة العربية بمعنى الأب، وأحياناً بمعنى العم - فتقول: ﴿إِذْ قَالَ لَأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ (٩).

إن هذا البيان القصير القاطع من أحسن أدلة نفي الشرك وعبادة الأوثان، لأن أحد بواعث الإنسان في معرفة الرب هو باعث الربح والخسارة، والضر والنفع، والذي يعبر عنه علماء العقائد - كما تقدم - بمسألة (دفع الضر المحتمل).

فهو يقول: لماذا تتجه إلى معبودٍ ليس عاجزاً عن حل مشكلةٍ من مشاكلك وحسب، بل إنه لا يملك أصلاً القدرة على السمع والبصر، وبتعبير آخر: إن العبادة يجب أن تكون مبنية على حل المشاكل، ويدرك عباده وحاجاتهم، سميعٌ بصيرٌ، إلا أن هذه الأصنام فاقدةٌ لكل ذلك (١٠).

نعم لقد وصل إبراهيم عليه السلام بفطرته وبهدى ربِّه إلى نتيجةٍ وهي: إن عبادة الآلهة الحجرية خطأ لأنها لا تبصر ولا تسمع ولا تستطيع أن تفعل شيئاً.

وهنا نكتةُ أحب الإشارة إليها وهي:

إنه في كثير من الأوقات يصل أبناء البشر إلى نقطةٍ محوريةٍ فطريةٍ واضحةٍ ولكلهم بعدهنَّ يتركون الأمر، ولا يفكرون تفكيراً، جدياً في متابعة ما توصلوا إليه، بل كل إنسانٍ يعيش في مجتمعٍ فاسدٍ تبرق له بعض الأحيان من هدى ربه بارقة هدىًّا، لو سار وراءها لاهتدى، ولذلك نرى أن هؤلاء الذين يعيشون في أقصى الأرض بعيدون عن هدى الرسالات الإلهية، تبقى الله عليهم حجةٌ تمثل في أنهم في بعض لحظات حياتهم يصلون إلى بعض النتائج الأولية، ويجب أن تكون لديهم الشجاعة الكافية للاستمرار في الأخذ بها والبحث عمّا وراءها، أما إذا كانوا جبناء فلله عليهم حجة، لماذا جبوا ولماذا لم يهتدوا بنور عقلهم حين أضاء لهم الطريق؟

بعد رحلةٍ قفل أبو ذر الغفاري راجعاً إلى قبيلته، واتجه إلى صنمها يتبرك به  
كعادتهم حين يعودون من سفرٍ يبدؤون بأسنامهم فبرقت في نفسه بارقة هدىٌ!  
فسأل نفسه: إن الصنم ليس إلا صخرةً ضماءً، فلماذا أعبد الحجر الأصم؟ وما  
عساه أن يفعل بي؟ فقرر أن يجربه، ففكَر في خطٍّ بأن يضع أمام الصنم شيئاً من  
الطعام والشراب فإذا أكل وشرب فلا بد أنه على حق وهكذا فعل، فوضع أمامه  
قدحًا من اللبن وجلس عنده ناحيةً يراقب، فلم يطعم الصنم شيئاً فقال: ربنا  
يخرج مني، فذهب واختباً وراء صخرةٍ وأخذ يراقبه، وبعد فترةٍ إذا بتعلبان يأتيان  
ويشربان اللبن، ثم يتبولان على الصنم ويغادران المكان دون أن يمسهما الصنم

بأذى فأنشد أبو ذر يقول:

أربُّ يبول الثعلبان برأسه      لقد هان من بالت عليه الشعالب  
فترك عبادة الأصنام لأنها تولد الخوف لدى الإنسان وعلى الإنسان أن يتجنب  
نفسه هذا الخوف تنزلاً للعقل وللتفكير الحر، هكذا نجد إبراهيم عليه السلام يقول  
لوالده: ﴿يَا أَبَتِ لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾  
ومن هذه القصة نحصل على دليل اتباع العالم.

قرأنا في الآيات - محل البحث - أن إبراهيم عليه السلام قد دعا عمه آزر لاتباعه، مع  
كبير سنه وشهرته في المجتمع، ويدرك دليله على دعوته هذه فيقول: ﴿إِنِّي قَدْ  
جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾

إن هذا قانون عام في أن الذين لا يعلمون مسألة ما يتبعون العالمين فيما  
يجهلونه، وهذا في الواقع منهج الرجوع إلى المتخصصين في كل فنٍ، ومن جملة ما  
يبينه هذا المنهج مسألة تقليد المجتهد في فروع الأحكام الإسلامية.

من الواضح أن بحث إبراهيم عليه السلام لم يكن في المسائل المرتبطة بفروع الدين،  
بل كان يتحدث عن أهم أصل من أصول الدين، ولكن حتى في مثل هذه  
المسائل أيضاً يجب الاستعانة والاستفادة من إرشادات العالم، لتحصل المداية إلى  
الصراط السوي، الذي هو الصراط المستقيم (١١).

ومن هنا يأتي التأكيد على وجوب المعرفة لدفعها الخوف عن نفس الإنسان،  
حيث إنه إذا عرف الحق فإنه سيعرف بتبع ذلك أن الحق سبحانه متى يعاقب؟  
لأنه يرتكب مثلاً ما لا يرضاه، أو يترك ما هو واجب عليه ونحو ذلك، ومتى لا  
يعاقب، وهذه هي المقدمة الأولى للوجه الأول.

أما المقدمة الثانية للوجه الأول.

فهي أن دفع الخوف واجب باعتباره ألمٌ نفسيٌّ ودفعه يتم بدفع منشئه،  
والخوف من أي شيء ينشأ؟ طبعاً ينشأ من عدم المعرفة.

و بما أن المعرفة شيء ممكن، فإذاً يمكن بها دفع الخوف ورفعه وبالتالي يرتفع  
الألم النفسي.

إذن فالمعرفة تكون واجبة.

والمحصل من هذا الدليل: إن معرفة الحق سبحانه وتعالى دافعة للخوف، ودفع  
الخوف واجب إذن معرفة الحق سبحانه وتعالى واجبة.

#### س ٤ : ماذا قال السيوري بالنسبة للوجه الأول ولمقدمته؟

ج: قال: (الوجه الأول: إنها) أي إن المعرفة (دافعة للخوف الحاصل للإنسان  
من الاختلاف) هذه هي المقدمة الأولى في هذا الدليل وهي أن المعرفة تدفع  
الخوف، والذي يحصل -أي هذا الخوف- للإنسان من أي شيء؟ طبعاً يحصل من  
هذا الاختلاف الموجود في الواجب سبحانه وتعالى أنه موجود، أو ليس موجود  
أنه يعاقب أو لا يعاقب، أنه يثيب أو لا يثيب، وكيف يعاقب، فهذه كلها لو لم  
يتعرف عليها فإنها ستكون منشأ لخوف الإنسان، وهذه هي المقدمة الأولى.

المقدمة الثانية: (ودفعُ الخوفِ واجبٌ) ولسائل أن يقول لماذا إن دفع  
الخوف واجب؟ قال: (لأنَّه) أي: لأنَّ الخوفَ (ألمٌ نفسيٌّ) وهل كلُّ ألمٌ نفسيٌّ  
يجب دفعه؟ يقول: لا، وإنما هذا الألم النفسي بما أنه مقدرٌ عليه فيجب دفعه لأنَّ  
الوجوب لا يتعلّق بغير المقدر، فلو كان هذا الألم النفسي منشأه غير مقدرٍ

عليه لا يجب حينئذ دفعه، لأن الوجوب لا يتعلّق بغير المقدور، ولكن حيث إن هذا الخوف منشأه عدم المعرفة، وعدم المعرفة يمكن رفعها بالتعرف على الله سبحانه وتعالى، إذن يجب أن يدفع هذا الألم النفسي.

قال: لأن الخوف ألمٌ نفسيٌّ (يمكن دفعه) وقيده بهذا القيد لأنّه إذا كان ألمًا نفسيًا ولا يمكن دفعه فلا معنى لأن يكون واجبًا، إذن (في حكم العقل بوجوب دفعه) إذن (فيجب دفعه) وكيف يدفعه؟ طبعاً يدفعه بالتعرف، لأن هذا الألم منشأه الخوف، والخوف منشأه عدم المعرفة، ويمكن دفع هذا الخوف وذلك بالتعرف على الله سبحانه وتعالى.

هذا هو الدليل الأول لوجوب المعرفة.

#### س ٥٥ : ما هو الوجه الثاني الذي يكون موجباً لمعرفة الحق سبحانه وتعالى من خلال الدليل العقلي؟

ج: يتضح لنا هذا الوجه من خلال بعض التمهيدات المتعلقة بالنعم الإلهية وما يقتضي وبالتالي تجاهلها ما يلزم للمنعم عليه:

قال تعالى في حكم كتابه الكريم:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الْثَّمَرَاتِ رِزْفًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَءَاتَاهُمْ مِمْنُ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُو هَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (١٢).

تتطرق الآيات إلى معرفة الله عن طريق نعمه معرفة تؤدي إلى إحياء ذكره في القلوب، وتحث الإنسان على تعظيمه في مقابل لطفه وقدرته، لأن ذلك من

الأمور الفطرية التي يجد الإنسان فيها حبًّا وتعلقًا بالنسبة للذى يساعده ويرحمه بلطفه.

وكما أن ربنا يثبت الذين آمنوا بما آمنوا، فإن ضلالة الظالين تبدو منهم، ألا ترى كيف أنهم يبدلون نعمة التوحيد ونعمـة الرسالة وسائر النعم الإلهية المعنوية واللادـية إلى نـقمة بسبب كفرـهم بها، وترك شـكرـها، وهم يـقودـون قـومـهم إلى دارـ الملـاكـ في الآخرـةـ، أيـ في جـهـنـمـ حينـ يـحـترـقـونـ بـنـارـهـاـ، ويـسـتـقـرـونـ مـنـهـاـ مـكـانـاـ سـيـئـاـ وـهـمـ يـبـدـلـونـ نـعـمـةـ كـفـرـاـ حـينـ يـفـتـشـونـ عـنـ أـنـدـادـ لـهـمـ مـنـ سـلـطـاتـ جـورـ وـعـلـمـاءـ سـوـءـ، فـيـضـلـوـنـ بـهـمـ النـاسـ عـنـ اللـهـ، وـإـنـ مـصـيرـهـمـ إـلـىـ النـارـ.

لهـذاـ لـابـدـ لـلـمـؤـمـنـينـ مـنـ شـكـرـ اللـهـ عـلـىـ مـاـ أـنـعـمـ، فـهـوـ الـذـيـ خـلـقـ السـمـاـواتـ وـالـأـرـضـ، وـأـنـزـلـ مـنـ السـمـاءـ مـاءـ فـأـخـرـجـ بـهـ هـذـهـ الـثـمـرـاتـ مـتـنـوـعـةـ رـزـقـاـ مـبـارـكـاـ لـنـاـ، كـمـاـ سـخـرـ الـرـيـاحـ لـتـجـريـ الـفـلـكـ فـيـ الـبـحـرـ، وـسـخـرـ الـأـنـهـارـ، وـأـكـثـرـ مـنـ هـذـاـ سـخـرـ الشـمـسـ وـالـقـمـرـ يـعـمـلـانـ باـسـتـمـارـ لـوـ أـرـدـنـاـ تـعـدـاـهـاـ، كـلـ ذـلـكـ مـنـ أـجـلـ رـفـاهـنـاـ وـتـكـامـلـنـاـ، وـإـنـ إـلـيـانـ لـظـلـومـ يـطـغـيـ فـيـ الـأـرـضـ، وـيـكـفـرـ بـنـعـمـ اللـهـ، وـلـذـكـ يـكـونـ مـثـلـهـ، مـثـلـ شـجـرـةـ خـبـيـثـةـ اـجـتـسـتـ مـنـ فـوـقـ الـأـرـضـ مـاـ لـهـاـ مـنـ قـرـارـ.

مـنـ هـنـاـ نـعـرـفـ أـنـ الغـاـيـةـ مـنـ نـعـمـ اللـهـ عـلـىـ الـبـشـرـ أـنـ تـنـعـكـسـ فـيـ حـيـاتـهـمـ الـمـادـيةـ شـكـرـاـ فـيـ صـورـةـ الـوـصـولـ بـهـاـ إـلـىـ أـهـدـافـهـاـ، وـفـيـ حـيـاتـهـمـ الـمـعـنـوـيـةـ تـكـامـلـاـ وـهـدـيـاـ وـخـلـقـاـ رـفـيعـاـ، بـيـنـمـاـ تـرـىـ بـعـضـ كـبـراءـ الـكـفـرـ يـسـعـونـ فـيـ الـأـرـضـ فـسـادـاـ، فـبـدـلـ أـنـ يـطـعـمـوـاـ طـعـامـ يـتـلـفـونـهـ، وـبـدـلـ أـنـ يـطـعـمـوـاـ مـنـهـ الـبـائـسـ وـالـفـقـيرـ يـتـخـذـونـهـ وـسـيـلـةـ لـاـسـتـعـبـادـ النـاسـ وـتـذـلـيلـهـمـ، وـبـدـلـ أـنـ تـبـعـثـ النـعـمـةـ فـيـ أـنـفـسـهـمـ الرـضاـ وـالـسـكـينةـ يـزـدـادـونـ بـهـاـ طـغـيـانـاـ وـحـرـصـاـ وـإـسـرـافـاـ، وـبـالـتـالـيـ قـلـقاـ وـتـوـتـراـ، وـهـكـذـاـ يـبـدـلـونـ نـعـمـةـ اللـهـ إـلـىـ كـفـرـ.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفَّرَا ﴾

أظهر أمثلة نعمة الله هي نعمة الرسالة التي كفروا بها، ولا يزال الكبراء وأشياعهم من خدمة الكفر يكفرون بهذه النعمة ولا يشكرون.

ولكن هذه النعمة ليست الوحيدة التي لا يشكرونها بل هناك نعم أخرى كذلك يتخدونها وسيلة للكفر مثل نعمة السلطة و الرفاه والسلامة والأمن.

وهوؤلاء يجعلون قومهم في منزل الملاك بسبب كفرهم بالنعيم، فيقدون  
الضعفاء في حربٍ ضد أصحاب الرسالة.

أما المؤمنون بالرسالة فإنهم يشكرون هذه النعمة وذلك:

**أولاً:** بإقامة الصلاة وتنمية روح الإيمان بالله، لكي يزدادوا ثباتاً واستقامةً.

**ثانياً:** بالإإنفاق الذي هو بدوره يزيد النعم.

فإنفاق العلم بتعليمه، وإنفاق الجاه ببذلها، وإنفاق القوة بالتعاون مع البوساع، كل ذلك يزيد النعم، ول يكن الإنفاق سراً لضمان الإخلاص، وعلانيةً لتحدي الكفار.

وللنقي الآن نظرةً على توالي بعض النعم:

إن أعظم النعم هي نعمة الخلقة الأولى، ثم نعمة تسخير السماوات والأرض لنا بحيث نقدر على الاستفادة منها، ولو كانت ممتنعات عنا أو كنا عاجزين عن الانتفاع منها بجهل أو بضعف فمن الذي كان يسخرها لنا؟

﴿ إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ

الشَّمَراتِ رُزْقًا لَكُمْ ﴿١﴾

نعم أخي الكريم انظر إلى الطبيعة المخلوقة نظراً جديداً بعبراً و تفكيراً، فهل  
ترى غير نعم الله تحيط بك ؟

لماذا لا يهز ضميرك منظر المطر يهبط لك من السماء نعمةً ورحمةً، من الذي  
رفع ملايين الأطنان من مياه البحر بعد تصفيتها بالتبخير، ومزجها بأكسجين  
الفضاء، بنتروجين الرعود، ونشره في كل جهةٍ، من الذي جعل في الأرض  
الأملاح والخصوصية والبذور لتحول الأمطار فيها إلى ثمراتٍ مختلفةٍ؟!

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾

أو تزعم أن السفن تبحر في البحر بأمرك، فلو أن الرياح ركدت أو أن  
الأمواج تصاعدت، فهل جرت السفن حيث تشتهي.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾

كي تسقوا من مائها زرعكم، وتشربوا أنتم وأنعامكم، وفي كثير من الأحيان  
تكون طريقاً للسفن والقوارب، وتستفيدون منها في صيد الأسماك.

وليس موجودات الأرض - فقط - مسخرة لكم، بل:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ﴾

فالشمس التي هي أكبر من أرضنا بكثير، والقمر الذي هو أصغر من أرضنا  
كلٌ يجري في فلكٍ ونظامٍ بحيث ينفع الحياة فوق كوكبنا بضوئها وبجادل بيتهما  
وطريقة دورانهما، من الذي سخرهما أفالاً نشكره؟!

وعندما يعم الظلام الأرجاء تخند إلـى النوم براحةٍ نفسيةٍ، وعندما ينبعث ضياء النهار، تنبـع حـويةً وهـمةً.

وبالرغم من أن طموحات البشر لا تتحقق عادةً جميعها، ولكن هناك تناسب بين هذه الطموحات وبين عطاء الله سبحانه، فبقدر أملك في الله وسؤالك منه ينشر عليك نعمـة.

﴿وَإِنَّا كُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾

ففي ضيق الشدائـد، وعند المـهمـات تجـد فـرج الله وروحـه ﴿أَمَّنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْسِفُ السُّوءَ﴾ وعـندما تتـعب سـفينـة آمالـك تـرسـو عـلى شـاطـئ رـحـمة الله الـذـي يـقـول لـك: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وـهـنـاك تـجـد تـحـقـيق آمالـك وـتـخـاطـب ربـك قـائـلاً، (إـلهـي طـمـوح الـآمـال قد خـابـت إـلا لـديـكـ، وـمعـاـكـفـ الـهـمـمـ قد تعـطـلت إـلا عـلـيـكـ، ومـذاـهـبـ الـعـقـولـ قد سـمتـ إـلا إـلـيـكـ، فـأـنـتـ الرـجـاءـ وـإـلـيـكـ الـمـتـجـأـ) (١٣).

وـأـيـ نـعـمـةـ تـحـصـيـهاـ عـدـدـاـ، لـأـنـ النـعـمـ المـادـيـةـ وـالـعـنـوـيـةـ لـلـخـالـقـ شـملـتـ جـمـيعـ وجودـكـ وـهـيـ غـيرـ قـابـلـةـ لـلـإـحـصـاءـ، وـعـلـاوـةـ عـلـىـ ذـلـكـ فـإـنـ ماـ تـعـلـمـونـهـ مـنـ النـعـمـ أـقـلـ بـكـثـيرـ مـاـ لـاـ تـعـلـمـونـهـ.

إن كل خلية في بلايين الخلايا التي تشكل الجسم نـعـمـةـ كـبـرىـ يـعـجزـ القـلمـ عـنـ الإـحـاطـةـ بـهـاـ، -ـفـأـيـ نـعـمـةـ تـحـصـيـهاــ. وـكـيفـ، وـلـكـنـ أـنـتـ تـرـىـ الإـنـسـانـ كـيـفـ يـظـلـمـ نـفـسـهـ بـالـكـفـرـ بـنـعـمـ اللهـ، بـالـرـغـمـ مـنـ كـلـ هـذـهـ الـأـلـطـافـ وـالـنـعـمــ.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

فلـوـ كانـ الإـنـسـانـ يـسـتـفـيدـ مـنـ هـذـهـ النـعـمـ بـشـكـلـهـاـ الصـحـيـحـ لـاستـطـاعـ أـنـ

يجعل الدنيا حديقةً غناءً ولنفّذ مشروع المدينة الفاضلة، ولكن على أثر عدم الاستفادة الصحيحة لها أصبحت حياته مظلمةً، وأهدافه غير ساميةٍ ومشاكلها الصعبة قيدته بالسلال والأغلال.

ولهذا ترى أن أكثر الناس يظلمون أنفسهم والآخرين بالنعم فيتخذون من نعمة اللسان وسيلة التشهير والبهتان، ومن نعمة اليد البطش والاعتداء، ومن نعمة المال البخل والترف والاستعلاء، ومن نعمة القوة الاستكبار والقهر والديكتاتورية، وهكذا يكفرون بنعم الله، ولا يتحققون بها أهدافها النبيلة ولو فعلوا لكان ذلك شكرًا عمليًّا منهم (١٤).

## س ٥٦ : هل يمكن أن يتحقق الشكر بلا معرفة؟

ج: طبعًا لا يمكن، لهذا نقول، اعرفوا واهب النعم.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْدَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ انظُرُ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْأَيَّاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ (١٥) .

هذه الآية الشريفة فيها حثٌ استدلاليٌ على إيقاظ الغافلين ببيانٍ يعتمد غريزة دفع الضرر، فيبدأ بالقول، إنه إذا سلب منكم الله النعم الشفينة التي وهبها لكم، مثل السمع والبصر، وأغلق على قلوبكم أبواب التمييز بين الحسن والسيء، والحق والباطل، فمن يا ترى يستطيع أن يعيده إليكم تلك النعم؟

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْدَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ ﴾ فما يسمعه البشر وينقل إليه من تجارب الآخرين وعلومهم، أو ما يراه بنفسه ويحصل عليه من علمٍ وخبرٍ بصورةٍ مباشرةٍ، فإنهما نافذتان إلى القلب أو

الدماغ فلو ختم الله على قلب البشر، وأزال عنه مقاييسه العقلية، ومسبقاته الفطرية، فماذا يبقى عنده؟ لا شك أنه سوف يفقد القدرة على تعقل الأحساس، ويتجدد على ما يسمعه أو يراه دون أن يستبطنهما حقائق جديدة، أو يستدل بهما إلى ما وراءهما من حقائق وواقعيات.

إنه آنئذٍ يرى شعلة النار دون أن يعقل أن الشعلة نذير الحرارة، والحرارة سبيل الاحتراق والانتشار، وأنها لا تنشأ بلا سبب، وأن الذي أشعل النار كانت له دوافعه وأهدافه، كلا، إنه يرى الشعلة فقط، وقد يقع فيها ويحترق، كذلك الذي يختتم على قلبه، يقف في فهم الحقائق عند حدٍ معين دون أن يصل إلى الجذور البعيدة لها، يرى الفقر دون أن يعرف أن النظام الاقتصادي هو وراء الفقر، يرى المرض دون أن يعرف أن اللامبالاة في الوقاية هي السبب، يرى العجز الحضاري دون أن يهتدى إلى أن الطاغوت هو السبب المباشر أو غير المباشر له، وهكذا يبقى في العذاب أبداً.

ثم تقول الآية: انظر إلى هؤلاء الذين نشرح لهم ونبين الآيات بصورةٍ تفصيليةٍ وواضحةٍ.

﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾

ولكنهم مع ذلك يعرضون عنها:

﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِرُونَ﴾

أي أنهم بعد تصريف الآيات وبيانها تراهم يعرضون عنها كأنها لا تهمهم.

بينما لو فكروا قليلاً لأدركوا أن الإله الذي يتضرعون إليه عندما تضرب سفينتهم الأمواج العاتية التي تحمل في طياتها الموت، أو عندما يلفهم التيه

في الصحراء ويستبد بهم خوف الموت، أن هذا الإله هو الذي وفر لهم هذه الحياة الآمنة، وأنه لو شاء سلب الأمان من حياتهم، بل إن كل لحظة تمر بهم هي لحظة رعبٍ، ولو لا أمان الله القادر سلب منهم رحمته، وآنذاك يكون أبسط شيء في الحياة سبباً في هلاكهم، فلماذا لا يتضرعون إلى ربهم في هذه الأوقات التي يرعنون أنها عادلة؟!

أو تكون للإنسان أوقات عادلة، وأخرى استثنائية؟ أو لا يتحمل البشر في كل لحظة أن يأتيه الموت أو يُنزل عليه عذاب المرض أو المسكنة؟! ولماذا لا؟ أو ليست الحياة مليئة بهذه المفاجآت، كم لحظة حملت معها رعباً ودماراً، ونحن لم نكن نحسب لها حساباً، أو كنا نعرفها ولكن دون أن نستطيع مقاومتها، فلماذا الغرور إذن؟

وإذا تأملنا قليلاً في النعم الإلهية كنعم البیان، وخلق الإنسان، والحساب المنظم للزمان، وخلق النباتات وختلف الأشجار، وحاكمية السماء والستن والقوانين، وخلق الأرض بخصوصياتها المتعددة، وخلق الفاكهة والنخل والحبوب والورود والنباتات المعطرة مع جميع جزئياتها والأسرار الخفية في كل واحدة منها لكيانت كافية لأن تبعث الإحساس بالشكر في الإنسان وتدفعه إلى معرفة مبدئ هذه النعم والذي هو الله سبحانه (١٦).

إذن لابد من شكر المنعم الذي أنعم على الإنسان، فلو ترك الإنسان شكر المنعم فإنه سيكون مذماً للعقلاء على تركه الشكر، ومن هذا نفهم أن شكر المنعم واجب.

وهل يمكن أن تشكر النعم من غير أن تتعرف عليه؟

إن الهدف الأسمى لنعم الله على البشر ليس التكامل الجسدي والمادي، بل المعنوي والروحي، والتعرف على النعم وعلى أهميتها، وعلى الفوائد الكبيرة لها، والانتفاع بها فيما أمر الله، وفيما خصصت النعم لها، والتعرف من خلالها وبالتالي إلى ينبوع الخير ومعدن الرحمة، إلى الرفيق الأعلى، كل ذلك أسمى من الاستفادة الجزئية لهذه النعم حسب الحاجات العاجلة، وكل ذلك يجمعه معنى الشكر.

من هنا على الإنسان أن يسخر ما أنعم الله به عليه في طاعته وإعلاء كلمته، فإن الهدف الأعظم لنعم الله تعالى أن يهتدي بها الإنسان إلى المزيد من المعرفة بربه، وربنا في سورة النحل يقول وقد تعرض لذكر جانب من نعمه في الآية الخامسة عشر ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًّا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُّلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُو هَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٧).

إذن فالآهم من الاهتداء بالسبيل في الأرض وبالنجوم إلى معرفة الطرق والوصول إلى الأهداف المحددة، والأهم من معرفة عدد النعم، أن يهتدي الإنسان بذلك كله إلى ربه عز وجل.

من هنا يلزم على الإنسان أن يسخر ما أنعم الله به عليه في طاعته وإعلاء كلمته، بأن يجعل وجوده وكيانه في طاعته وخدمة الحق وأهله، ومحاربة الباطل وأعداء الله، فيستمع بأذنه علوم الحق ومواعظ الصدق، ويوظف بصره في النظر

إلى آيات ربه وكتابه، ويصيّر فؤاده وسيلةً لمعرفة الحق والتفكير فيما ينفع به رسالته ونفسه والناس، وهكذا سائر النعم والهبات الإلهية.

وإذا فعل الإنسان ذلك يكون شاكراً، ولا يتم الشكر إلا بمعرفة المنعم والتوجّه إليه به، فإن الإنسان عرضةً للشرك في الشكر أيضاً، وكم يكون البشر ظلوماً وجهولاً إذا أشرك بربه، أو كفر به وهو في هذه البحبوحة من النعم.

ولك أن تدرك مدى ضلال أولئك الذين أنكروا على الله أظهر أسمائه إذ قالوا: وما الرحمن؟!! وأنا وأنت قد لا نقول ذلك، ولا نكذب بآلاء الله بأسانتنا، ولكننا كثيراً ما نكذب بها بأعمالنا وسلوكتنا، وبغفلتنا عن الشكر.

الخليقة كلّها تجلياتٌ لرحمة الله، فهي وجهه ﴿وَلِهِ الْمَشْرُقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلَيْمٌ﴾ (١٨).

ولكنّ الإنسان حينما يضل ليس فقط لا يهتدي بالآثار إلى معرفة رحمة ربّه وشكّره، بل ويتحذّل النعم مطيةً للمزيد من التكذيب، فإذا أصبح غنيّاً ووجب عليه الشكر تراه يبطر معيشته، ويزداد ترفاً وفساداً في الأرض، أو حين ينّ عليه بالملل تراه يستعلي على الناس ويطغى ويستبد، ولعلّنا نجد إشارةً إلى ذلك كما في سورة الرحمن عند قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ﴾ إذا اعتبرنا الباء سبيلاً.

إنّ الحياة وهي وجه الله بكل مفرداتها السلبية والإيجابية تدعونا إلى الإيمان بالله والتصديق بآياته، والتسليم بالطاعة لأوامره، فما هو تبريرنا ونحن نكذب بالآله؟! لماذا ندخل في سجن ذواتنا أكثر عند كل نعمة، بدل أن نطلق منها إلى آفاق الإيمان بربّنا وربّها عز وجل؟! إنّنا عوض ذلك يجب أن نقول كلّما تذكرنا

النعمة، وكلّما انتفعنا بها، بل وكلّما قرأنا آيةً تذكرنا بآلاء ربّنا، ومن بينها وأهمّها الآية الكريمة ﴿فَيَأْلِهُ آلَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، يجب أن نقول: لا بشيءٍ من آلائك ربّنا نكذب، وذلك زيادةً في المدى والشكر والفضل من الله، ولا ريب أن الشكر لا يُقبل إلا من العارف، فالاهم من تصديق اللسان بالنعمة هو تصدق القلب والجوارح، فالذي يصدق بآلاء الله هو الذي يؤدي واجب الشكر له عز وجل، (ولا يعرف النعمة إلا الشّاكِر، ولا يشكّر النّعمة إلا العارف) كما قال الإمام العسكري عليه السلام (١٩).

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام (يا موسى أشكري حق شكري، فقال: يا ربّ كيف أشكرك حق شكرك وليس من شكرٍ أشكر به إلا وأنتَ أنعمتَ به عليّ؟! فقال يا موسى شكرتني حق شكري حين علمتَ أن ذلك مني) (٢٠).

إذن، وحيثُ أن شكر المنعم واجبٌ، و شكر المنعم يتوقف على معرفة الواجب، أي يتوقف على معرفة الحق، إذن تكون معرفة الحق أيضاً واجبةً لأنها مقدمةً لشكر المنعم.

#### س ٥٧ : ماذا قال السيوري بالنسبة للوجه الثاني؟ مع التوضيح.

ج: قال: أما دليل (الوجه الثاني: إن شكر المنعم واجب) وهذا واضحٌ لا يحتاج إلى دليل ويُدَمِّرُ تاركه (ولا يتمُّ) أي: شكر المنعم (إلا بالتعرف) فإن قال قائل نحن لا نقبل الكبri، فمن قال لكم أن شكر المنعم واجب؟! يقول: (أما أنه) يعني: شكر المنعم (واجب)، فلاستحقاق الذم عند العقلاء بتراكه) أي: بترك شكر المنعم، فإن قال قائل: من أين تثبتون الملازمة؟ ومن قال لكم أن شكر المنعم لا يتم إلا بالتعرف؟ قال: (واما أنه) أي: وأما أن شكر المنعم (لا يتم إلا بالتعرف) لماذا؟ (فلأن

الشكر إنما يكون بما يناسب حال المشكور، فهو مسبوقٌ بمعرفته) يعني: شكر المنعم مسبوقٌ بمعرفة ذلك المنعم، وإلا لعله لم يكن شكراً، بل كان كفراً لنعمته ولنعمته، (وإلا لم يكن شكراً والباري تعالى مُنعمٌ) إذن (فيجب شكره) وإذا وجب شكره (فيجب معرفته).

هذا بالنسبة إلى ما يرتبط بإثبات الواجب سبحانه وتعالى، لأنه نحن قلنا بأنه يجب التعرف على الواجب سبحانه وتعالى وعلى صفاته الإيجابية والثبوتية والسلبية وما يصح عليه وما يتمنع عليه، هذا ما يرتبط بمعرفة الله سبحانه وتعالى وصفاته الثبوتية، وقد ثبت هنا -أي بهذا الدليل العقلي-، والآن نسأل هذا السؤال التالي.

#### س ٥٨ : ما هو الدليل العقلي على وجوب معرفة الإمام، ووجوب معرفة النبي ووجوب معرفة المعاد، وأن هناك إماماً وأن هناكنبيّ؟

ج: طبعاً لا ندخل -الآن- في هذا البحث باعتبار أنه سيأتي الكلام عنه بعد ذلك، بأنه من مقتضى حكمة الله سبحانه وتعالى أن يبعث وأن يكلف الإنسان وأن يبين له ما هو الجائز له وما هو الحرام عليه، وما هو الواجب عليه ونحو ذلك، باعتبار أن العقل الذي زود به الإنسان، لا يولد عنده هذه القدرة التي بها يستطيع أن يشخص مصلحته من مفسدته، إذن يحتاج إلى رسالةٍ وإلى من يبلغه التكليف من الله سبحانه وتعالى، وحيث أن مقتضى الحكمة الإلهية هو إيصال كل مخلوقٍ إلى كماله الخاص به، إذن لابد من بعث رسولٍ ولا بد من بعث تكليفٍ فلهذا قال السيوري:

(ولما كان التكليف واجباً في الحكمة) باعتبار أن الله سبحانه هو

الحكيم المطلق، ومن حكمته لابد من تكليف العباد لكي يصلهم إلى الكمال المطلوب لهم، (كما سيأتي) في محله إن شاء الله إذن (وجب معرفة مبلغه) أي: مبلغ هذا التكليف، ومن هو الذي يبلغ هذا التكليف الإلهي؟ (و) المبلغ (هو النبي ﷺ و) وجوب أيضاً معرفة (حافظه) أي: حافظ هذا التكليف لأنك تعلم عزيزي القارئ - أن الأئمة عليهما السلام هم الذين حفظوا الشريعة وأداموا بقاءها، فحافظ التكليف من هو؟ (وهو الإمام علي عليهما السلام) وجوب كذلك (معرفة المعاد).

وقد تساءل - قارئي الكريم - لماذا تجحب معرفة المعاد؟ فنقول: إن هذا التكليف لابد وأن يترب على الثواب والعقاب، ويترتب عليه الجزاء، وحيث أن الجزاء ليس في هذا العالم، إذن لابد أن يكون في عالم آخر، لهذا فمعرفة المعاد واجبة وذلك (لاستلزم التكليف وجوب الجزاء)، باعتبار أن التكليف يستلزم أن يكون هناك جزاءٌ وإلا إذا كان هناك تكليفٌ بالوجوب والحرمة ولا جزاء فلماذا يلتزم الإنسان؟! نعم من كان مثل أمير المؤمنين عليهما السلام يقول: (إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك ولا طمعاً في ثوابك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك) (٢١).

نعم لقد عظم المعبد عز وجل في نفس الإمام علي عليهما السلام فصارت عبادته تعبراً عن الحب له والشوق إليه، واستشعاراً لأهليته للعبادة دون سواه، ومن أجل ذلك كان علي عليهما السلام لا يعبد الله خوفاً من عذابه، ولا طمعاً في جنته ولا فيما أعده من نعيم للمتقين، وإنما سما الإمام علي عليهما السلام في علاقته بالله تعالى إلى أعلى الدرجات أسوةً بأستاذه الرسول ﷺ.

نعم لقد كشف الإمام علي عليهما السلام بقوله عن جوهر علاقته بالله تعالى وطبيعتها، فأعظم به من يقين، وأكرم به من إيمان!!

ولقد حدد الإمام علي عليهما السلام ألوان العبادة في كلمةٍ خالدةٍ:

(إن قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك  
عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكرًا فتلك عبادة الأحرار) (٢٢).

وكانت عبادته عليه السلام من النوع الأخير، حيث تصدر كحصيلة للشعور بأهلية  
العبد واستحقاقه لها.

أما إيقاف العبادة على حصول الشواب فحسب، فهي عبادة من وصفهم  
الإمام عليه السلام بالتجار، الذين يتغرون الشمن ويتظرون التعويض، وشتان بين هدف  
الشاكرين، وهدف التجار في ميزان الله تعالى وحسابه (٢٣).

والمحصل من كلامنا في بحثنا:

أنه إذا لم يكن هناك لا جنة ولا نارٌ ولم يكن هناك جزاءٌ فلا إشكال ولا شبهة  
أنه لا محل لامثال الواجبات ولا اجتناب المحرمات، هذا تمام الكلام في الدليل  
العلقي.

#### س ٥٩ : متى يكون الدليل السمعي سندًا للإجماع؟

ج: يقول السيوري: (وأما الدليل السمعي فلوجهين) اثنين كذلك:

أما (الوجه الأول) وهو واضح حيث قال: (قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا  
الله﴾ (٤))

أي: أعلم أيها الإنسان أن أفضل وسيلة للنجاة هو التوحيد، فهو الدواء  
الشافي، فالتجيء إليه، ولا تطلب حل معضلاتك إلا منه، ولا تخف سيل المشاكل،  
ولا تخش كثرة الأعداء.

﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرُ الْمُخْتَيِّنَ﴾ (٢٥).

المختون في الآية الشريفة هم الذين سلّموا لأوامر الله سبحانه وتعالى،  
وسلّموا لوحدانيته.

أما اليهود والنصارى أسلموا للأخبار والرهبان وقبلوا تشريعاتهم دون أن  
يخضعوا لله ويعملوا بشرائعه.

قال القرآن الكريم: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحِ﴾  
ابن مَرْيَمَ.

الأخبار: جمع حبر ومعناه: العالم الذي يقوم ببيان العلم وهو عالم النصارى  
واليهود.

والرهبان: جمع الراهب وهو: الذي يخشى الله، ويلبس مسوح العبادة، وهو  
عند اليهود والنصارى المتفرغ للعبادة فترك دنياه وسكن الدير، فهو الزاهد في  
الدنيا والمكب على العبادة.

وما لا شك فيه أن اليهود والنصارى لم يسجدوا للأخبارهم ورهبانهم، ولم  
 يصلوا لهم، ولم يصوموا، ولم يؤدوا أية عبادة لهم أبداً، لكن لما كانوا منقادين لهم  
 بالطاعة دون قيدٍ أو شرطٍ، بحيث كانوا يعتقدون بوجوب تنفيذ حتى الأحكام  
 المخالفه لحكم الله من قبلهم، فالقرآن عَرَّ عن هذا التقليد الأعمى بالعبادة.

وهذا المعنى واردٌ في رواية عن الإمامين الباقي والصادق عليهما السلام إذ قالا: (أما والله  
 ما صاموا لهم ولا صلووا، ولكنهم أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً  
 فاتبعوهم وعبدوهم من حيث لا يشعرون) (٢٦).

وفي حديث آخر: إنّ عدي بن حاتم قال: (وفدت على رسول الله صلوات الله عليه وسلم وكان  
 في رقبتي صليبٌ من الذهب، فقال لي صلوات الله عليه وسلم: يا عدي ألق هذا الصنم عن

رقتك، ففعلت ذلك، ثم دنوت منه فسمعته يتلو الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ فلما أتم الآية قلت له: نحن لا نتخذ أئمتنا أرباباً أبداً: فقال: ألم يحرموا حلال الله و يجعلوا حرامه فتبعوه؟ فقلت: بلـى، فقال ﷺ: فهذه عبادتهم) (٢٧).

والدليل على هذا الموضوع واضح، لأن التقنين خاص بالله، وليس لأحد سواه أن يجعل أو يحرم للناس، أو يجعل قانوناً، والشيء الوحيد الذي يستطيع الإنسان أن يجعله هو أن يكتشف قوانين الله و يطبق عليها مصاديق الأمور مورد الحاجة.

فبناءً على ذلك لو أقدم أحد على وضع قانون يخالف قانون الله، و قبله إنسان آخر دون قيدٍ أو اعتراضٍ بقوله: لِمَ و علام؟ - مثلاً - فقد عبد غير الله؟ وهذا بنفسه نوعٌ من أنواع الشرك العملي، و بتعبير آخر: هو عبادة غير الله.

ويظهر من القرائن أن اليهود والنصارى يرون مثل هذا الاختيار لزعمائهم، بحيث لهم أن يغيروا ما يرونه صالحًا بحسب نظرهم، وما يزال بعض المسيحيين يطلب العفو من القس فيقول له القس: عفوت عنك! وكان - منذ زمن - موضوع صكوك الغفران رائجاً.

وفي ختام الآية تأكيدٌ على هذه المسألة، وهي أن جميع هذه العبادات للبشر بدعة، وهي من العبادات الموضعية.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٨) (٢٩)

لها نرى أن الوجه الأول يقول: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ يعني يجب عليك ﴿فَاعْلَمْ﴾ صيغة فعل الأمر موجودة، فيجب عليك أن تعلم أن الله سبحانه

وتعالى: لا إله - في هذا العالم يعني التوحيد - إلا الله سبحانه وتعالى، طبعاً هناك مراتب للتوحيد سيأتي بيانها في محلها إن شاء الله تعالى.

(والامر) في قوله: فاعلم، لماذا جاء طبعاً (للوجوب) كما درستم في محله من علم الأصول، باعتبار أن مادة الأمر من الألفاظ الظاهرة في الوجوب والدالة عليه، وذلك لأن (العقل يستقل بلزوم الانبعاث عن بعث المولى و الانزجار عن زجره قضاءً لحق المولوية و العبودية) (٣٠).

#### س ٦٠ : ما هو الوجه الثاني للدليل السمعي لوجوب المعرفة؟

ج: لهذا الدليل عندنا طريقان:

**الطريق الأول من خلال القرآن الكريم** وذلك لما نزل من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الْأَبْلَابِ﴾ (٣١) .

وهذه الآية الشريفة تعتبر من أوضح السبل لمعرفة الله تعالى ولها أولتها الأحاديث والأخبار المرورية أهمية خاصةً ومكانةً ساميةً بين غيرها من الآيات.

(عن عطاء بن رباح قال قلت لعائشة: أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ قال: أي شأن لم يكن عجبًا، إنه أتاني ليلةً فدخل معي في لحافي ثم قال: ذريني أتعبد لرببي، فقام فتوضاً ثم قام يصلي، فبكى حتى سالت دموعه على صدره فركع فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فأذنه بالصلاحة، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ ولم لا أفعل وقد أنزل عليّ هذه الليلة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ

لِأَوْلَى الْأَلْبَابِ ﴿١﴾ - إلى قوله - ﴿سُبْحَانَكَ فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ثم قال: ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها) (٣٢).

والعبارة الأخيرة التي تأمر الجميع - بتأكيدٍ كبيرٍ - بأن يفكروا في هذه الآيات، رويت روايات عديدة بعباراتٍ مختلفةٍ تحت على هذا الأمر.

وفي روايةٍ منقولٍ عن أمير المؤمنين عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام لصلاة الليل يسوّك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (٣٣).

وورد عن الأئمة علية السلام من أهل البيت الأمر بقراءة هذه الآيات الخمس وقت القيام بالليل للصلوة (٣٤).

ولا شك - عزيزي القارئ - أن آيات القرآن الكريم ليست للقراءة والتلاوة فقط، بل هي نزلت لكي يفهم الناس مقاصدتها ويدركوا معانيها، وما التلاوة والقراءة إلا مقدمة لتحقيق هذا الهدف أي التفكير والتدبر والفهم، وهذا جاء القرآن في الآية الأولى من الآيات الحاضرة يشير إلى عظمة خلق السماوات والأرض، ويقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأَوْلَى الْأَلْبَابِ﴾

\*\*\* \*\*\* \*\*\*

## المواهش:

(١) سورة الأنبياء عليه السلام، الآية ٢٣.

(٢) تفسير الأمثل ج ١٠ ص ١٣٣.

(٣) ميزان الحكمة ج ٦ ص ٥٣٤ ح رقم ١٣٨٦٧.

- (٤) ميزان الحكمة ج ١ ص ١٩٢ ح رقم .٩٢٠
- (٥) نفس المصدر رقم ح ٩١٨.
- (٦) انظر فرائد الأصول ص ٤٩ .
- (٧) انظر نهج الفصاحة، حرف اللام.
- (٨) نقاً عن دروس في أصول الدين من منشورات في طريق الحق .
- (٩) سورة مريم ﷺ، الآية ٤١ - ٤٢ .
- (١٠) تفسير الأمثل بتصرف ج ٩ ص ٤٠٤ .
- (١١) انظر التفسير الأمثل ج ٩ ص ٤٠٦ .
- (١٢) سورة إبراهيم ﷺ، الآية ٣٤ - ٣٣ .
- (١٣) من أدعية ليلة الجمعة مفاتيح الجنان قسم أعمال ليلة الجمعة.
- (١٤) تفسير الأمثل بتصرف .
- (١٥) سورة الأنعام، الآية ٤٦.
- (١٦) تفسير الأمثل بتصرف ج ٥ و ح ٢٣ .
- (١٧) سورة النحل، الآيات ١٨ - ١٧ - ١٦ - ١٥ .
- (١٨) سورة البقرة، الآية ١١٥ .
- (١٩) ميزان الحكمة ج ٥ ح رقم ٩٥٨٦ .
- (٢٠) بحار الأنوار، ج ٧٨ ص ٣٧٨ .
- (٢١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٤ .
- (٢٢) نفس المصدر.
- (٢٣) سلسلة حياة النبي محمد ﷺ وأهل بيته ﷺ ج ٢ ص ١٠٦ .
- (٢٤) سورة محمد ﷺ، الآية ١٩ .
- (٢٥) سورة الحج، الآية ٣٤ .

(٢٦) مجمع البيان ذيل الآية.

(٢٧) مجمع البيان ذيل الآية.

(٢٨) سورة التوبة، الآية ٣١.

(٢٩) تفسير الأمثل ج ٦ بتصرف .

(٣٠) أصول الفقه للمظفر ج ١ ص ٥٦ .

(٣١) سورة آل عمران، الآية ١٩٠.

(٣٢) تفسير الدر المنشور ج ٢ ص ١١١، وتفسير الرازي في ذيل الآية.

(٣٣) تفسير نور الثقلين ومجمع البيان.

(٣٤) نفس المصدر.

شَرِّقًا وَغَرْبًا لَنْ تَجِدَا عَلَمًا  
صَحِيحًا إِلَّا شَيئًا يَخْرُجُ  
مِنْ عَنْدِنَا أَهْلُ الْبَيْتِ .

الإمام الباقر عليه السلام

# الشفاعة في المنظور الإسلامي

موسى جعفر حسن

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على شفاعة الأنام محمدٌ وآلـه الطيبين الطاهرين وللعنـة الدائمة على أعدائهم أجمعين .

وبعد، فإن هذا البحث هو من بحثٍ موسِّعٍ كتبته حول الشفاعة ، و هو يمثل فصلاً من فصوله، وقد أوجزته مراعاةً للاختصار .

## سبب الكتابة:

هي محاولة المشاركة في توضيح مفهوم الشفاعة في الإسلام وما له وما عليه بأسلوبٍ مختصرٍ وبعيدٍ عن التعقيد ، وتجنب المصطلحات الكلامية قدر الإمكان إلا القليل مما يتطلب ذكره .

هذا ونسأـ الله تبارك وتعالـي التوفيق لخدمة الإسلام العزيـز وأهـله والقبول، وأن يشملـنا بالشفاعة يوم لا ينفع مـال ولا بنـون إلا من أتـى الله بـقلب سـليم .

## تعريف الشفاعة:

قال الخليل في العين: الشافع : الطالب لغيره ، وتقول استشـفتـ بـفـلان فـتشـفـ لـي إـلـيـه فـشـفـعـه فـي الـاسـمـ : الشـفـاعـةـ وـاسـمـ الطـالـبـ : الشـفـيعـ (١)

وقال الراغب في المفردات : الشـفـعـ : ضـمـ الشـيـءـ إـلـيـ مـثـلـهـ وـيـقـالـ لـلـمـشـفـوعـ شـفـعـ، وـالـشـفـاعـةـ اـنـضـمـاـمـ إـلـيـ آخرـ نـاصـرـاـ لـهـ وـسـائـلـاـ عـنـهـ ، وـأـكـثـرـ ماـ يـسـتـعـمـلـ فـيـ اـنـضـمـاـمـ مـنـ هـوـ أـعـلـىـ حـرـمـةـ وـمـرـتـبـةـ إـلـيـ مـنـ هـوـ أـدـنـىـ (٢)

ويقول صاحب الميزان<sup>(٢)</sup>: ما هي الشفاعة؟ الشفاعة : هي من الشفع مقابل الوتر كأن الشفيع ينضم إلى الوسيلة الناقصة التي مع المستشفع فيصير به زوجاً بعدهما كان فرداً فيقوى على نيل ما يريده لو لم يكن يناله وحده لنقص وسليته وضعفها وقصورها <sup>(٣)</sup> وإلى غيرها من التعريفات التي لا تختلف عن بعضها في المضمون .

### التعريف اصطلاحاً:

أما التعريف اصطلاحاً فهي مقام للشفيع مقتضاه أن يشفع الشفيع للمشفوع له عند الله عز وجل لقضاء الحاجات سواءً الدنيوية أو الأخروية ، وقد تخصص الشفاعة اصطلاحاً بالآخرة (دون الدنيا) للدخول الجنة والنجاة من النار إذ وقتها يوم الحساب كل بحسبه في التقديم والتأخير .

ويقول السيد الإمام الخميني العظيم<sup>(٤)</sup> في بحث حول الشفاعة في رد الشبهات : (الشفاعة في الحقيقة دعاء النبي والإمام أن يغفر الله (عز وجل) ذنب هذا الشخص ) <sup>(٤)</sup>

### موقف علماء الإسلام من الشفاعة <sup>(٥)</sup>:

أجمع علماء الأمة الإسلامية على أن النبي ﷺ أحد الشفعاء يوم القيمة بدليل قوله تعالى : «وَأَسْوَفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» <sup>(٦)</sup> والذي أعطي هو حق الشفاعة ، وقوله تعالى : «عَسَى أَنْ يَبْعَثَنَا رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً» <sup>(٧)</sup> ولعل هناك اتفاق لدى المفسرين على أن المقام الحمود هو مقام الشفاعة ، ونذكر بعض آراء علماء المسلمين على سبيل المثال لا الحصر .

١- أبو منصور الماتريدي السمرقندى (إمام أهل السنة في المشرق الإسلامي

في القرن الرابع الهجري ) قال بعد أن ذكر قوله تعالى ﴿وَلَا يَقْبِلُ مِنْهَا شَفَاعةٌ﴾<sup>(٨)</sup> وقوله تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَتَنَّصِي﴾<sup>(٩)</sup> قال : إن الآية الأولى وإن كانت تبني الشفاعة ، ولكن هنا شفاعة مقبولة في الإسلام وهي التي تشير إليها الآية )

٢- تاج الإسلام أبو بكر الكلبازمي قال : إن العلماء قد أجمعوا على أن الإقرار بجملة ما ذكر الله سبحانه وجاءت به الروايات عن النبي ﷺ في الشفاعة واجب .

٣- الإمام أبو حفص النسفي قال : والشفاعة ثابتة للرسول والأخيار في حق الكبار بالمستفيض من الأخبار، وقد أيده التفتازاني على ذلك

٤- القاضي عياض بن موسى قال : مذهب أهل السنة هو جواز الشفاعة عقلاً ووجودها سعياً بتصريح الآيات وبخبر الصادق ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لذنبي المؤمنين ، وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها .

٥- الإمام ناصر الدين أحمد الإسكندراني المالكي قال: وأما من جحد الشفاعة فهو جدير أن لا ينالها ، وأما من آمن بها وصدقها وهم أهل السنة والجماعة فأولئك يرجون رحمة الله ، ومعتقدهم أنها تناول العصاة من المؤمنين وإنما ادخرت لهم.

٦- الفتال النيسابوري قال: لا خلاف بين المسلمين أن الشفاعة ثابتة مقتضاها إسقاط المضار والعقوبات

٧- الرصاص : إن شفاعة النبي ﷺ يوم القيمة ثابتة قاطعة .

٨- ابن تيمية الحراني الدمشقي قال : للنبي ﷺ في يوم القيمة ثلاثة شفاعات ..... وأما الشفاعة الثالثة فيشفع في من استحق النار وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم فيمن استحق النار أن لا يدخلها ويشفع فيمن دخلها .

٩- نظام الدين القوشجي : اتفق المسلمون على ثبوت الشفاعة .

١٠- محمد بن عبد الوهاب قال : وثبتت الشفاعة لنبينا محمد ﷺ يوم القيمة ولسائر الأنبياء والملائكة والأولياء والأطفال حسبما ورد ، ونسألهما من المالك لها والأذن فيها بأن نقول : اللهم شفع نبينا مهداً فينا يوم القيمة أو اللهم شفع فينا عبادك الصالحين ، أو ملائكتك ، أو نحو ذلك مما يطلب من الله لا منهم ، إلى أن قال : إن الشفاعة حق في الآخرة ، ووجب على كل مسلم الإيمان بشفاعته ، بل وغيره من الشفعاء إلا أن رجاءها من الله ، فالمتعين على كل مسلم صرف وجهه إلى ربه ، فإذا مات استشفع الله فيه نبيه .

### الشفاعة في القرآن الكريم:

#### أقسام الشفاعة في القرآن الكريم ( التقسيم القرآني للشفاعة ) :

وردت الشفاعة في القرآن الكريم بألفاظها المتنوعة ثلاثين مرة وهي على قسمين ما ينفي الشفاعة وما يثبت الشفاعة ( وهناك قسم آخر ما ينفي الشفاعة عن جماعة معينة ) وكل الأصناف الآتية الذكر تدرج تحت أحد هذه الأقسام :

١- ما ينفي الشفاعة في حق الكفار ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنَعَّمُهُ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ (١٠)

٢- ما ينفي صحة عقيدة اليهود في الشفاعة من أنه يكفيهم الانتماء للشريعة

لليل الشفاعة ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾ (١١)

٣- ما ينفي شمول الشفاعة للكفار ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبْعِثُ فِيهِ وَلَا خِلَةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١٢)

٤- ما ينفي صلاحية الأصنام للشفاعة ﴿ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُمُ الَّذِينَ زَعْمَتُمْ أَنَّهُمْ فِيْكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرْزَعُمُونَ ﴾ (١٣)

٥- يخص الشفاعة به سبحانه ﴿ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَئِنَّهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلَيُّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١٤)

٦- ما يثبت الشفاعة لغيره سبحانه بشروط ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أُذْنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ (١٥)

٧- ما يسمى من تقبل شفاعته (الملايكه) ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانُهُ بَلْ عِبَادُ مُكْرَمُونَ لَا يَسْتَقِونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَصَى وَهُمْ مِّنْ حَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ (١٦)

### أقسام الشفاعة:

يقسم العلامة الطباطبائي قدر (١٧) الشفاعة إلى قسمين رئيسين، الشفاعة التكوينية ، والشفاعة التشريعية. فأما الأولى فهي جملة الأسباب الكونية شفاعة عند الله بما هم وسائل بينه وبين الأشياء، وأما الثانية فهي الواقعه في عالم التكليف والمحازاة فمنها المغفرة والتوبة والإيمان والعمل الصالح والقرآن وكل ما له ارتباط بعمل صالح والمسجد والأمكنة المباركة والأيام الشريفة ومنها الأنبياء والرسل والملايكه والمؤمنون ومنها أيضاً الشفيع يوم القيمة بما فيهن الأنبياء

والأئمة والملائكة والشهداء بالحق (شهادة الأعمال) والمؤمنون .

وقد قسم بعضهم<sup>(١٨)</sup> الشفاعة إلى ثلاثة أقسام، التكوينية، والقيادية والمصطلحة. أما التكوينية فقد مر ببيانها، وأما القيادية فهي قيام قيادة الأنبياء والأولياء والأئمة والعلماء والكتب السماوية مقام الشفيع والشفاعة في تخلص البشر من عواقب أعمالهم وأثار سيئاتهم، وتعني الشفاعة المصطلحة أن تصل رحمة الله ومغفرته وفيضه إلى عباده عن طريق أوليائه وصفوة عباده ، فكأنما التقسيم الثاني قد قسم الشفاعة التشريعية التي أشار إليها العلامة الطباطبائي ق إلى قسمين، والفرق بين الشفاعة القيادية و الشفاعة المصطلحة أن القيادية توجب أن لا يقع العبد في عداد العصاة حتى يستحق، والمصطلحة توجب رفع العذاب عن العبد بعد استحقاقه له .

#### متعلق الشفاعة (أثر الشفاعة):

ما هي نتيجة الشفاعة؟ هل هو حط ذنب المذنبين وإسقاط العقاب والمضار عنهم والعفو عن العصاة، أم زيادة الثواب ورفع الدرجات للمطاعين؟  
لقد ذهب جمهور وأكثر المسلمين إلى الأول وهو إسقاط العقاب والمضار، أما المعتزلة فتمسكت بالقول الآخر<sup>(١٩)</sup>

أما عن الوعيد بالخلود في النار فقال الشيخ المفيد في أوائل المقالات<sup>(٢٠)</sup> باتفاق الإمامية على أن الخلود في النار موجه إلى الكفار خاصة ، دون مرتكبي الذنب من أهل المعرفة بالله تعالى والإقرار بفرائضه من أهل الصلاة و نقل إجماع المعتزلة على خلاف ذلك وزعمهم أن الوعيد بالخلود في النار عام في الكفار وجميع فساق أهل الصلاة .

كما نقل إجماع الإمامية على أن من عذب بذنبه من أهل الإقرار والمعرفة والصلوة لم يخلد في العذاب وأنخرج من النار إلى الجنة كما نقل إجماع المعتزلة على خلاف ذلك وزعمهم أنه لا يخرج من النار أحد دخلها للعذاب .

وقد نسب العلامة الحلي فـ<sup>ف</sup>يئـ<sup>ف</sup> هذا القول ( لا يخرج من النار أحد ) إلى بعض

المنتزلة لا جميعهم<sup>(٢١)</sup>

وي يكن الاستدلال بجواز العفو عن العصاة عقلاً ونقلأً، أما العقل فإن العقاب حق الله تعالى فيجوز تركه، وأما النقل فأيات العفو والمغفرة كثيرة، فأمـا الآية التي تستثنـي الشرك فهي في حق غير التائب بدليل قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾<sup>(٢٢)</sup> بل حتى العفو بدون التوبة لقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَغْفُرُ عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾<sup>(٢٣)</sup> وقوله ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيْكُمْ وَيَغْفُرُ عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>(٢٤)</sup>

### شروط شفاعة الشفيع:

- ١- الإذن الإلهي بالشفاعة .
- ٢- أن لا يكون هو بنفسه من أهل المعصية .
- ٣- الشهادة بالحق .
- ٤- أن يكون قادراً على تقييم درجات إطاعة الآخرين وعصيانهم .

### شروط المشفوع له:

- ١- أن يكون الشخص مرضياً عند الله من حيث دينه وإيمانه .
- ٢- الإذن الإلهي .

٣ - أن يكون مؤمناً حقاً بالله والأنبياء ويوم القيمة وكل ما نزل على النبي ﷺ.

٤ - أن يكون مؤمناً بالشفاعة ذاتها وأنها على حق .

٥ - أن يبقى ثابتاً على إيمانه حتى نهاية عمره .

بعض الأحاديث الواردة في الشفاعة عند أهل السنة من كتاب الشفاعة

للشيخ السبحاني فلتراتجع المصادر منه عن الرسول ﷺ قال :

١ - (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإنني اختبأت دعوتي لأمتى وهي نائلة من مات منهم لا يشرك بالله شيئاً).

٢ - (أعطيت خمساً ... وأعطيت الشفاعة فادخرتها لأمتى فهي لمن لا يشرك بالله شيئاً).

٣ - (شفاعتي نائلة إن شاء الله من مات ولا يشرك بالله شيئاً).

٤ - في تفسير قوله ﴿عَسَى أَنْ يَعْثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾: (هو المقام الذي أشفع لأمتى فيه).

٥ - (أنا أول شافع وأول مشفع).

٦ - (شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه).

٧ - (إن شفاعتي يوم القيمة لأهل الكبائر من أمتي).

٨ - (رأيت ما تلقى أمتي بعدي (أي من الذنوب) فسألت الله أن يوليني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل).

٩ - (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه).

- ١٠- (أنا أول شافع في الجنة).
- ١١- (شفاعتي لكل مسلم).
- ١٢- (إذا كان يوم القيمة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر).
- ١٣- (أنا سيد ولد آدم وأول شافع وأول مشفع ولا فخر).
- ١٤- (إنني لأرجو أن أشفع يوم القيمة عدد ما على الأرض من شجرة ومدرة).
- ١٥- (ليخرجن قوم من أمي من النار بشفاعتي يسمون الجهنميين).
- وغيرها الكثير الكثير من الروايات المنقولة في كتب الحديث لدى الفريقيين المفيدة لاستفاضة الحديث بل التواتر

#### **بعض الشبهات والإشكالات حول الشفاعة:**

**أولاً:** أن هناك بعض الآيات القرآنية تنفي الشفاعة عن أحد في يوم القيمة وأيضاً هناك آيات تنفي الانتفاع من الشفاعة.

**الجواب:** أن الشفاعة تنقسم إلى قسمين، شفاعة صحيحة وشفاعة باطلة، وهذه الآيات تنفي الشفاعة الباطلة العشوائية التي لا تتوافر فيها شروط وضوابط الشفاعة المذكورة فهي تنفي الشفاعة أو الانتفاع بها عن طائفة معينة، هذا بالإضافة إلى أنها عامة وتحصص بالآيات التي تدل على قبول الشفاعة بإذنه تعالى

**ثانياً:** إن رفع العقاب عن الجرم يوم القيمة بعدما أثبته الله تعالى بالوعيد إما أن يكون عدلاً أو ظلماً، فإن كان عدلاً كان أصل الحكم بالعقاب ظلماً وهذا يخالف ما هو ثابت له سبحانه وتعالى، وإن كان ظلماً كان شفاعة الشفيع كالأنبياء طلباً

للظلم منه تعالى وهذا لا يجوز نسبته إليهم .

**الجواب:** إن إثبات العقاب أو الحكم ورفعه كليهما من العدل والحكمة، فالحكم بالعقاب ناظر لارتكاب المعصية والمخالفة دون النظر للمقتضيات التي توجب تحقق الشفاعة وقوبها في حق العصاة، و الحكم برفع العقاب إنما تم بسبب حصول تلك المقتضيات التي توجب تتحقق الشفاعة .

**ثالثاً:** إن الله اعتبر اتباع الشيطان سبباً في التعرض لعذاب النار في قوله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ أَتَبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٢٥) وفي الواقع، إن تعذيب العصاة في الآخرة من السنن الإلهية، ونحن نعلم أن السنن الإلهية لا تقبل التغيير والتبدل، لقوله تعالى ﴿فَلَنْ تَحِدَ لِسُنْنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَحِدَ لِسُنْنَةِ اللَّهِ تَخْوِيلًا﴾ (٢٦) فكيف تتغير هذه السنة الإلهية في مجال الشفاعة؟

**الجواب:** إن قبول الشفاعة في حق المذنب المتوفى على شروطها، من السنن الإلهية التي لا تقبل التغيير أو التبدل، هذا بالإضافة إلى أن السنة الإلهية غير المختلفة أو القابلة للتبدل ليست قائمة على أصل صفة واحدة من صفاته تعالى بل هي قائمة على ما تستوجبه جميع صفاته، فوقع الشفاعة وارتفاع العقاب وذلك نتيجة عدة من الأسباب كالرحمة والمغفرة والحكم والقضاء وإعطاء كل ذي حق حقه والفصل في القضاء، لا يوجب اختلافاً في السنة الإلهية .

**رابعاً:** يلزم من الشفاعة أن يخضع الله تعالى لتأثير الشفيع لأن شفاعتهم توجب المغفرة فيجب على الله قبوها

**الجواب:** إن أفعال العباد هي التي تكون موجبة لحصول القابلية لقبول الشفاعة

بتوفر شروط القابلية للشفاعة بالنسبة للعباد والشفاعة لا تكون إلا بإذنه تعالى .

**خامساً:اللازم من الشفاعة أن يكون الشففاء أكثر رحمة وشفقة من الله الرحيم، وذلك أنه لو لا شفاعتهم ل تعرض العصاة للعذاب أو خلدو فيه .**

**الجواب:**أن رحمة الشففاء مقتبسة من رحمة الله تعالى المطلقة، وأن الشفاعة وسيلة للعفو عن عباده المذنبين وأن الشففاء هم أسباب ووسائل لنيل الشفاعة وذلك للتعبير عن أسمى مراتب الرحمة الإلهية التي يظهرها على يد عباده الصالحين والمصطفين لتبيين مكانتهم وكرامتهم عند الله تبارك وتعالى .

**سادساً:**إن وعد الشفاعة منه تعالى أو تبليغها في الأنبياء عليهما السلام مستلزم لتجري الناس على المعصية وتماديهم في ارتكاب المعاصي وإغراء لهم على هتك محارم الله تعالى وهو منافٍ لغرض الدين وهو سوق الناس إلى العبودية والطاعة .

**الجواب:**إن شمول الشفاعة مشروطٌ باحتفاظ المشفوع له بإيمانه حتى آخر لحظات عمره فلا يعلم هل ينال الشفاعة أو لا ومن جانب آخر إن من ارتكب معصيةً لو فقد كل الأمل والرجاء بالعفو فإنه سوف يصاب باليأس الذي يؤدي إلى ضعف الباعث له على اجتناب المعصية ويكون دافعاً له لمواصلة الخطأ .

**سابعاً:**إن تأثير الشفاعة في رفع العقاب هو تأثير عمل الغير في السعادة والخلاص من الشقاء، بينما الآية الشريفة ﴿وَأَنَّ لَيْسَ لِلنَّاسَ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٢٧) تدل على أن سعي الشخص نفسه ، هو الذي يوصله للسعادة .

**الجواب:**إن الشخص الذي تشمله الشفاعة يبذل جهداً وسيعاً في سبيل تحصيل مقدمات السعادة وإن كان ذلك السعي سعيًّا ناقصاً وقصيراً فلهذا النقص والقصور سيتبلّى بمتاعب البرزخ ومواقف القيامة و لربما دخل النار لفترة

ولكن تأسيسه للسعادة بإيمانه هو الذي يوصله لها وذلك مستند ومعتمد على سعيه وجهده، فتأثير الشفاعة لا ينفي جهد الشخص وسعيه.

ثامناً: إن ما نطق به القرآن آيات متشابهة تنفيها تارةً وتثبتها أخرى، وربما قيدتها وربما أطلقتها، والأدب الديني الإيمان بها، وإرجاع علمها إلى الله تعالى .

### الجواب: أحد الأمرين:

١- أن المتشابهة من الآيات تصير بإرجاعها إلى المحكمات محكمات مثلها وهذا على قول أن التشابه في المعنى (السيد العلامة الطباطبائي فقیہ)

٢- أن المتشابهة من الآيات تصير محكمات بتحديد المصدق (السيد الشهید الصدر فقیہ) هذا بالإضافة لبعض الشبهات التي قد ذكرت مع أجوبيتها في كل من تفسير الميزان وكشف الأسرار وكذلك كتاب الشفاعة للسيد الحيدري وغيرهم، فمن أراد الاطلاع فليراجع .

### الخلاصة:

هي ثبوت الشفاعة في الإسلام بشتى مذاهبهم وإن حاول بعضهم تضييقها، وإثبات ذلك لا يحتاج إلى عناءٍ زائدٍ، وللشفاعة شروطٌ متعلقة بالشفعي كما أن هناك شروطاً متعلقةً بالمشفوع له ، وهناك تقسيماتٌ تذكر للشفاعة، أما الشبهات والإشكالات الواردة على الشفاعة فقد ردّها علماؤنا بأجوبة شافية وقد ذكر بعضها .

ملاحظة: قد اعتمد البحث على الآيات القرآنية والروايات فلم نذكرها للاختصار.

## المواهش:

- (١) العين ج ١ ص ٢٦٠ الخليل الفراهيدي
- (٢) المفردات ص ٢٦٣ الراغب الأصفهاني
- (٣) تفسير الميزان ج ١ ص ١٥٨ .
- (٤) كشف الأسرار ص ٩٢ للسيد الإمام الخميني العظيم قده .
- (٥) راجع الشفاعة للشيخ السبحاني .
- (٦) سورة الضحى، الآية ٥ .
- (٧) سورة الإسراء، الآية ٧٩ .
- (٨) سورة البقرة، الآية ٤٨ .
- (٩) سورة الأنبياء عليهم السلام ، الآية ٢٨ .
- (١٠) سورة المدثر، الآيات ٤٦ – ٤٧ .
- (١١) سورة البقرة، الآية ٤٨ .
- (١٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٤ .
- (١٣) سورة الأنعام، الآية ٩٤ .
- (١٤) سورة الأنعام، الآية ٥١ .
- (١٥) سورة طه عليه السلام ، الآية ١٠٩ .
- (١٦) سورة الأنبياء عليهم السلام الآيات ٢٦ – ٢٨ .
- (١٧) تفسير الميزان ج ١ ص ١٧٣ .
- (١٨) الإلهيات ج ٤ ص ٣٤٢ للشيخ السبحاني .
- (١٩) مفاهيم القرآن ج ٤ ص ٢٤٦ للشيخ السبحاني .

- (٢٠) أوائل المقالات القول في الوعيد، القول في الشفاعة .
- (٢١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، المسألة الخامسة في المقصد السادس .
- (٢٢) سورة الزمر، الآية ٥٣ .
- (٢٣) سورة الشورى، الآية ٢٥ .
- (٢٤) سورة الشورى، الآية ٣٠ .
- (٢٥) سورة الحجر، الآيات ٤٢ – ٤٣ .
- (٢٦) سورة فاطر، الآية ٤٣ .
- (٢٧) سورة النجم، الآية ٣٩ .

شَفَاعِتِي مَنْ شَهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ  
إِلَّا اللَّهُ مَخْلُصًا يُصَدِّقُ قَلْبُهُ  
لِسَانَهُ وَلِسَانُهُ قَلْبُهُ .

رسول الله ﷺ

# كتمان الأسرار في نظام اللائحة وصفات اللائق

## نظرة قرآنية وروائية

عبد الله علي البناء

الحمد لله كثيراً والصلوة والسلام على صفوته خلقه محمد وآلهماء..

روي عن الإمام علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ حديث بليغ في خصال المؤمن هذا نصه: (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاط خصال؛ سنة من ربه، وسنة من نبيه، وسنة من وليه.. فأما السنة من ربه فكتمان سره، قال الله جل جلاله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولِ﴾، وأما السنة من نبيه فمداراة الناس فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، وأما السنة من وليه فالصبر في البأس والضراء، يقول جل جلاله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١)

هذا النص الشريف يقرر أن هذه الخصال الثلاث هي من أساسيات الإيمان وأركانه، وليس من الصفات الثانوية في حياة المؤمن، وهذا يتضح جلياً من خلال دراسة هذه الخصال دراسة علمية وتطبيقية. لكن الغرض من هذه المقالة هو بحث خصوص الخصلة الأولى حتى لا يتسع البحث ويتشتت.

### كتمان الأسرار من صفات الجبار:

لقد أوضح لنا هذا النص النوراني عن أبي الحسن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ أن هذه الخصلة المهمة قبل أن تكون من الخصال الإنسانية، هي خصلة إلهية، وقد مثلت

مظهراً من مظاهر سلطان الله في الوجود، وهي التي تحدث عنها القرآن كثيراً تحت عنوان (الغيب)، ومن أبرز الآيات في ذلك الآية التي استشهد بها الإمام في هذا النص وهي قوله سبحانه: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولِ﴾<sup>(٢)</sup> فإن الغيب هو سر الله عز وجل..

ويكمن تقسيم الغيب إلى قسمين: قسم يستحيل أن ينكشف إلى الخلق لعدم قدرتهم على الإحاطة به عقلاً وتكويناً كالحقيقة الإلهية.

وقسم يمكن أن يطلع عليه الخلق ولو اطلاقاً علمياً وبتعليم وكشف من الله سبحانه، ولكن الله عز وجل يمحبه عن خلقه نوعاً من الحجب، ثم يكشفه لهم في حينه ووقته المناسب، وذلك ضمن نظامه الأكمل، فحكمة النظام تقتضي هكذا نطأً من الغيوب.

وقد ساق القرآن هذا الأمر مساق سنة إلهية يمكن أن نعبر عنها بـ (سنة الاستئثار بالغيب) إذ يقول سبحانه في سورة آل عمران: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمْيِنَ الْخَيْثُ مِنَ الطَّيْبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعُكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وباللحظة سياق هذه الآية يتبيّن أنها آخر الآيات التي تحدثت عن معركة أحد وأحداثها، ولذا فهي تطرح لنا نتيجةً مهمةً أفرزتها هذه المعركة التي مثلت تجربة مرّة وحرجة خاصّها المسلمين، وهذه النتيجة هي عملية الفرز والتمييز في صفوف المسلمين، فإن المسلمين ما كانوا يعرفون إلا عدواً واحداً لهم وهم الكفار، ولم تكن قضية (المنافقين) قضيةً شاخصةً أمام أعينهم قبل حادثة (أحد)، ولكن الهزيمة التي أفرزتها (أحد)، وما دب في المسلمين على أثرها من الضعف

وقتئذ مهد الأرضية لنشاط المنافقين المنديسين في صفوف المسلمين، وعلى أثر ذلك عرف المسلمون وأدركوا بأن لهم عدواً آخر يجب أن يرافقوا تحركاته ونشاطاته، وكان هذا الأمر واحداً من أهم معطيات حادثة (أحد) ونتائجها الإيجابية (٤) .

### وقفة مع سنن الآية المباركة:

الآية المباركة أشارت إلى ثلات سنن مرتبطة مع بعضها ومتداخلة فيما بينها،  
**(الأولى): (سنة الامتياز)** ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَيْثُ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، فتعبير ﴿مَا كَانَ﴾ يدل على أن ترك الامتياز وفرز الحقائق المكنونة في النفوس - ترك ذلك - ليس من شأنه سبحانه ولا من طريقته، مما يعني أن الامتياز سنة ثابتة وقانون عام لله في خلقه، وهذا دالة كل الآيات التي تشتمل على هذا التعبير الدقيق في القرآن الكريم..

إذن فالامتياز لا بد منه، ولا بد أن تظهر حقائق الأشخاص، غاية الأمر أن تقديره إلهي، فقد يتقدم، وقد يتأخر، قد يكون في الدنيا، وهذا كثير، ويمكن أن يتأخر للآخرة، لكنه حينئذ حتميٌّ وتأمٌّ، وفي الدنيا له طرق وأنحاء، وفي الآخرة أيضا له أنحاء وطرق، ومن أهم طرق الامتياز في الدنيا هو الابتلاء.

والابتلاء هو **(السنة الثانية)** التي تشير إليها الآية الكريمة؛ إذ كانت معركة أحد من أهم ساحات الابتلاء ومراحله التي مر بها المسلمون، فالأحداث العصبية تظهر جواهر الرجال، ومن يقف منهم ويضحى، ومن ينهزم.. من يقف في صف المؤمنين ويدافع عنهم، ومن يقف في صف أعدائهم.

فكشف المنافقون ولكن بعد كل تلك التضحيات ودماء الشهداء، ومنهم سيد الشهداء حمزة، وما حصل للرسول وأصحابه من جراحات وآلام..

ولذا قد يتساءل البعض: لماذا لا يكشف الله عز وجل لنا الحقائق وي Miz  
الصفوف بدون كل هذه التضحيات والابتلاءات العصبية؟!

وتحبيب الآية على هذا التساؤل المستبطن المتوقع ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلَعُكُمْ عَلَى  
الْغَيْبِ﴾ وهذه هي سنة الاستئثار بالغيب أو صفة كتمان السر من الصفات  
الإلهية، وهي صفة منبعثة من حكمة الله عز وجل<sup>(٥)</sup>.

والإمام الرضا عليه السلام في النص المقدم ينقلنا نقلة رائعة من هذه الصفة  
والحصلة الإلهية إلى الصفة الإنسانية، فكتمان الأسرار عند الإنسان هي صفة  
كمال كما هي من الصفات الكمالية لله عز وجل.

ولكن..

### ما هي الأسرار؟

لذكر أخاطأً مهمةً منها:

#### ١- أسرار العبادة:

فهناك عبادات علنية، والعلن له قيمة فيها، وهناك عبادات سرية تكون  
السرية امتيازاً فيها<sup>(٦)</sup>، وهذا القسم الثاني قسم مهم في حياة المؤمن، وكمال له،  
 وإفشاؤه نقص وربما صار خطيئة!!

فقد روی عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (من عمل حسنة سراً كتب له سراً،  
فإذا أقر بها محيت وكتب جهراً (أي صارت أقل درجة)، فإذا أقر بها ثانياً محيت  
وكتب رباءً)

كما روی عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: (الإبقاء على العمل أشد من العمل،  
قال (الراوي): وما الإبقاء على العمل؟ قال: يصل الرجل بصلة وينفق نفقة الله

وحده لا شريك له، فتكتب له سراً، ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية، ثم يذكرها فتمحى وتنكتب رباءً<sup>(٧)</sup>.

فالمؤمن لا يتكلم عن أسرار عباداته، ولا أسرار الناس في ذلك، فقد قال رسول الله ﷺ: (أعظم العبادة أجرًا أخفها)، وقال أمير المؤمنين علي عليهما السلام: (من كنوز البر إخفاء العمل، والصبر على الرزايا، وكتمان المصائب)<sup>(٨)</sup>.

وفي هذا الحديث الأخير إشارة إلى نمط آخر من الأسرار كتمانه من كنوز البر، وهو أسرار المصائب الشخصية والخاصة، ونكتفي بإشارة هذا النص الشريف عن الإبراز والتفصيل لهذا النمط الذي هو غير بعيد عن النمط الثالث الذي سيأتي.

لكتنا هنا ننبه القارئ الكريم على ملاحظة مهمة وهي أن كل ما نذكره من الأسرار وكتمانها هنا إنما هو طبقاً لحكمها العام، ولا شك أن هذه الأحكام العامة لها استثناءات في حالات خاصة، وبتعبير آخر: كل هذا الطرح ليس طرحاً قانونياً رياضياً، وإنما هو طرح تربوي له تطبيقاته الملائمة، وله استثناءاته الكثيرة، فلا بد من التأمل والوعي وإعمال الحكمة العملية في مقام التطبيق والعمل.

## ٢- الذنوب والعيوب الخفية:

فإن الله سبحانه سtar ويرحب بالستر، ويبغض إفشاء الذنوب كثيراً، والمذنب أن يتوب ويعترف لله وحده خير له من أن يعترف للآخرين مهما كان هؤلاء الآخرون، يقول أمير المؤمنين علیه السلام في ذاك الرجل الذي جاءه وأقر على نفسه بالزنا، والإمام يصرفه عنه مرة بعد أخرى، حتى أقر أربعاء، يقول علیه السلام وهو

مغضب: (ما أقبح بالرجل منكم أن يأتي هذه الفواحش فيفضح نفسه على رؤوس الملا، أفلأ تاب في بيته؟! فو الله لتوبيه فيما بينه وبين الله أفضل من إقامتي عليه الحد!).

وقال أيضاً ﷺ في موقف آخر شبيه بهذا الموقف: (أيعجز أحدكم إذا قارف هذه السيئة أن يستر على نفسه كما ستر الله عليه؟!).<sup>(٤)</sup>

والأخطر من ذلك إفشاء ذنوب الآخرين؛ فإنه داخل في إشاعة وإذاعة الفحشاء التي هي من الكبائر التي توعد عليها القرآن صريحاً بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشْيَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾<sup>(٥)</sup> ، وهو سقوط أخلاقي وداخل في الكلمة العامة التي قالها الصادق ﷺ: (إفشاء السر سقوط).<sup>(٦)</sup>

### ٣- الشؤون الخاصة (العائلية والشخصية):

وهكذا شؤون الآخرين وأسرارهم، يقول أمير المؤمنين ﷺ: (من كتم سره كانت الخيرة بيده)، وهو ﷺ يشير بذلك إلى قوله الآخر: (سرك أسيرك، فإن أفشيته صرت أسيره)، وقال ﷺ: (سرك سرورك إن كتمته، وإن أذعته كان ثبورك).<sup>(٧)</sup>

فرب قضية خاصة بك أنت على قناعة بها، ولكن آخرين من حولك لو ظهرت لهم أثارت استغرابهم أو استنكارهم، فكان ظهورها تعباً لك وتبعه عليك..

وقال الصادق ﷺ: (أمر الناس بخصلتين فضييعهما فصاروا منهما على غير شيء: الصبر والكتمان).<sup>(٨)</sup>

وقول الصادق عليه السلام يصدقه الواقع؛ إذ قل في الناس من قل كلامه، ومن كثر  
كلامه لم يحفظ في قلبه سراً.

### الرموز الدينية وحفظ الأسرار:

لئن كان حفظ الأسرار واجباً على عموم المؤمنين، فهو على علماء الدين  
وطلاب العلوم الدينية والخطباء والبلغين أوجب؛ إذ أنهم:  
من جهة هم أعرف الناس بأسرار بعضهم، وكذلك بأسرار الناس الذين  
يثقون بهم، فيعرضون عليهم مشاكلهم وقضاياهم الخاصة.

ومن جهة أخرى إفشاء السر من الرمز الديني هو أكثر انتشاراً وخطورةً  
وتأثيراً، خصوصاً إذا كان متعلقاً برمز ديني آخر.

وهناك مجموعة روايات كلها بعضها متقاربة، مع أنها رويت عن عدة من  
المعصومين عليهما السلام، مما يكشف عن أهمية هذا المضمون.. والذى يستشعر من هذا  
المضمون هو الحديث عن خصلة الكتمان عند الأشخاص المهمين في المجتمع  
حينما يواجهون قضايا الناس الحساسة والتي هي مثار فتن واختلافات، فيكون  
دورهم هو دور الملجأ الآمن للناس من الفتن المظلمة، وذلك من خلال علمهم  
وهدائهم وصمتهم الحكيم من غير جفوة أو قطيعةٍ للناس..

لاحظوا كل هذا المضمون الرفيع في قول الرسول ﷺ: (طوبى لعبد نومة  
(ومن هو صاحب هذا الوصف؟) قال ﷺ: (عرفه الله ولم يعرفه الناس (أي هذه  
بداية حقيقته قبل أن يعرف الله به خلقه) أولئك مصابيح المدى، وينابيع العلم،  
ينجلي عنهم كل فتنة مظلمة، ليسوا بالذاييع البذر (أي يحفظون ويكتمون أسراراً  
في قلوبهم) ولا بالجفاة المرائين) (١٤).

فيما ترى هل هناك أولى من علماء الدين ورموزه في أن ينطبق عليهم هذا الوصف (أولئك مصابيح المدى، وينابيع العلم، يتجلّى عنهم كل فتنة مظلمة، ليسوا بالذaiع البدُر، ولا بالجففة المرائين)؟!

#### ٤- (نمط خاص من الأسرار):

في ختام حديثنا عن هذه الخصلة لا أجد بداً من ذكر نمط مهم جداً من الأسرار أكدت عليه الروايات كثيراً كثيراً، وجعلت كتمانه جهاداً في سبيل الله، وأحب الخصال إلى الله، وإذاعته مروقاً عن الدين، وجحوداً بالولاية.. وهذه الأسرار هي: (أسرار المذهب وأئمتة عليّة).

قال الصادق ع: (كتمان سرنا جهاد في سبيل الله).

وقال ع: (إن أمرنا مستور مقنع بالليثاق، فمن هتك علينا أذله الله)

وقال سليمان بن خالد: (يا سليمان إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله)

وقال ع: (ليس هذا الأمر معرفته و لا ياته فقط حتى تستره عمن ليس من أهله، وبحسبكم أن تقولوا ما قلنا، وتصمتوا عما صمتنا)

وقال ع: (من أذاع علينا حديثنا فهو بمنزلة من جحدنا حقنا)

وقال ع: (من أذاع علينا حديثنا سلبه الله الإيّان)

وقال ع: (ما قتلنا من أذاع حديثنا قتل خطأ، ولكن قتلنا قتل عمد).

وقال الباقر ع: (إن أحب أصحابي إلي أورعهم وأفقهم وأكتمهم لحديثنا).

وأخيراً قال الصادق ع أيضاً: (إن الله عز وجل جعل الدين دولتين: دولة آدم وهي دولة الله، ودولة إبليس، فإذا أراد الله أن يعبد علانية كانت دولة آدم،

وإذا أراد الله أن يعبد في السر كانت دولة إبليس، والمذيع لما أراد الله ستّره مارق من الدين) (١٥)

وكتمان الأسرار هنا نوع من التقية، فيدخل أيضاً في روایات التقية والتي هي أيضاً شديدة اللحن جداً، وتكشف عن خطورة الموضوع.

### ما هي أسرار المذهب؟

والقصد من هذا العرض الإشارة وليس البحث، فأقول: من أسرار المذهب:

١- نفس الانتقام للمذهب كان سراً في عصر المعصومين عليهما السلام؛ لأن الزمن ما كان زمن أهل البيت، ولم تكن الدولة دولة الحق (فلم تكن دولة آدم وإنما كانت دولة إبليس)، فربما كانت تهمة الانتقام للمذهب كافية للقتل، فدولة إبليس كانت تسعى جاهدةً للقضاء على كل المذهب من قيادة ومن أتباع! ولا زال أصل الانتقام يمثل خطاً على الكثيرين في بعض بلداننا الإسلامية حتى هذا العصر!!

فلا زال كتمان الانتقام - ولو ببعض المستويات الظاهرية - ضرورياً للكثيرين!

٢- النظرة النقدية اللاذعة لبعض شخصيات التاريخ الإسلامي، وهي مسألة البراءة من أعداء الإسلام الحق.

٣- مقامات أهل البيت العلمية والعملية التي لا يتحملها الطرف الآخر ويراها غلواً، خصوصاً المقامات التي لا يمكن أن يستوعبها إلا بعد إيمانه بأصل الإمامة وقناعته بعصمة الأنبياء عليهما السلام واتصالهم بالله سبحانه اتصالاً غيبياً.

وهكذا بعض نظرات الأنبياء عليهما السلام في العقائد والمعارف وغيرها مما تحتاج إلى

قناعة بالقائل أيضاً. وأظن أن بعض الروايات السابقة فيها إشارة إلى هذا النحو من الأسرار.

ولكن في عصرنا الحاضر التشيع كيان عالمي، وله حضور دولي ودولة كبيرة ومهما، هذا من جهة، ومن جهة أخرى وسائل العصر تكاد تكشف كل الأسرار وتثير كل القضايا الخاصة.. فما هي وظيفتنا الشرعية فعلاً؟

من الواضح أن التقية قد تضيق أبعادها اليوم بمقتضى هذه الظروف الموضوعية، ولكننا لا زلنا بحاجة إلى جملة من أبعادها، ولذا فلا يجوز لنا أن نجري وراء كل ما يطرح ويثار من قضايانا الخاصة ونساق معها انسياقاً، بل لا بد من التفكير جيداً في وظيفتنا الشرعية، فالمسألة من أساسها حكم شرعى مهم وخطير، وأى استثناء منها هو حكم شرعى آخر، فلا بد من الرجوع في ذلك إلى المراجع والقيادات الشرعية، خصوصاً وأن هذه القضية ليست شخصية، ولا يمكن حصر آثارها دون أن تمس الدين والمذهب من قيادة وأتباع، ومن هنا تفهم بعداً من أبعاد قول الصادق عليه السلام: (فمن هتك علينا أذله الله).

وقوله عليه السلام: (ما قتلنا من أذاع حديثنا قتل خطأ، ولكن قتلنا قتل عمد) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآلته الطاهرين، وسلم تسليماً كثيراً.

## المواهش:

(١) بخار الأنوار: ٢٤: ٣٩.

(٢) سورة الجن، الآيات ٢٦ - ٢٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٧٩.

(٤) لاحظ تفسير الأمثل: ٣: ١٩، الطبعة ال بيروتية.

(٥) وبحسب الإشارة التحليلية الجيدة التي ألفت لها صاحب التفسير الأمثل، قال هنا: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ يُطْلِعُكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ أي أن الله سبحانه لن يوقفكم على الأسرار؛ لأن الإيقاف على الأسرار -على عكس ما يظن كثيرون- لن يجعل مشكلةً، ولن يفك عقدةً، بل سيؤدي إلى المرج والمرج والفووضى، وإلى تزق العلاقات الاجتماعية وانهيارها، وانطفاء شعلة الأمل في النفوس وتبدده، وتوقف الناس عن الحركة والنشاط والفعالية.. والأهم من كل ذلك هو أنه لا بد أن تتضح قيمة الأشخاص من خلال الموقف العملية والسلوكية، وليس عن أي طريق آخر... ثم قال: إن الله سبحانه يستثنى الأنبياء من هذا الحكم إذ يقول: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي أنه يختار في كل عصر من بين أنبيائه من يطلعهم على شيء من تلك الغيب ويوقفهم على بعض الأسرار بحكم احتياج القيادة الرسالية إلى ذلك. (٣: ١٩).

(٦) وكميزان عام نميز به بين عبادات السر وعبادات العلن يحدثنا الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: (ما كان من الصدقة والصلة والصوم وأعمال البر كلها طوعاً فأفضلها ما كان سراً، وما كان من ذلك واجباً مفروضاً فأفضلها أن يعلن به)، ولكن مسألة الاقتداء لمن هو في مقام تربية الآخرين مسألة تربوية مهمة وتستند كثيراً على جانب العلن، ولذا أثر عن النبي الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: (السر أفضل من العلانية، والعلانية لمن أراد الاقتداء) (ميزان

الحكمة:٤:١٣٧٩)، لكن تطبيق هذه الموازين في مواردها يحتاج إلى مزيد من التأمل والحكمة العملية.

(٧) ميزان الحكمة: ٤: ١٣٧٨.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) الوسائل: ٢٦: ٣٦، ح: ٢، ٦.

(١٠) سورة النور، الآية ١٩.

(١١) ميزان الحكمة: ٤: ١٧١٢.

(١٢) نفس المصدر.

(١٣) ميزان الحكمة: ٨: ٣٥٣٤.

(١٤) ميزان الحكمة: ٨: ٣٥٣٦.

(١٥) ميزان الحكمة: ٨: ٣٥٣٤ - ٣٥٣٥.

إِنَّ أَحَبَّ أَصْحَابِي إِلَيَّ أُرْعَاهُمْ  
وَأَفْقَهُهُمْ وَأَكْتَمُهُمْ لِحَدِيثَنَا.

الإِمام الْبَاقِر عَلَيْهِ السَّلَام

## الإمامية مقامات وأدوار

### (القسم الثاني)

علي أحمد الكريباudi

هذا هو القسم الثاني من الموضوع، وتناول فيه المخور الثاني منه، والذي يدور حول ما للإمام المعصوم عليه السلام من أدوار يقوم بها في حياته أو بعد مماته، وقد تقدم الكلام في القسم الأول منه حول تنبیهات أربعة تحتاجها في دراستنا للمعصوم عليه السلام وبعد ذلك كان الكلام حول المقامات التي قيل بها للمعصوم عليه السلام.

أدوار الإمام عليه السلام :

#### ١- المرجعية الدينية:

بما فيها الرسالة بالنسبة للرسول، وهي أن يكون الرسول أو الإمام هو المرجع في أمور الدين ﴿فَلَا وَرِبَّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحْدُوْا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١)، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٢).

ولما كان المعصوم عليه السلام له هذا المقام الكبير عند الله، بدءاً بكونه نوراً ثم بتكون جسده ونيل كل المقامات العالية ومقام الإنسان الكامل كانت الرسالة أو المرجعية الدينية إحدى المسؤوليات المناطة به لأنه صاحب ذلك الشأن العالي عند الله جل وعلا، لا أنه صار صاحب شأن بسبب هذه الرسالة أو هذه المرجعية الدينية، فهي لا تكتسبه مقاماً كان يفتقر إليه وهو الإنسان الكامل، بل لما كان كاملاً صار عليه أن يكمل الآخرين، ويبلغ أحكام الدين، والرسول عليه السلام ما بعث لتبلیغ الرسالة إلا بعد أن بلغ الأربعين من العمر، ولكنه كان صاحب الشأن

الربيع قبل الرسالة، فهو القائل: (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) <sup>(٣)</sup>، وكان كذلك صاحب الشأن الربيع بعد الرسالة، فهو لا يقف عند المستوى الذي أهله لتصدي مسؤولية الرسالة، ولذلك يقول المسلمون في صلاتهم: (وتقبل شفاعته وارفع درجته)، وكذلك بالنسبة للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه وإن كان ذا أهلية لتصدي مسؤولية المرجعية الدينية إلا أن هذه الأهلية لا تقف به عند هذا المقام بل إن له عَلَيْهِ السَّلَامُ تكالماً كما تنص عليه الروايات، فقد قال الرسول ﷺ لولده الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إن لك في الجنة درجات لا تناها إلا بالشهادة) <sup>(٤)</sup>.

فأهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ كان لهم مقامهم الربيع قبل الخلق حيث كانوا أنواراً يسبحون حول العرش، فإذاً ليست المرجعية الدينية هي الإمامة، بل هي شأن من شؤون الإمامة. فالرسول ﷺ والإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ حقيقة لها قدسيتها، بدءاً بكونها نوراً ثم صليباً، ففي كل ذرة من ذرات وجود الرسول ﷺ، وفي كل حيثية من هذه الحيثيات المرتبطة به ﷺ توجد قدسيّة متعددة إلى آخر نشأة من نشأته ﷺ.

وقد ورد التركيز على هذه الحيثيات حقيقة حقيقة في الزيارة الجامعة وغيرها، فمنه: (بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي ومالي، ذكركم في الذاكرين، وأسماؤكم في الأسماء، وأجسادكم في الأجساد، وأرواحكم في الأرواح، وأنفسكم في النفوس، وآثاركم في الآثار، وقبوركم في القبور، مما أحلى أسماءكم، وأكرم أنفسكم، وأعظم شأنكم وأجل خطركم وأوفي عهدم، كلامكم نور، وأمركم رشد، ووصيتكم التقوى، و فعلكم الخير وعادتكم الإحسان، و سجيتكم الكرم، و شأنكم الحق والصدق والرفق، و قولكم حكم و حتم، ورأيكم علم و حلم و حزم).

فليس الرسول أو الإمام عنواناً اعتبارياً حتى يكن القول بأن القدسية هي للرسالة أو للإمامية سواءً أوجد محمد بن عبد الله ﷺ أم لم يوجد، وسواءً أوجد الحسين بن علي عليهما السلام أم لم يوجد، بل إن الرسالة والإمامية عنوانان مقدسان، وصاحب كل عنوان لا بد وأن يكون ذا قداسة ذاتية تأهله للقيام بأعباء هذه المهمة، على أن قداسة مكانة وشرف الرسل متفاوتة، وأقدسها وأعظمها وأجلها خطراً هو مقام النبي الأكرم ﷺ، ولو كانت قداسته نابعة من قداسة الرسالة فحسب فلربما قيل أنه مع كل الرسل سواءً، ولكن قدسيته لم تكن بسبب تصديه لتلك المسؤولية والوظيفة أو غيرها، بل إن سر عظمته هو أنه محمد بن عبد الله ﷺ.

لقد كان الرسول ﷺ مبلغًا للوحي والأحكام الإلهية، ولكن بما أنه لم يكن هناك سعة و مجال لإبلاغ الناس كل أحكام الدين وتعاليمه، علم الرسول ﷺ أخاه علي عليهما السلام ألف باب من العلم ينفتح له من كل باب ألف باب<sup>(٥)</sup>، ثم نص على إمامية الأئمة أجمعين، ففي الرواية (قال جابر بن عبد الله الأنباري: لما قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْهَاكُمْ﴾، قلت: يا رسول الله عرفتنا الله فأطعنه، وعرفناك فأطعنك، فمن أولي الأمر الذين أمرنا الله تعالى بطاعتهم؟

قال: هم خلفائي يا جابر وأولياء الأمر بعدي أو لهم أخي علي، ثم من بعده الحسن ولده، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، وستدركه يا جابر، فإذا أدركته فأقرئه مني السلام، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم محمد بن الحسن يملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً<sup>(٦)</sup>.

فانتقل العلم إلى الأئمة عليهم السلام بطرق غيبة وصاروا بواسطته يعرفون الصحيح من غير الصحيح، فلا يرتكبون الخطأ، فهم بواسطة علمهم معصومون، ولذلك كان الدور في إبلاغ الأحكام الدينية بعد وفاة الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه هو دور الأئمة عليهم السلام، وبما أنهم معصومون فلا أحد من الشيعة يقول بعدم صلاحيتهم للمرجعية الدينية وغير الدينية، خلافاً للسنة حيث يقولون في خلفائهم وزعمائهم بأنهم غير أهل لهذه المرجعية، وذلك تبعاً للإقرارات الكثيرة من نفس هؤلاء الزعماء، فقد قال أبو بكر: (إن لي شيطاناً يعتريني)، وقال عمر: (حتى النساء أعلم من عمر)، و (كل أحد أعلم من عمر)، و (كل الناس أفقه من عمر حتى ربات الرجال)، وقال في سبعين موطن: (لولا علي هل لك عمر)، فبما أن الناس لا زالوا في حاجة إلى معرفة أحكام الدين قام السنة باستخدام القياس والإفتاء بالرأي لملء تلك الفراغات، وفي هذا الخصوص قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أم أنزل الله سبحانه ديننا ناقصاً فاستعن بهم على إتمامه) <sup>(٧)</sup>.

## ٢- المرجعية السياسية وقيادة المجتمع:

والإمامية في بعض معانيها هي (الرئاسة العامة)، فواحدة من الموضع التي تبقى خالية بعد الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه هي قيادة المجتمع. وتلك الآيات الواردة في الحديث على إطاعة الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه وأهل البيت عليهم السلام لا تختص ب المجال دون آخر. وكان الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه قد عين خلفاءه الذين سيديرون المجتمع من بعده، فذكر أسمائهم إماماً من بعد إمام، وعيّن أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير خليفةً وحاكماً من بعده. ولهذا كانت الإمامية مع التوحيد والنبوة في فترة واحدة في يوم أُعلن الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه أنه رسول من قبل الله جل وعلا، جعل علياً عليه السلام إماماً وخليفةً من

بعده، كما في خبر يوم الدار، فإن النبي جمع بني عبد المطلب وخطبهم فقال: (...فأيكم يؤازرني على أمري هذا على أن يكون أخي ووصيي وخليفي فيكم؟ فأحجم القوم عنها غير علي - وكان أصغرهم - إذ قام فقال: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ رسول الله برقبته، وقال: إن هذا أخي ووصيي وخليفي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع) <sup>(٨)</sup>.

### ٣- القدوة والأسوة:

جاء الإسلام بنماذج ليقتدي بها الناس ويتربي باتباعها، فقال:  
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ <sup>(٩)</sup> . وهذا كان من أدوار المعصوم عليه السلام دور المحور والملجأ والمعتصم الذي يقتدي الناس به، ويسيرون على هداه ليوصلهم إلى الله سبحانه وتعالى، وقد جاء فيزيارة الجامعه: (بكم يُسلّك إلى الرضوان)، و(أنتم الصراط الأقوم)، و(من أراد الله بدأ بكم)، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: (اقتدوا بهدى نبيكم فإنه أفضل المدى، واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن) <sup>(١٠)</sup>.

### ٤- الولاية التكوينية:

والمراد بها أن الرسول أو الإمام و بما له من مقام عند الله سبحانه وتعالى له القدرة على التصرف في أمور التكوين بإذن الله سبحانه وتعالى، لا بالاستقلال، وذلك ما يظهر من التأمل في آيات القرآن من قبيل ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهْيَةً الطَّيْرِ فَانْفَخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا يَإِذْنَ اللَّهِ وَأَبْرِي الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأَحْيِي الْمَوْتَى

يَأذْنُ اللَّهُ وَأبْشِكُمْ بِمَا تَأكُلُونَ وَتَدَخِّرُونَ فِي يَوْتَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ وبواسطة الولاية التكوينية يحفظ الإمام العصوم عليه السلام النظام الوجودي والكون عن الخراب والانهدام، فقد جاء في الخبر: (لو بقيت الأرض بغير إمام ساخت) (١١). وعلى هذا فلا يتصورن أحد أن دور الأئمة عليهم السلام هو التبليغ فقط، بل إن لهم مثل هذا التأثير في الدنيا وفي كل ذرات الوجود، فالقدرة على التصرف في الوجود بالنسبة لغير الله عز وجل لا تستحيل عقلًا.

بل إن القول باستحالته زعمٌ بعجز الله عن أن يجعل خلقاً له قدرة التأثير في الوجود، على أن هناك أدلة قرآنية وروائية تنص على تصرف من هو أدنى مقامًا من أهل البيت عليهم السلام في بعض الوجود، وهذه القدرة أيضاً تمتد عند بعض المخلوقات إلى التسلط على الإنسان ونواياه وفكره، وذلك ما أعطى للشيطان من قدرة وجنود لإضلal الناس: ﴿إِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٢)، ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتَنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزَعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لَيْرَيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٣).

ويحدثنا القرآن الكريم عن إتيان ذلك الذي عنده علم من الكتاب بقصر بلقيس لنبي الله سليمان عليه السلام قبل أن يرتد إليه طرفه، فإن الإتيان به عند هذا الشخص أمر سهل قدر عليه حتى ذلك العفريت: ﴿قَالَ عَفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيَكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ

الْكِتَابِ أَنَاْ آتَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ  
فَضْلِ رَبِّي لِيَلْعُونِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكُفُّ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي  
غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿١٤﴾

فإن هذا الذي عنده علم من الكتاب لم يكن متمكناً من الإتيان بقصصها  
وحسب، بل كان متمكناً من إحضاره قبل أن يرتد طرف نبي الله سليمان عليه السلام فيما  
بالك بن هم الكتاب الناطق والقرآن الصادق، أفالا يكون علمهم هذا سبباً  
لولايته أوسع من ذلك بكثير؟! وفي هذا المقام قصص كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم  
والأنسة من ولده عليهما السلام تذكر في كتب المعاجز، ووقفاً عند هذا المقام يستوحى  
أحد الشعراء من معانيه أبياتاً في علي عليه السلام:

لم يأت ماضي الأنبياء بعجز إلا وكان لفعله كال المصدر  
مثل العصا والنار والطوفان والـ إحياء للميت الرميـن المقبر  
وعلى ولـاتهـ لـقد بـعـثـوا فـسلـ عن ذـاك وـاسـلـ من تحـبـ تخـبرـ  
والله لم أـرـ في الأـنـامـ أـخـاـ كـهـوـ يـوصـىـ إـلـيـهـ بـكـلـ سـرـ مضـمرـ  
الـهـ صـفـاهـ وـصـفـىـ وـلـدـهـ منـ كـلـ مـنـقـصـةـ وـعـارـ مـعـيرـ  
شـتـانـ بـيـنـ مـعـفـرـ لـلـاتـ جـبـ هـتـهـ وـبـيـنـ مـكـسـرـ وـمـدـمـرـ  
قـدـمـ عـلـتـ كـتـفـ الـعـلـاـ فـتـكـسـرـتـ إـذـ ذـكـرـ الـأـصـنـامـ أـيـ تـكـسـرـ

## ٥- الولاية التشريعية:

ويكن أن يقصد بها أحد معان ثلاثة:

**المعنى الأول:** هو أن الله سبحانه وتعالى شرع ولايتهم بمعنى إمامتهم ووجوب اتباعهم.

**المعنى الثاني:** أن الله سبحانه وتعالى جعل موافقتهم شرطاً في إجراء الأمور، سواءً أكانت هذه الموافقة أو الرضا رضاً خاصاً أو عاماً وإن لم يصرح به الإمام في هذا المورد المعين، وبهذا المعنى يكون عقد الزواج مثلاً متوقفاً على رضا الإمام فلا يكون الزوج زوجاً إلا برضاء الإمام، وكذلك سائر الأمور، فمثلاً تكون القاعدة (الناس مسلطون على أموالهم) مقيدةً (بشرط رضا الإمام عليه السلام) وتحت هذين العنوانين يمكن إدراج عدة مصاديق كالولاية على اليتيم والقاصر، وإصدار أحكام مؤقتة من باب ولايتهما عليهما لتسهيل الحياة الاجتماعية، وهذا المعنى (إصدار الأحكام المؤقتة) بهذه الحدود الضيقية ثابت للفقيه فضلاً عن الإمام الموصوم عليه السلام فقد حكم الإمام الخميني قبور بإيقاف الحج بالنسبة للإيرانيين في فترة زمنية محددة.

**المعنى الثالث:** وهو محل الكلام والمتبادر من مفهوم الولاية التشريعية، ومعناه أن لهم حق التشريع أي إصدار أحكام شرعية كما ثبت للرسول ﷺ بحيث تكون هذه الأحكام دائميةً يستحق عليها الثواب والعقاب كما هو بالنسبة لأحكام الله جل وعلا، وليس أحكاماً مؤقتة لإدارة الحياة الاجتماعية، وفي هذه المرتبة وقع الخلاف بين علماء الطائفة المخالفة، فمنهم من لم يقدره الدليل لإثبات هذه الولاية، ومنهم من قال بثبوتها وتسليمها للأئمة عليهما السلام، أما في مقام الشبوت (أي إمكان كون الولاية التشريعية لهم عليهما السلام، وأهليتها لذلك) فلأمررين، الأول هو أن الأحكام الشرعية تابعة للمصالح والمفاسد كما هو رأي المشهور، والثاني هو أن الأئمة عليهما السلام مطلعون على مصالح الأمور ومحاذاتها، وذلك من باب إطلاع الله إياهم على الغيبيات ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ

منْ بَيْنِ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَادًا ﴿١٥﴾ ، فما داموا عالين بالصالح والمفاسد كانت لهم  
أهلية جعل الأحكام الشرعية، فثبتت لهم الولاية التشريعية في مقام الثبوت  
والإمكان.

هذا على رأي المشهور ولكن هناك من قال بأن الأحكام ليست تابعةً للمصالح  
والمفاسد بل هي قائمةٌ على أساس الامتثال وعدمه؛ أي بداعي الامتحان من قبل  
الله لعباده وأنهم هل يتمثلون لأوامره أم لا، فيمكن تصور بعض الأمور لا توجد  
فيها مصالح في نفسها ولكن الله أراد أن يرى امتثال عباده لأمره في هذه العبادات  
وذلك كاشترط غسل اليدين إلى أطراف الأصابع في الموضوع، أو مسح مقدار معين  
من الوجه حال التيمم، فإن حصل زيادة مقصودة كجزء من الموضوع أو التيمم  
حرمت وكانت تشريعاً، وإن حصلت نقيصة لم تتحقق الطهارة، فهذا المقدار  
المشترط بعينه قد يقال بأنه لا توجد مصلحة أو مفسدة فيه في نفسه، وإنما تكون  
المصلحة في نفس الجعل وتبيان امتثال العبد من عدمه، وهذا ما يعبر عنه بأن  
ملائكة الأحكام هل هي في متعلقاتها، أم أنها موجودة في نفس الجعل.

وهناك من قال بأن الأحكام تابعةً للمصالح والمفاسد بانضمام الامتثال وعدمه  
إليها، فيكون هناك ملائكة للأحكام، وذلك لأن دليل المشهور على أن الأحكام  
تابعةً للمصالح والمفاسد هو الحكمة، فكون الله حكيمًا يقتضي أن يجعل الأحكام  
لأمرٍ راجحٍ هو المصلحة والمفسدة، وغير المشهور يجيز على ذلك بأن حكمة الله  
لا تقتضي تضييق المصالح والمفاسد في خصوص المتعلقات (نفس العبادات  
وال موضوع وما شاكل) بل إن المصالح والمفاسد تارةً تكون في نفس المتعلقات، وتارةً

أخرى تكون في أمور من قبيل تبين الامتثال وعدم الامتثال(أي في نفس المعدل)، فيكون دليل الحكمة مثبتاً لكون الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد، سواءً وجدت هذه المصالح والمفاسد في نفس المتعلقات، أو في غيرها.

وعلى كل حال يمكن في النهاية القول بأن الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد، كل هذا في مقام الثبوت. وأما في مقام الإثبات (أي الواقع والتحقق الخارجي) فيمكن الاستدلال بروايات في المقام تدل على تشريعهم عليه للأحكام الشرعية، ومن ضمن الموارد التي تدعى في المقام هو تحريم الرسول ﷺ للنبيذ، وتشريع الإمام الجواد علية لوجوب الخمس في المكاسب حيث أن الآية ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غِنْمَتْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ خُمُسَهُ وَلِرَسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾<sup>(١٦)</sup> تنظر للغائم الحربية فلا يثبت بها وجوب خمس أرباح المكاسب، على أن هناك دعوى وجود هذا الحكم في الروايات قبل زمن الإمام الجواد علية.

## ٦ - الشفاعة:

وهي من أهم أدوار الأئمة المعصومين علية، وفيها آيات وروايات:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا يَأْذِنُهُ﴾<sup>(١٧)</sup>، ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾<sup>(١٨)</sup>

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهَدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١٩)</sup>

وعن الرسول الأكرم ﷺ: (إن الناس يصيرون يوم القيمة جثة، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان! اشفع، يا فلان! اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى محمدٍ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود)<sup>(٢٠)</sup>.

وعنه ﷺ: (من لم يؤمن بشفاعتي فلا أنا له الله شفاعتي)<sup>(٢١)</sup>.

وقال الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَشْفَعُ فِي الْمَذْنِينَ مِنْ شَيْعَتْنَا، فَأَمَا  
الْمُحْسِنُونَ فَقَدْ نَجَاهُمْ اللَّهُ) (٢٢).

قال الشاعر:

ينجيك يوم الحشر من ألم النار  
إذا شئت أن ترضى لنفسك مذهبًا  
أحمد والنعمان أو كعب أبخار  
فدع عنك قول الشافعي وماليٍ  
روى جدنا عن جبريل عن الباري  
و وال أناًساً قولهم وحديثهم

وبهذا تكون الإمامة عند مدرسة أهل البيت عَلَيْهِ الْكَلَمُ ذات معانٍ جليلةٍ وأفقٌ  
رحبٌ قصر دونه مخالفوهم، فهم حبل الله وصراطه المستقيم وسبل النجاة، ثبتنا  
الله على ولائهم، ورزقنا في الآخرة شفاعتهم، وحضرنا معهم وفي زمرتهم،  
والحمد لله رب العالمين.

\*\*\* \*\*\* \*\*\*

### المواهش:

(١) سورة النساء، الآية ٦٥.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٣) بحار الأنوار: ٩٨، ص ١٥٥، المجلسي قُلْيَش.

(٤) بحار الأنوار: ٤٤، ص ٣٦٣، المجلسي قُلْيَش.

(٥) بحار الأنوار: ٣٠، ص ١١٥، المجلسي قُلْيَش.

(٦) شرح الباب الحادي عشر: ١٩٢، المقداد السيوطي قُلْيَش.

- (٧) راجع الإمامة: مطهرى قدّيس: ٤٥ - ٥٠.
- (٨) المراجعات، شرف الدين قدّيس: ١٨٨.
- (٩) سورة الأحزاب، الآية ٢١.
- (١٠) ميزان الحكمة: ٢، ص ١٣٧٢، الريشهري.
- (١١) مستند الشيعة: ٦: ٢٥. الحقق النراقي قدّيس.
- (١٢) سورة الجادلة، الآية ١٩.
- (١٣) سورة الأعراف، الآية ٢٧.
- (١٤) سورة النمل، الآيات ٣٩ - ٤٠.
- (١٥) سورة الجن، الآيات ٢٦ - ٢٧.
- (١٦) سورة الأنفال، الآية ٤١.
- (١٧) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.
- (١٨) سورة يومن عاشيحة، الآية ٣.
- (١٩) سورة الزخرف، الآية ٨٦.
- (٢٠) ميزان الحكمة: ٢: ١٤٧١.
- (٢١) نفس المصدر: ١٤٧٣ - ١٤٧٢.
- (٢٢) نفس المصدر: ١٤٧٤.



# كيف ندخل المدخل الكريم الذي ومه به الله؟

علي عبد الحسين البني

قال تعالى ﴿إِن تَجْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلُكُمْ مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (١)

## المقدمة :

الآية الشريفة من الآيات الداعية إلى الاستكمال ، وهي تتضمن دعوة من صاحب الكمال المطلق الحقيقى وهو الله سبحانه وتعالى لتوجيه النفس إلى التربية والتهذيب والإصلاح بترك كل ما يوجب البعد عن معدن الرحمة والعظمة والجلال ...

فهي إذن دعوة من الحق سبحانه وتعالى للدخول في ساحة رحمته من خلال الاجتناب عما حرم الله - وهو (الكبائر) - للفوز بالسعادة الأبدية أو حسب تعبير القرآن بالـ﴿مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾

لكن ما هي حقيقة الاجتناب وما هي هذه الكبائر المنهي عنها؟

## أولاً: حقيقة الاجتناب:

الآية عبرت بالاجتناب ولم تعبر بالترك لماذا؟

بدأت الآية المباركة وقالت: ﴿إِن تَجْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ فالآية المباركة عبرت بالاجتناب ولم تعبر بالترك فلم تقل (إن تركوا وإنما قالت ﴿إِن تَجْتَبُوا﴾ وذلك لأن الاجتناب أبلغ من الترك .

## لماذا الاجتناب أبلغ من الترک؟

يقولون بأن الاجتناب أبلغ من الترک لهذه النكتة التي يشير إليها صاحب كتاب موهاب الرحمن حيث يقول: بأن الاجتناب ملحوظٌ فيه النفور والاشئزاز وهو مأخوذ من الجنب الذي هو الجارحة .. فإن الإنسان إذا أعرض عن الشيء تركه جانباً ، لا يعيره اهتماماً يضرّ به عرض الحائط ، إذن فهو يجتنبه بلحاظ هذه النكتة، يمكن أن نقول بأن الاجتناب أبلغ من الترک، وبعبارة أخرى نقول : (أن الاجتناب هو عبارة عن الابتعاد عن الشيء وملازمة تركه) (٢) .

واللطيف هو أن هذا اللفظ ذكر في القرآن في أربعة عشر موضع كلها تدل على أهمية المنهي عنه

الطالغوت مثلاً ﴿وَلَقَدْ بَعْثَنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ كذلك الرجس ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ﴾ كذلك سوء الظن عبرت عنه الآية بالاجتناب ﴿وَاجْتَنِبُوكُمْ كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ فمجموع الآيات الثلاث تدعوا إلى الاجتناب عمما أراد الله أن يجتنب عنه، ولو أردنا أن نقرب المعنى أكثر فنمثل بآية سوء الظن ، سوء الظن من الأمور التي دعا الحق سبحانه إلى الاجتناب عنها فالآية المباركة تحتوي على مطلبين الأول أصل عدم فعل الذنب والثاني حالة استنكار الذنب والاشئزاز منه، حيث أن هذا الاستنكار للذنب والاشئزاز منه يمثل مسألة في غاية الأهمية وهي مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما هو واضح من تقسيم الروايات على ثلاث مراتب واحدة من هذه المراتب هي المرتبة القلبية التي تمثل حالة الاشتئزاز واستقباح هذا الذنب وهي أدنى مرتبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

إذن خلاصة القول : أن الآية عبرت بالاجتناب ولم تعبّر بالترك لأن الاجتناب ملحوظ فيه الاشتئاز واستقباح الذنب ، فهو إذن أبلغ من الترك .

وللاجتناب حقيقة وهي أن اجتناب العبد للكبائر يكون عن قدرة وإرادة إذا ملك العبد القدرة وملك الإرادة في الابتعاد والترك للذنب ، نقول : أن هذا العبد اجتنب الكبائر مع قدرته عليها وإرادته لها .

فالكلام عن الاجتناب عن الكبائر يقع مع القدرة والإرادة على الإتيان بهذا الذنب ، بمعنى أنه والعياذ بالله لو حصل للعبد ذنب يعد من الكبائر مثلاً ، وهو يملّك القدرة على الإتيان به ولكنه اجتنب ذلك الذنب فهنا يكون هذا العبد في مقام الذين ﴿نَكَفَرُونَكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ وَتُدْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ والقرآن الكريم يضرب لنا أروع الصور في هذا المجال، المعصية كانت قريبة منه ويلك قدرة ويلك إرادة على الإتيان بذلك الذنب ولكنه اجتنب ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَى إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ فنبي الله يوسف عليه السلام اجتنب وابتعد عن ذنب كان قريباً منه جداً ، مع قدرته على الإتيان به .

### ثانياً: ما هي هذه الكبائر التي نهى الله عنها ؟

بتصريح الآية المقدمة هناك ذنوب عبرت عنها بأنها (كبائر) ويقابلها (صغرائم)، فما هي هذه الذنوب الكبيرة التي إذا تجنبها الإنسان يكفر الله عنه السيئات ؟

طبعاً وقبل الجواب على هذا السؤال هناك نكتة يجب الالتفات لها أولاً: وهو إنه إذا صح أن نقسم الذنوب إلى كبيرة وصغيرة لكن كلا الذنبين يشتركان في أصل واحد وهو المخالفة والعصيان على الله سبحانه وتعالى فهي إذن كبيرة من هذه الجهة . فقد ورد في الحديث عن النبي الأعظم عليه السلام أنه قال: ( يا أبا ذر لا

تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر من عصيت).

وبعبارة أخرى نقول : أن الذنب الكبير والذنب الصغير يشتركان في أصل واحد وهو مخالفة الحق سبحانه وتعالى وعصيان أوامرها فبسبب هذه النكتة تكون كل الذنوب كبيرة ولا يوجد ذنب كبير ولا صغير . إذن إذا كانت الذنوب من هذه الجهة كلها كبيرة فإن سياق الآية يثبت بأن هناك ذنوب صغيرة لأنه عبر ﴿إِن تَجْتَبِّئُوا كَبَائِرَ﴾ والكبائر يقابلها الصغائر .

نقول: ومع أن الذنوب تشتراك في أصل واحد وهذا الأصل لا شبهة ولا إشكال في أنه يصير كل الذنوب إلى ذنوب كبيرة إلا أنه لا يوجد تنافي في أن تتصرف الذنوب بالكبيرة والصغرى إذا لوحظت فيما بينها ، فإن كبر المعصية يدل على أهمية المنهي عنه وعظم المخالفة إذا قيس بالنسبة إلى المنهي الآخر ، من خلال هذا اللحاظ يمكن أن تكون هناك ذنوب صغيرة وذنوب كبيرة .

مثال ذلك : النظر إلى المرأة الأجنبية مثلاً يُعد صغيراً - ولكن بلحاظـ إذا قيس إلى سائر الاستمتاعات بها والمخالفـة في الثاني أعظم وأكبر من المخالفـة في الأول ويـدل على ذلك قوله تعالى ﴿مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ و هنا تـوجد استفادة استفادـها علمـؤـنا الأعلامـ وهي أنه يمكن أن نستفيد من قوله عـز و جـل ﴿مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ اختلافـ المنـاهـي في العـظـمة والأـهمـية .

### ما هي الضابطة لمعرفة الذنوب الكبيرة ؟

إذن الذنوب كلها تشتراك في أصل واحد وهو المخالفـة والعـصـيان إلا أنه يمكن تقسيـمـها إلى صـغـيرـة وكـبـيرـة إذا لـوـحـظـتـ فيماـ بـيـنـهاـ،ـ لـكـنـ ماـ هـوـ الـمـقـيـاسـ أوـ ماـ هـيـ الضـابـطـةـ وـ الطـرـيقـ لـعـرـفـةـ الذـنـوبـ الـكـبـيرـةـ ؟ـ بـعـنـىـ:ـ أـنـاـ أـمـامـ ذـنـبـينـ،ـ ذـنـبـ أـوـلـ

وذهب ثان ، كيف أستطيع أن أعرف أن الذنب الأول كبير والثاني صغير؟ ما هي الضابطة في ذلك ؟

اختلت آراء العلماء الأعلام في تحديد الضابطة لمعرفة الذنوب الكبيرة، نحن نذكر رأيين حتى لا يتشعب بنا الموضوع.

### الرأي الأول (الرأي الفقهي):

ما ذكر في الفقه وذهب إليه الفقهاء ، وهو أن كل ذنب أ وعد عليه بالنار أو تعدد الخطاب فيه والنهي عن الإصرار والتكرار هذا يعد ذنباً كبيراً وهذا هو المقياس في تحديد الكبائر في الإسلام .

لذلك في الرسائل العملية لفقهائنا الأعلام يذكرون في مسألة من يجوز تقليله يذكرون أمور من ضمنها العدالة ومن تعريفها أن لا يعمل الكبائر ولا يصر على الصغار .

### الرأي الثاني (الرأي التفسيري):

اختلاف المفسرون في تحديد الضابطة لمعرفة الذنوب الكبيرة فالبعض قال بما قال به الفقهاء ، والبعض قال أن الكبائر ما اشتملت عليه سورة النساء من أول السورة إلى تمام الثلاثين آية و كأن المراد أن قوله ﴿إِنْ تَجْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾، إشارة إلى المعاصي المبينة في الآيات السابقة عليه كقطعية الرحم وأكل مال اليتيم والزنا ونحو ذلك، وهناك آراء أخرى يذكرها صاحب كتاب الميزان في تحديد الضابطة لمعرفة الذنوب الكبيرة ويطرح مناقشته عليها (٣) .

## ما هو السبب في اختلاف الأعلام في مسألة تحديد الضابطة في الذنوب الكبيرة ؟

إذا كانت هذه الذنوب الكبيرة تمتلك هذه الأهمية بحيث أن المحتسب لها يحظى بالتكفير من قبل المولى ويدخل المدخل الكريم الذي وعد به الله سبحانه وتعالى نقول : لماذا لم توجد آية في القرآن تبين لنا ما هي هذه الذنوب الكبيرة حتى يتسعى للإنسان أن يجتنبها ، كذلك بسبب اختلاف الروايات في هذا الصدد اختلف العلماء في تحديد الضابطة لمعرفة هذه الذنوب ، فما هو السر في ذلك ؟

**نكتة يشير إليها صاحب كتاب موهاب الرحمن:**

صاحب الموهاب يشير إلى نكتة في السبب في اختلاف الأعلام في تحديد الضابطة لمعرفة الذنوب الكبيرة يقول **فَلَمَّا** : (إن اختلاف العلماء في تعريف الكبائر لا يرجى زواله ، ولعل الحكمة في عدم تعيين الشرع لها ، هي الإبقاء على إبهامها وإجمالها ، ليكون العباد على وجل منها ، فلا تهتك حرمات الله تعالى فيها ، فلا يتجرؤوا على ارتكابها اعتماداً على التكفير بل يعزموها على ترك المعاصي كلها لاحتمال وجود الكبائر فيها كما أبهم عز وجل بعض الأمور مثل ليلة القدر ليعظم الناس باقي الليالي ويجدوا في العبادة وكذلك إخفاء أولياء الله بين الناس ليحترموا جميع الأفراد في المجتمع . ) (٤)

إذن على الإنسان أن يجتنب كل الذنوب خشية الوقوع في ذنب كبير من حيث لا يشعر أو يصر على ذنب معين **فَيُصِيرُ إِلَى ذَنْبٍ كَبِيرٍ** كما هو لسان بعض الروايات أن الإصرار على الصغيرة **يُصِيرُهَا كَبِيرَةً** .

### ثالثاً: هل من صدرت منه الكبائر يعد كافراً ؟

في آخر البحث هناك نقطة حري أن نقف عندها ، خلاصة هذه النقطة هي أنه من صدرت منه بعض الكبائر كالزنا أو كقطعية الرحم فهل يعد هذا المذنب كافراً لعمله هذه الكبيرة ؟

طبعاً هناك مذهب من المذاهب يكفر من صدرت منه الكبائر وهذا المذهب هو مذهب الخوارج حيث كفروا علي بن أبي طالب عليهما السلام لما قبل بالتحكيم، ومذهبهم مبني بأن صاحب الكبيرة كافر . ويستدلون على صحة دعواهم بأيات من القرآن الكريم مثال ذلك قوله تعالى ﴿وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَعَ إِلَيْهِ سَيِّلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٥) فقالوا أن تارك الحج كافر .

كذلك من الآيات التي استدلوا بها قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنُ﴾ (٦) وهذا يقضي أن من لا يكون مؤمناً فهو كافر والفاقد ليس بمؤمن ، فوجب أن يكون كافراً.

وقد رد عليهم أمير المؤمنين عليهما السلام بردٍ وافيٍ بين بطان ما ذهبوا إليه فيقول عليهما السلام : ( فإن أبitem إلا أن تزعموا أني أخطأت وضللت ، فلم تضللون عامة أمة محمد ﷺ بضلالي ، وتأخذونهم بخطئي ، وتكفرونهم بذنبي - إلى أن يقول - وقد علمتم أن رسول الله ﷺ رجم الزاني المحسن ثم صلى عليه ثم ورثه أهله ، وقتل القاتل وورث أهله وقطع يد السارق وجلد الزاني غير المحسن ثم قسم عليهما من الفيء ونكحا المسلمات فأخذهم رسول الله ﷺ بذنبهم وأقام حق الله فيهم ولم ينفعهم سهمهم من الإسلام ولم يخرج أساءهم من بين أهله ) .

## وقفة مع كلام الأمير عليه السلام :

يقول عليه السلام إن كنتم تدعون أن صاحب الكبيرة كافر فرسول الله صلى الله عليه وسلم رجم الزاني غير المحسن وقد عمل كبيرة من الكبائر ومع ذلك صلى عليه مع أنه لا تجوز الصلاة على الكافر فلو كان كافراً لما صلى عليه ، وقطع يد السارق وجلد الزاني غير المحسن وكلها ذنبٌ كبيرة إلا أنه قسم عليهم من الفيء، فلو كانوا كافرين لما جاز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم من فيء المسلمين، لذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: (فآخذهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذنبهم وأقام حق الله فيهم ولم يمنعهم سههم من الإسلام) لكونهم لم يخرجوا عن ملة الإسلام بل أخطئوا وأذنوا وحتى لو كان الذنب كبيراً فإنه لا يخرج الإنسان من الإيمان إلى الكفر.

\*\*\* \*\*\* \*\*\*

## المواهش:

(١) سورة النساء، آية ٣٦.

(٢) راجع المواهب ج ٨ ص ١١٧.

(٣) راجع الميزان ص ٣٣٣/٣٤.

(٤) راجع المواهب ج ٨ ص ١١٣.

(٥) راجع المواهب ج ٨ ص ١١٣.

(٦) سورة التغابن، الآية ٢.



# رسالة في الاتصال

السيد ياسين السيد قاسم الموسوي

## المقدمة:

بسم الله، و الحمد لله، و الصلاة و السلام على رسول الله ﷺ، و على آلـهـ المـيـامـينـ الـهـداـةـ .

إن كل إنسان على صفحة الوجود لابد له من كمال ينشده و رُقيٌّ يصبو له، و يسعى له على الدوام، و كل البشرية تكدرح كلٌّ نحو ما يراه كمالاً له، فيتسائل البعض لماذا هذا التشرذم و التبعثر في المقاصد التي توصل إلى الكمال؟ فلماذا يرى البعض أن الغنى المادي و الحالة الاقتصادية الرفاهية البذخة هي الكمال بينما يراه آناسٌ آخر خلاف الكمال بل يرون الانغماس في وحل المادة هو عين الانحطاط؟ و لماذا يرى البعض أن التمسك بالدين و قيمه هو الموصى إلى أعلى درجات الكمال لكن شطراً كبيراً من البشر يرى أن الكمال في التحلل الخلقي والانحلال الأخلاقي و العهر و المخون و التفسخ القيمي و أن أقصى درجات الكمال يصلها الإنسان في منتهی درجات اللذة الجنسية و النشوة الغريزية الحيوانية؟

و هكذا في القيم الأخلاقية رغم أن علماء النفس و العقيدة يؤكدون على فطرية النظم الأخلاقية و القيم الأخلاقية كحسن العدل و قبح الظلم مثلاً - كما يعبر علماء الدين و العقيدة على فطرية الدين و تعاليمه كوجود واجب للوجود - لكن التمرد على الفطرة أمرٌ ألهته المجتمعات الإنسانية و خصوصاً في

الدول الغربية التي لم تشم رائحة الدين الإسلامي العطرة النافذة للعقول والقلوب، كذلك لا تعني شمولية الدوافع الفطرية وجوده حياً يقظاً دائمًا في جميع الناس، بل من الممكن أن يكمن ويختفي في أعماق البعض بل الكثير نتيجةً لعوامل محيطة وتربيوية غير سليمة، أو أنه ينحرف عن مساره الصحيح، كما هو ملاحظ في طبيعة الغرائز والميل، حيث تتعرض للكمون والاختفاء والانحراف قليلاً أو كثيراً، وقد يكون أحياناً الخطأ في تشخيص المصاديق من حيث صدق الظلم على ذاك أو عدم صدقه في حال تلوث الفطرة وتلبسها قبعة سوداء .

#### توضئة:

يقع هذا البحث في عدة محاور في موضوع أخلاقي مهم وضروري لكل عملية تكاملية للفرد المسلم المؤمن حالة فراره للحق سبحانه، فإن أي سعيٍ وكدحٍ للإنسان لابد أن يسير وفق ضوابط وشروط معينة وسيراً على الطريق الصحيح المرسوم الذي حدد له الخالق سبحانه، وقد وضع الباري عزّ وجلّ للإنسان كل اللوحات التوضيحية والإشارة التنظيمية لعملية السير والسلوك نحوه تبارك و تعالى، و وضع كل ذلك في قالبٍ واسعٍ سمّاه (الدين الإسلامي) وخصّصه في شطر يعدّ مقوماً أساسياً لهذا الدين وهو (علم الأخلاق)، وفي صفة حميدة تدخل تحت المنظومة الأخلاقية التي وضعها الإسلام.

و هي - كما سيأتي - رئيسة الفضائل الأخلاقية و المقوم الرئيسي لكل من يدعى التخلق بهذه القيميات جمِيعاً، وهي سمة الإخلاص و التي س يتمحور البحث حولها و فيها من جلّ حيثياتها، معناها و حقيقتها، صفات المتصف بها

وغيره، صعوبة التوفير عليها، دورها في قبول الأعمال، فضيلتها و رذيلة مقابلتها،  
كيفية استئصال نقاضتها، موانعها و معوقاتها، آثارها و نتائجها

ثم نختتم بآفاتها هذا بعد أن نقدم بمقديمة تمهيدية و لخة للصورة جزئياً حول  
علم الأخلاق من جهة أهميته و حاجة الحوزات العلمية إليه و فطريته و تصنيفه  
هل من الخلقيات النظرية أم العملية، هذا و نسأل الله أن يمتع القارئ العزيز  
بقراءته و يفيده منه -إن أضاف له جديد-. و الحمد لله أولاً و أخيراً .

### أهمية علم الأخلاق:

قال رسول الله ﷺ: (إِنَّمَا بَعَثْتُ لِأَمْمَةٍ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ) (١) فلا التباس في هذا  
الأمر و لا ضير، لأنّ أمر المعاد و المعاش لا ينتظم و لا يتهم طالبه إلا بالأخلاق  
الفضيلة، و لا مجال لأحد أن يتوهّم بأن العمل الصالح الكثير ينفع من دون  
تهذيب الخلق و تقويه، بل إذا حلَّ الخلق السيئ أفسد العمل الصالح كما يفسد  
الخلل العسل، و لا يتوهّم أحد -أيضاً- أنَّ العلم الكثير ينفع من دون إصلاح  
الخلق و تهذيبه -حاشا و كلاماً- فعنهم عَلَيْهِمُ الْبَرَاءَةُ: (لَا تَكُونُوا عُلَمَاءَ جَبَارِينَ، فَيَذَهِبُ  
بِحُكْمِكُمْ بِاطْلَكُمْ) (٢) .

و إنّ أهمية الأخلاق في الإسلام مما لا شك فيه، لأنَّه -مضافاً إلى ركتيته  
وأسنته في الإسلام، يقع في سياقاته في عرض العقائد و الأحكام- أهم سبب  
لصلة الإنسان بربه الكريم و أنَّ هذه الصلة هدف مقصود في أصل وجود  
الإنسان لأنَّه أعظم الكلمات و أتمّها و لا يكمل الإنسان -كماله المقدر له- إلا  
إذا سار على الخط الذي رسمه الله تعالى له في تشريعه العظيم و السبيل الذي  
جهد الأنبياء و الأولياء عَلَيْهِمُ الْبَرَاءَةُ و تابعوا هم في عرضه و تبيينه للبشرية (٣) .

و يجدر التوقف هنا إلى الرد على شبهة قد اختلقتها الشيطان وألقاها في روع بعض الأخيار و خصوصاً الأبرار الذين حاولوا أن يصفّوا قلوبهم من الأكدار، وهي: أن ملاحظة المواتع و النصائح، والتذكرة بها و طلبها و السعي الحيث لها والتدبر في معانيها - و هذا قوام علم الأخلاق - أمرٌ لا راجحية فيه و لا يستحق كل ذلك .

و قبل الإجابة عليها نعمق الإشكال الذي يرد ثم نرده بقوة و عمق: إننا مع ما نرى من أنفسنا من العمل بخلاف ما نعلم، يكون ذلك وبالأ و زيادة في إقامة الحجة علينا، فيكون التغافل و التناسي مع هذا الحال أحق و أحرى، فإن ذنب العالم ليس كذنب غير العالم، وأنه كلما قلل علم الإنسان و اطلاعه على التحذيرات، وأنواع التهديدات يكون أقل امتراء، و أقرب إلى المعدورية، وأنه ليس من لا يعلم كمن يعلم .

يرد ذلك برواية في (الجوواهر السننية في الأحاديث القدسية)، فيها قمع لهذه الشبهة من أصلها و إبطالها من رأسها، و معنى الرواية: (أن الله سبحانه و تعالى يقول : لا تقولوا نخاف أن نعلم و لا نعمل، و لكن قولوا: نعلم، و نرجو أن نعمل، فإني ما أتيتكم إلا و أنا أريد أن أرحمكم بها)، و هذا الخطاب الإلهي كاف شاف لقمع و استئصال هذه الشبهة و إنما هذه مخادعة للشيطان .

يتجلّى واضحاً أنه لا نفع للعلم بدون العمل، كما لا نفع للعمل بدون

علم، و لكن العبد مأمورٌ بكلٍّ منها، و كلٌ واحدٌ منها يؤكِّد صاحبه و يقويه

### حاجة الحوزات العلمية إلى الأخلاق:

إنَّ الحوزات العلمية تفتقر إلى تدريس العلوم الأخلاقية، و الروحية، و المعنوية، جنباً إلى جنب مع المواد العلمية الموجودة فعلاً، إنَّ الإرشادات الخلقية، و تربية القوى الإيمانية و مجالس النصيحة و الموعظة ضرورات لابد منها .

و البرامج الأخلاقية و الدروس التي تهدف إلى تهذيب النفوس و تعليم المعرف الإلهية التي هي الهدف الأساسي من بعثة الأنبياء عليهما السلام كل ذلك، ينبغي أن يكون في صلب المواد التي يدرسها الطالب .

و لكن من المؤسف أن الاهتمام بمثل هذه المسائل المهمة و الضرورية أصبح قليلاً، و بدأت العلوم الأخلاقية تتضاعل، إلى حد أنه يخشى أن لا تتمكن مراكزنا العلمية في المستقبل من تربية علماء أخلاق و مربين و مهذبين، فلم يُبقِ البحث والتحقيق في المقدمات مجالاً للاهتمام بالمسائل الأصلية و الأساسية التي ركز عليها و اهتم بها القرآن الكريم و الرسول الأعظم عليهما السلام، بل وسائل الأنبياء عليهما السلام .

إنَّه من الضروري أن يركِّز العلماء الأعلام ، و المدرسوون الناجحون خلال تدريسيهم و أبحاثهم على الناحية الأخلاقية، و يعطوها اهتماماً أكثر، و على الطلاب أن يبذلو الجهد في سبيل اكتساب الملكات الفاضلة، و تهذيب النفس، و عليهم أن يهتموا بالمهام و المسؤوليات الخطيرة الملقاة على عواتقهم .

أنتم أيها الذين تدرسون اليوم في هذه الحوزات و تريدون أن تتولوا في الغد

مراكز القيادة في الأمة، لا تتصوروا كل واجبكم أن تحفظوا أو تتعلموا مجموعة اصطلاحات، كلا، إن عليكم وظائف أخرى .

يجب أن تبنوا أنفسكم بحيث تستطيعون هداية الناس في القرية أو المدينة التي تذهبون إليها، يؤمل منكم عند مغادرتكم للمرکز العلمية أن تكونوا قد هذبتم أنفسكم و بنيتموها بحيث تستطيعون أن تربوا الناس وفقاً لأحكام الإسلام و تعاليمه . أما إذا لم تصلحوا أنفسكم - لا سمح الله - في مراحل الدراسة ولم تكتسبوا الكمال الخلقي والمعنوي فإنكم - و العياذ بالله - ستضللون الناس و تقدمون لهم صورة سيئة عن الإسلام و علماء الدين (٤) .

### مقدمات تمهدية عن علم الأخلاق:

#### فطريّة الأخلاق:

يظهر من القرآن الكريم أن حسن الفضائل و قبح الرذائل من الفطريات والوجدانيات و النفس تدرك فطرة من غير حاجة إلى العلم بأن مثل الظلم قبيح وأن مثل العدل حسن، ولكن ما نراه في الواقع من تخبط بين المفهومين هو خطأ في تشخيص المصاديق . قال تبارك و تعالى ﴿وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّهَا فَاللَّهُمَّاهَا فُجُورَهَا وَتَفْوَاهَا﴾ (٥)، و فجور النفس هو (الرذائل) و تقوها هو (الفضائل)، فكما أن الإنسان لو يكشف له الغطاء و تزول عنه الغفلات يدرك بفطنته و يجد و يرى بقلبه ذاتاً جامعاً للصفات الكمالية و الجلالية العظمى - تجلّي واجب الوجود - قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلُكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٦)، فهو يرى الله فيدعوه، و يدرك وحدته فلذا لا يتوجه قلبه إلا إليه، و يرى أنه سميع، عليم، قادر،

جواد، رؤوف و ... ، فيدعوه و يطلب منه نجاته و حاجته و... فكذلك يجد و يرى بقلبه و فطرته حسن الفضائل و قبح الرذائل .

### **الأخلاق من العلوم الحضورية:**

ينقسم العلم (كما هو معروف) إلى حصولي (وهو حصول صورة الشيء في النفس أو الذهن)، و حضوري (وهو حصول نفس الشيء في النفس)، والأول نظير العلم بالأشياء الخارجية و الثاني نظير علم النفس بعلماتها .

إذا عرفت ذلك فاعلم أن الفضائل و الرذائل من القسم الثاني، إذ الفضائل كلها و الرذائل كلها ملكات موجودة في النفس، فهما من باب حضور الشيء عند الشيء، و ضرورة أن الفضائل و الرذائل كلها في النفس بل أن الأفكار و الأقوال و الأعمال ناشئة منها، قال تعالى: ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ (٧) ، قال صاحب المفردات : ( و قوله ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ أي على سجيته ) .

### **الأخلاق النظرية و الأخلاق العملية:**

و المراد من الأخلاق النظرية توضيح الفضائل عن الرذائل، و بتفصيل أدق تبيان الفضائل و بيان الفرق بين المتشابهات منها، و كذلك تبيان الرذائل و بيان الفرق بين المتشابهات منها، و الاستدلال على حسن الفضائل و قبح الرذائل كل ذلك بشكل نظري بحث .

و المراد من الأخلاق العملية تبيان كيفية تهذيب النفس و بيان مراتب السير إلى الحق تعالى و بيان الوصايا و الإرشادات الكلية أو الجزئية لتهذيب النفس

وللسير من منزل إلى منزل <sup>(٨)</sup>، ذلك كله بشكل عملي فعلي، يقوم به الإنسان المسلم يعبر عن إيمانه من خلالها بسلوكه .

و موضوع هذا البحث هو :

### الإخلاص:

والإخلاص هو صفة أخلاقية فطرية متجلدة في القلب الخالص المنقطع لحب محبوبه، وتمثل أم ال الصفات الأخلاقية العملية وأهمها فالإخلاص هو رأس الفضائل و رئيسها و هو أعلى الإيمان و ملاك العبادة و لولاه لم تقبل العبادات ولا المعاملات و هو غاية اليقين الذي يحدد مراتب المؤمنين فيتفاصل من خلاله المؤمنون، و هو سر إلهي يستودعه الباري عز و جل قلب من يحب من عباده، وبالإخلاص الخالص و النجاة و الفوز العظيم .

### معنى الإخلاص و حقيقته:

لغةً: خَلَصَ خَلْوَصًا وَ خَلَاصًا: صَفَا وَ زَالَ عَنْهُ شُوْبَهُ، وَ خَلَصَ بِنَفْسِهِ وَ إِلَى الشَّيْءِ: وَصَلَ إِلَيْهِ فَهُوَ خَالِصٌ، وَ أَخْلَصَ الشَّيْءَ: أَصْفَاهُ وَ نَقَاهُ مِنْ شُوْبَهُ، وَأَخْلَصَ اللَّهَ دِينَهُ: تَرَكَ الرِّيَاءَ فِيهِ <sup>(٩)</sup>، وَ عَرَفَ بَعْضَهُمْ أَيْضًا: هُوَ تَخْلِيصُ الشَّيْءِ مِنَ الْأَوْسَاخِ وَ الْقَادِورَاتِ، وَ ذَلِكَ الشَّيْءُ يَضْمُنُ الْعَمَلَ، وَ النِّيَةَ وَ الْقَصْدَ، أَوَّلًا وَ الْفَكْرَ وَ الرَّأْيَ وَ الْعَقِيدَةَ، أَوَّلًا وَ الْخُلُقَ <sup>(١٠)</sup>.

اصطلاحاً: و هو تصفية النية و العمل و كل فعل خير لوجه الله الكريم وكما عبر عنه بعضهم بأن لا تعبد هواك و نفسك، و لا تعبد إلا ربك، و تستقيم في عبادته كما أمرك، و هذا إشارة إلى قطع كل ما سوى الله عز وجل عن مجرى

النظر، و هو الإخلاص حقاً<sup>(١١)</sup>، هذا بالإضافة إلى الروايات المتضارفة في تعريف الإخلاص و صوره وو....

### توضيح معنى ( الدين الخالص ) :

وردت هذه اللفظة - الدين الخالص - في بعض الآيات و كثير من الروايات ففي قوله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّهُ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ إشارة لهذا اللفظ الذي يقصد به: الدين الذي لا يشوبه الرياء و لا السمعة و لا وجه من وجوه الدنيا و الدين الخالص (هو) (الإسلام)، و قيل هو شهادة أن لا إله إلا الله (و إخلاصه أن يمحزه (لا إله إلا الله) عما حرم الله<sup>(١٢)</sup>، و قيل معناه إلا الله الطاعة بالعبادة التي يستحق بها الجزاء فهذا الله وحده لا يجوز أن يكون لغيره<sup>(١٣)</sup>. فالدين هو أمر من الأمور العملية - التي ينبغي أن يخلص فيها - و هو الاعتقاد الذي يؤمن به الإنسان ويسير وفقه، و عليه فيجب أن يخلص فيه للحق سبحانه، كما يخلص في غيره من الأعمال التكليفية و غيرها .

### من هو المخلص؟ و من هو غير المخلص؟

المخلص: هو الذي يعمل الله لا يحب أن يحمد الناس على ذلك العمل و لا يرتفب منهم شكرأ و لا ثناءً بل لا يرجو إلا ربه، و يصفوه بأنه الذي لا يختلف سره و علانيته، و فعله و مقالته و أخلص الله في عمله و علمه، و حبه و بغضه، وأخذه و تركه و كلامه و صمته، و قد ذكر رسول الله ﷺ للمخلص أربع علامات أنه: ( يسلم قلبه، و تسلم جوارحه، و بذل خيره، و كف شره )<sup>(١٤)</sup>.

غير المخلص: و هو خلاف المتقدم تماماً، و أعني من كان له مقصد غير الله

عز و جل، و تراه حريصاً على الدنيا و جامعاً لها من غير حلالها، و راضياً بها، و عمله كله لها و من أجلها و لحطامها و هو مخلص لكن شخص الشر و الجهل، وأجلى مصاديقه هو إبليس الذي أتقن و كافح من أجل مهنته و أخلص فيها، وغير المخلص هو أخ المرأي و يتلقى في بعض الصفات ، و من صفات هذا الأخير عن الرسول ﷺ : (أما عالمة (علامات) المرأي فأربعة: يحرض في العمل لله إذا كان عنده أحد، ويكسد إذا كان وحده... ) تكثر طاعاته، وتنشط روحه للطاعة في محضر الناس، وتكتسل و تستقل طاعة ربّه عندما يكون وحده، وهذا كاشف عن أن طاعته الأولى عن تقدير للناس لا عن تقدير الله .

(ويحرض في كل أمره على الحمد) في كل أفعاله يتذكر حمداً من الناس، ولا يشبع نفسه، ولا يلبي تطلعه رجاء الثواب من عند الله، يتوجه تطلعه دائماً إلى أن يسمع منك الكلمة الشاكرة، الكلمة الإعجاب، الثناء، وإن شعرت نفسه بالفراغ، وحالة فقد، وذهاب العمل، فمن المقدر هنا؟ من المعبد هنا؟ ليس هو إلا غير الله، (ويحسن سنته بجهده) يظهر التقوى، والتَّسْكُن، والزهد، والتعبد، ويخفض النظر عن الخرم كل ذلك طلباً للمنزلة في الناس ) (١٥) .

### صعوبة التوفّر على الإخلاص:

فكمما ورد في الخبر أن تخلص النية عن الفساد أشدّ على العاملين من طول الجهاد و أن الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل، فالإخلاص يعتبر من أكبر حملات الجهاد الأكبر و الذي يكون في صراع دائم -في كل آن آن- مع النفس الأمارة و الشيطان الرجيم، فطبعية النفس أنها ميالة لحبّ الأنّا الذي يولّد حبّ الظهور و الشهرة المزيفة و ...، وهذا مما لا يتتوفر إلا عند القليل حتى

شطر من العلماء، فعن الرسول ﷺ قال: (العلماء كلهم هلكى إلا العاملين، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصين، و المخلصون على خطر) <sup>(١٦)</sup> ، يعرض هذا الحديث مبيناً بوضوح حساسية و دقة هذه الخصلة و شدّتها و عظمتها و التي ليست من شأن حتى العلماء الذين لا يحرزون هذا الوسام العظيم .

### دور الإخلاص في قبول الأعمال:

أنه و كما ورد في المؤثر أن الله لا يقبل من عباده الأعمال إلا ما كان خالصاً له و أماً الأعمال التي لم تكن خالصة له جل شأنه فإنه بصريح خطابه الجليل يقول: (أنا خير شريك، من أشرك بي في عمله لن أقبله، إلا ما كان لي خالصاً) <sup>(١٧)</sup> ، فالإخلاص هو قوام العمل و عصبه الرئيسي و هو معيار القبول و عدمه و المناط في صحته و عدمها ، فعن أمير المؤمنين ع: (العمل كله هباء إلا ما أخلص فيه) <sup>(١٨)</sup>.

### العمل الخالص يتجلّى:

يقول الإمام الصادق ع: (من أراد الله عز و جل بالقليل من عمله أظهر الله له أكثر ما أراد و من أراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه و سهر من ليله أبي الله إلا أن يقلله في عين من سمعه) <sup>(١٩)</sup> .

### فضيلة الإخلاص و رذيلة الرياء:

يستفاد من روایات كثيرة أن المرائي علاوة على الخسارة الأخروية و الحرمان من الأجر و الثواب الإلهي، و الاحتراق بالنار، لا يصل إلى مقصوده للدنيا أيضاً بمعنى أنه سوف لا يحصل على التقدير و الشرف عند الناس، بل يفتضح وبهتك

في أكثر الأوقات، و ذلك قوله سبحانه و تعالى: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ  
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (٢٠)، وبعكس ذلك الشخص المؤمن فإنه علاوةً على الأجر  
الأخروي ، يكون محترماً عند الناس كما يقول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير قوله  
تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ﴾ (٢١) (الرجل يعمل شيئاً من الشواب لا يطلب  
به وجه الله وإنما يطلب تزكية الناس ويشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي  
أشرك بعبادة الله، ثم قال: ما من عبدٍ ستر الله خيراً فذهبت الأيام أبداً حتى يظهر  
الله تعالى له خيراً و ما من عبدٍ يستر شراً فذهبت به الأيام حتى يظهر الله له  
شراً) (٢٢).

#### موانع و معوقات الإخلاص:

غَلَبةُ الْهَوَى وَ التَّعْلُقُ بِالدُّنْيَا وَ شَهْوَاتِهَا وَ نِزَوَاتِهَا مِنْ حَبَّ الظَّهُورِ  
- الرياء - وَ الْعُلُوُّ وَ الرَّئَاسَاتِ الْبَاطِلَةِ - وَ بِالْجَمْلَةِ حَبُّ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِ اللَّهِ - فَإِنَّهُ  
يُكَسِّبُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ صَفَةَ السُّعْيِ وَ التَّشْبِيثِ بِأَصْوْلَاهُ وَ التَّعْلُقُ بِمَعْلَقَاتِهَا وَ هِيَ مِنْ  
أَكْبَرِ الْمَوَانِعِ وَ مَعْرِقَاتِ الْخَلُوصِ.

#### كيفية استئصال الرياء و حب الدنيا:

أولاً: يجب أن يعي الإنسان الفقير المحتاج في كل شيء للغنى المطلق المقتدر  
بأنه لإحاطة قدرة الله تبارك و تعالى بجميع الموجودات، و بسط سلطانه على جميع  
الكائنات، و إحاطة قيمومته بجميع الممكنات، أن قلوب العباد جمِيعاً هي تحت  
تصرُفه و بيد قدرته، و حتى أصحاب القلوب أنفسهم ليست لهم القدرة على  
التصريف في قلوبهم بدون إذن منه تعالى .

إذن، فالله هو مالك القلوب و المتصرف فيها و أنت العبد الضعيف العاجز

لا تستطيع أن تتصرف بقلبك بدون إذنه، إذن فرياؤك و تملّك إذا كانا لأجل جذب قلوب العباد، و لفت نظرهم، فإن ذلك خارج كلياً عن تصرفك، وهو تحت تصرف الله، فإله القلوب و صاحبها يوجه القلوب نحو من يشاء بل من الممكن أن تحصل على نتيجة عكسية .

ثانياً: و ليعلم الإنسان أن الشيء إنما يرحب فيه لكونه نافعاً له، فإذا علم أنه ضار له فليعرض عنه البتة، فينبغي لكل مؤمن أن يتذكر مضرّ الرياء - و أنَّ الخلق كلهم عَجَزَة لا يملكون لا لنفسه ولا لهم نفعاً ولا ضراً ولا يفيدونه يوم لا ينفع مال ولا بنون بل أنْ عبادته و عمله لا بد أن يكون لوجه من ينفعه في تلك الدار و في هذه الدار أيضاً و لا يتحقق ما يريد إلا عبر مالك القلوب كما مر - و آثاره و ما يفوّته من صلاح لقلب هذا الإنسان و ما يحرمه من التوفيق في الدارين سيما الآخرة و المنزلة عند الله و ما يتعرض له من المقت و العذاب ومتى تذكر ذلك مقابل ما يحصل عليه في الدنيا من الناس الذين راعى لأجلهم بما يفوّته في الآخرة من ثواب الأعمال، لترك الرياء لا محالة .

ثالثاً: أيها العزيز! استيقظ و أبعد عنك الغفلة و السكرة و زِّنْ أعمالك بميزان العقل قبل أن تُوزَنَ في ذلك العالم، و حاسب نفسك قبل أن تُحاسب، واجلُّ مرآة القلب من الشرك و النفاق و التلويون، و لا تدع صدأ الشرك و الكفر يحيط به بمستوى لا يمكن جلاوه حتى بنيران ذلك العالم، و اعلم أن مالك الملوك الذي تفضل علينا بكل هذه الكرامات قد طلب منا هذا المفضل قائلاً: (أخلص قلبك لي أو لأجل كرامتي، كي تحصل أنت النتيجة، و تحصل أنت على الفائدة)، لا تضيّع كل الثواب من أجل شهرة و هميمية في أيام معدودات، و لا تحرم

نفسك من كل هذه الكرامات، ولا تبع السعادة الأبدية بالشقاء الدائم (٢٤) .

### آثار ونتائج الإخلاص:

لِمَا تَقْدِمُ مِنْ صُورَةٍ شَامِلَةٍ عَنِ الْإِخْلَاصِ، يَبْغِي أَنْهُ اتَّضَحَ مَقَامُ هَذِهِ الصَّفَةِ وَعَظِيمَتِهَا، فَلَا يُتَصَوِّرُ مَا قَدْ حَثَّ الْإِسْلَامَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ كَبِيرًا أَنْ يَكُونَ ذَا نَتْاجٍ ضَئِيلٍ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ عَبْثًا وَهَوَاءً بَلْ إِنَّ الْإِسْلَامَ جَعَلَ الثَّوَابَ وَالْجَزَاءَ عَلَىٰ قَدْرِ الْجَهَدِ وَالْمَشْقَةِ، فَالْإِخْلَاصُ الصَّفَةُ الْجَوْهِرِيَّةُ فِي أَيِّ عَمَلٍ مِنْ نَاحِيَةِ قِبْلَةِ وَعَدَمِهِ وَمِنْ نَاحِيَةِ صَحَّتِهِ وَعَدَمِهَا، قَدْ عَبَرَتْ كَثِيرًا مِنَ الرِّوَايَاتِ تَعِيرًا مُنَاسِبًا وَمُوافِقًا لِشَأْنِ هَذِهِ السَّمَةِ وَسِنَدَكُرْ بَعْضُهَا مَعَ إِيْضَاحٍ وَتَعْلِيقٍ إِنْ أَمْكَنْ بِمَا يَتَسْعَ لَهُ المَقَامُ :

١- قال رسول الله ﷺ: (ما أخلص عبد الله عز وجل أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) (٢٥) ، يفهم من هذا الحديث الشريف أربعة مواضع:

- جريان ينابيع الحكمة، وهو النتيجة والمهدف من السير .

- الدخول في منازل الإخلاص، ومراحله، و منها الأربعون صباحاً .

- السير في عالم الإخلاص، وإنهاء جميع مراحله .

- قطع المنازل اللاحمة قبل الدخول إلى الإخلاص .

أما ينابيع الحكمة، فالحكمة عبارة عن المعرفة الدقيقة والقطعية، ويتتحقق ظهورها وجريانها في حال طهارة قلب الإنسان وصفاته بشكل كامل، و تزكيته، و تهذيبه، من كل أنواع القاذورات والكدرة في عالم المادة، وينبع الحكمة

إشارة إلى مبدأ جميع الفيوضات وجميع الكمالات، مظهرية الأنوار الإلهية، والإحاطة العامة بالعوالم الإلهية - بقدر القابليات الإمكانية - وسائر درجات وفيوضات هذا العالم بلا حدٍ ولا نهاية .

وأما الإخلاص والخلوص فهو على نحوين:

الأول: إخلاص الدين، وإطاعة الله .

الثاني: إخلاص نفسه له .

قال سبحانه إشارةً للأول ﴿لَيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٢٦)، وأشار تعالى إلى القسم الثاني بقوله ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٧) .

و هذا القسم من الإخلاص هو درجة الإسلام والإيمان، ولا يعمل إليها إلا المؤيد من عند الله، والمشمول بالألطاف الربانية، والموحد الحقيقى صاحب هذه الدرجة، و ثابت بنصر كتب الله ثلاثة مناصب رفيعة لصاحب هذه الدرجة :

- أنه يعفى من حساب المحسن والمحضور في تلك الساحة ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٨) .

إن ما يعطى لكل شخص من سعادة و ثواب يكون في مقابل عمله و فعله، إلا هذا الصنف من العباد، فإن الكرامة والألطاف بهم هي وراء شكل أعمالهم، و فوق ثواب أفعالهم ﴿وَمَا تُجِزُّونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٢٩) .

هذه الدرجة العظيمة، و المقام الكريم، فيه إشارة إلى مقدمات رفيعة، ومناصب منيعة، يبلغونها، لأنهم يقومون بالثناء الإلهي بما يليق بالذات المقدسة

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصْفُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصُونَ﴾ (٣٠). (٣١) نكتفي بهذا القدر من شرح هذا الحديث لأنّه عميق المعاني وواسع الشرح .

٢- قال أمير المؤمنين عليه السلام: (غاية الإخلاص الخلاص، والخلاص حري الإجابة، و عند تحقق الإخلاص تستثير البصائر، و بالإخلاص ترفع الأعمال، وفي إخلاص النيات نجاح الأمور، من أخلص بلغ الآمال، أخلص تسل). حري أن تكتب هذه الكلمات (الأخيرة) بأقلام من نور على وجنات الحور، فما أروع قوله عليه السلام: (أخلص تسل)، كلمتان فقط و لكن فيها ما فيها من الأسرار والحكم والحقائق، فإنَّ الإنسان إنَّما ينال ما ينال بالإخلاص (٣٢) .

٣- قال الإمام الصادق عليه السلام: (إنَّ المؤمن إذا كان مخلصاً لله أخاف الله منه كل شيء، هوام الأرض و سباعها و طير السماء) (٣٣)، و بعبارة أخرى: إنَّ الله يسخر لعبدة المؤمن المخلص كل المخلوقات والممكبات، و بعبارة أقل وأدق وأوضح: (عبدِي أطعني تكن مثلي، أقول للشيء كن فيكون، و تقول للشيء كن فيكون)، فتتجلى فيه صفات الحق جل شأنه الكمالية و الجمالية .

إلى غيرها من الأخبار التي تنص على عظم مقام المخلص و آثار إخلاصه في سوأ أعماله و استجابة دعائه و نجاح أموره و بلوغه آماله، و لكن لا يحتمله هذا المختصر .

### آفات الإخلاص:

في ختام هذا البحث نذكر آفات (٣٤) الإخلاص، لننبه به أنفسنا أولاً، ثم ليستفيد منه إخواننا المؤمنون المخلصون (أيديهم الله و سدهم) ثانياً .

إنَّ الآفات التي تقدر الإخلاص و تشوشه لها درجات في الظهور و الخفاء،

وأجلالها الرياء (الظاهر) - حال كونه ظاهراً - من تحسين العبادة والسعى للخشوع فيها عند كثرة الأنظار وبين الملائ دون ما إذا كان في الخلوة ليتأسى به الناس، و لكن لو كان هذا خالصاً لله حقاً لم يتركه في خلوته، إذ من يرى الخشوع و حسن العبادة خيراً لا يرتضي لغيره من الناس كافةً أن يتركوه بل يجب أن يكثر المؤمنون المخلصون، فكيف يرتضي ذلك لنفسه في الخلوة؟ ثم حتى تحسينها في الخلوة أيضاً بقصد التسوية بين الخلوة والملاء، وهذا من الرياء الغامض، لأنه حسّن عبادته في الخلوة ليحسنها في الملاء، وبالتالي سوف لن يكون فرق بينهما في التفاتاته و هم فيهما إلى الخلق فقط .

و بعبارة أخرى لتوصيف ما تقدم: كأن نفسه لا تسمح بإتساع العبادة بين أظهر الناس ثم يستحيي من نفسه أن يكون في صورة المرائين، فيفيظن أن ذلك يزول باستواء عبادته في الخلوة والملاء، ولكن ويا للأسف، ليس كما ظنه، إذ زوال ذلك موقوف على عدم التفاتاته إلى الخلق في الملاء والخلوة كحالته في الالتفات إلى الجمادات فيهما، لكنه مشغول الهم بالخلق فيهما جيعاً .

إذن الإخلاص الحقيقى الواقعى هو أن تكون مشاهدة الخلق لعبادته كمشاهدة البهائم لها، من دون تفاوتٍ أصلًاً، وأخفى حالات الرياء الخفيّ جداً أن يقول له الشيطان هو في عبادته بين الملائ بعد يائسه من كل المكائد والأكاذيب السابقة: (أنت الآن واقف بين يدي الله سبحانه و تعالى، فتفكر في جلاله و عظمته، واستحيي أن ينظر إلى قلبك وهو غافل عنه! فيحضر بذلك قلبك وتتشعر جوارحك)، وهذا أخفى مكائد الشيطان وخداعه، ولو كانت هذه الحاطرة ناشئة عن الإخلاص لما انفكَّت عنه في الخلوة ولم يخصن خطورها ومرورها بحالة حضور غيره سبحانه .

و علامة الأمان من هذه الآفة: أن يكون هذا الخاطر و هذا الشعور بما يألفه دائمًا في الخلوة و الملا، و لا يكون حضور الغير سببًا لحضوره و تذكرة، كما لا يكون حضور بهيمة سببًا له، فما دام العبد يفرق في أحواله و أعماله بين مشاهدة إنسان و مشاهدة بهيمة، فهو لا زال خارج صفو الإخلاص مدنّس بالشرك الخفي من الرياء (و هذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء) و لا يسلم منه إلا من عصمه الله بخفي لطفه، إذ الشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله عز و جل، لا يغفل عنهم ليحملهم في حبائله كالرياء في كل عملٍ من أعمالهم و أفعالهم .

يتلخص ما مرّ عظم درجة الإخلاص و صعوبة التوفّر عليها و أنها منزلة من منازل الدين العالية، و مقام من مقامات المؤمنين السامية، و هي الكبريت الأحمر، و توفيق الوصول إليها من الله الأكبر، فنسأّل الله بحقّ محمد و آل محمد أن يبلغ بإيماناً أكمل الإيمان، و أن يجعل يقيناً أفضل اليقين، و أن يتنهيَّ بنيتنا إلى أحسن النيات، و بعملنا إلى أحسن الأعمال، اللهم و فر بلطفك نيتنا، و صاحب بما عندك يقيننا، و استصلاح بقدرتك ما فسد منا، اللهم أحببنا و أفضّل علينا ما تفاصي به على أحبابك و أوليائك، لأن الإخلاص سر من أسرارك تستودعه قلب من تحب، (اللهم صلّ على محمد و آل محمد، و اجعلنا من جاسوا ديار الظالمين، و استوحشوا من مؤانسة الجاهلين، و سوا إلى العلو بنور الإخلاص) (٣٥) .. اللهم وفقنا للعلم و العمل الصالح و اجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، و صلّ اللهم على سيدنا و نبينا محمد و آلـ الطيبين الطاهرين.

## **المواهش:**

- (١) ميزان الحكمة : ج ٣ ، ص ١٠٨١.
- (٢) الطريق إلى الله تعالى : ص ١١.
- (٣) دراسات في الأخلاق : ص ٧.
- (٤) الجهد الأكبر للإمام الخميني قده : ص ١٣.
- (٥) سورة الشمس ، الآيات ٧ - ٨.
- (٦) سورة العنكبوت ، الآية ٦٥.
- (٧) سورة الإسراء ، الآية ٨٤.
- (٨) دراسات في الأخلاق : ص ٢٩ (بتصرف طفيف).
- (٩) جهاد النفس : ص ٢٠٨.
- (١٠) تذكرة المتقين في السير و السلوك إلى الله : ص ٢٧.
- (١١) ميزان الحكمة : ج ٣ ص ١٠١١.
- (١٢) ميزان الحكمة : ج ٣ ص ١٠٠٩.
- (١٣) مجمع البيان ج ٧-٨ ، ص ٧٦٢.
- (١٤) ميزان الحكمة : ج ٣ ص ١٠٩٠.
- (١٥) خطبة الجمعة لسمامة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) خطبة رقم (٢٠١).
- (١٦) ميزان الحكمة ج ٣ ص ١٠٠٧.
- (١٧) ميزان الحكمة ج ٣ ص ١٠٠٨.
- (١٨) ميزان الحكمة : ج ٣ ص ١٠٠٩.
- (١٩) أصول الكافي : ج ٢ باب الرياء.

- (٢٠) سورة الحج، الآية ١١.
- (٢١) سورة الكهف، الآية ١١٠.
- (٢٢) أصول الكافي: ج ٢ باب الرياء.
- (٢٣) الذنوب الكبيرة : ج ١ ، ص ٨٦
- (٢٤) الأربعون حديثاً للإمام الخميني قطب الدين: الحديث الثاني.
- (٢٥) ميزان الحكمة: ج ٣ ، ص ١٠١٣
- (٢٦) سورة البينة، الآية ٥.
- (٢٧) سورة الصافات، الآية ٤٠.
- (٢٨) سورة الصافات، الآيات ١٢٧ - ١٢٨.
- (٢٩) السورة الصافات، الآيات ٣٩ - ٤٠.
- (٣٠) سورة الصافات، ص ١٦٠.
- (٣١) تذكرة المتقين: ص ٢٦٨.
- (٣٢) رسالات إسلامية في الأخلاق: ص ١١.
- (٣٣) ميزان الحكمة : ج ٣ ، ص ١٠١٣
- (٣٤) و إذ نعبر بالآفات: فإننا لا نقصد بها مضار الإخلاص، وإنما نقصد بها الحالات الخفية التي تعترى الإخلاص فتشوّبه و تخطئه و تسقط العمل به - لا سمح الله - .
- (٣٥) عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ميزان الحكمة : ج ٣ ، ص ١٠١٤



**هل سمع الأئمة الأطهار بإقامة الحكومة الإسلامية؟**

(الحلقة الثانية)

حسن عبد الله أحمد القصاب

إنما للحلقة السابقة نشير إلى خلاصة البحث وندخل في الحلقة الثانية، مستمدرين العون من الله تبارك وتعالى.

خلاصة البحث الساق :

قلنا فيما سبق بأن الشريعة الإسلامية جاءت خاتمةً للشائع السماوية، فهي الشريعة الكاملة والشاملة لجميع متطلبات الحياة إلى يوم القيمة، وأن حكمها يجب تنفيذها لتتم فائدة البعثة النبوية الشريفة.

وأن النبيَّ الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ الْأَعْلَمُ أقامَ الحكومة الإسلامية العادلة في المدينة المنورة، وكذلك أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولكنَّ السُّؤالَ كان: هل الأئمة الأطهار سعوا لإقامة الحكومة الإسلامية؟

وأوضحنا بأنَّ الأئمَّةَ عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ أيضًا سعوا لذلك إلا أنَّ الظروف لم تسمح لهم بذلك. في هذه الحلقة نورد بعض الشبهات حول سيرة الأئمَّةِ الأطهار عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ وبعض التساؤلات حول عدم قيامهم للثورة والجهاد ضد الحكام والمستكبرين.

## ما يتعلّق بسيرة أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ :

لو تأملنا مليأً في حياة الإمام علي عَلَيْهِ الْكَلَمُ، نجدها مليئةً بالمواقف السياسية الحكيمية، هذا ما ينقله لنا كتاب نهج البلاغة، وما يتعلّق برسائله عَلَيْهِ الْكَلَمُ وحروبه. فالبعض من هذه المواقف تحتاج إلى دراسةٍ واعيةٍ وتحليلها تحليلًا دقيقاً، خصوصاً مع ملابسات الأوضاع السياسية والاجتماعية في تلك الفترة، والذي يريد أن يعطي حكماً أو يصدر رأياً لابد له من مراجعة هذه الحيثيات الخيطية بتلك الفترة، فلا يقف على النص التاريخي أو الروائي ويصدر حكماً على الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ.

نضرب نموذجاً واحداً على هذه الدعوى لكي ثبتت بأن مواقف أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ لم تكن مواقف الجاهل المتسرع في الحكم.

## موقفه من الخوارج:

فقد أوصى الإمام علي عَلَيْهِ الْكَلَمُ قبل وفاته ألا يحاربوا الخوارج بعد موته، بل يشتغلوا بمحاربة معاوية وجيش أهل الشام فقال عَلَيْهِ الْكَلَمُ: (لا تقاتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأنخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه) (١).

قد يستغرب الخلل لهذا النص، لماذا أوصى بعدم مقاتلة الخوارج وهم الفئة الضالة التي تعتبر أعدى أعداء الإسلام؟ حتى قُتلَ أمير المؤمنين بسيف أحدهم، إلا أن الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ يقدم الدليل بهذا الشأن فيقول (ليس من طلب الحق فأنخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه) ويصرح السيد الرضي عَلَيْهِ الْكَلَمُ بأن مراد الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ هم معاوية وأصحابه.

فالواقع أن أمير المؤمنين عليه السلام وبمحنته أراد أن يجنب أصحابه فتح جبهتين للقتال، وأن يكرسوا قوتهم تجاه عدوٌ واحدٌ كان يمثل آنذاك معاوية وحزبه ورهطهم وأعوانهم من أهل الشام.

وبعلمه عليه السلام أن أصحابه لا يتلكون القدرة الكافية لمواجهة كلتا الجبهتين، وخصوصاً إذا لاحظنا أن الخوارج كانوا من الناقمين على حكومة معاوية، ولعلهم يقفون إلى جانب المؤمنين في قتالهم لأهل الشام، مما يقوى الصف المؤمن ضد العدو الأول (٢)

### الخلاصة:

إن السياسي لابد أن تكون مواقفه حكيمٌ وواعيةٌ، ويختار الوقت المناسب للسلم أو الحرب.

### موقفه من الخلفاء:

وقد يتساءل البعض عن السبب في عدم مطالبة الإمام علي عليه السلام بحقه في الخلافة. أليست الخلافة من حقه؟ أليس هو صاحبها الشرعي؟ لماذا التزم بيته ولم يطالب بحقه الشرعي؟

في مقام الإجابة على هذا السؤال نقول:

لا يخفى على المتتبع لسيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام بشكل عامٍ يجد أن للأئمة عليهم السلام دوراً عاماً يشتركون جميعاً فيه، وهو السعي إلى القيام بوجه الظالمين، وإزالة الظلم الموجود آنذاك، بالرغم من تفاوت الظروف السياسية والاجتماعية التي يمرّون فيها، ومن ضمن أدوارهم عليهم السلام:

١- الحفاظ على الرسالة الإسلامية ورفع الشبه والأفكار الدخيلة على الأمة الإسلامية.

٢- الحفاظ على الأمة من الأخطار التي تهددها والضلالات والانحرافات السلوكية والأخلاقية والعقائدية.

٣- تبيان الأحكام الشرعية والتفسير وتعريف الأمة بفضل أهل البيت عليهم السلام الذي حاول مناوشة طمسه.

فهذه الأدوار كلها مشتركة بين الأئمة عليهم السلام جميعاً<sup>(٣)</sup>

بالإضافة إلى هذا الدور المشترك بينهم عليهم السلام، هناك دور خاص لكل إمام في زمن حياته وإمامته تحدده طبيعة الظروف السياسية والاجتماعية التي يعيشها كل من الإمام والأمة، وقد تتشابه الأدوار الخاصة لبعضهم نتيجة تشابه تلك الظروف، كما هو الحال في ظرف الإمامين الباقر والصادق عليهم السلام، وكذلك الإمامين الهادي والعسكري عليهم السلام، وقد تتعارض الأدوار أيضاً كما في الإمامين الحسن والحسين عليهم السلام، بل في حياة الإمام الواحد، ك موقف أمير المؤمنين عليه السلام من الخلفاء وموقفه من معاوية <sup>(٤)</sup>، فإنه اتخذ موقف المالم مع الخلفاء ما داموا لم ينحرفو بشكل ظاهر، بخلاف موقفه من طاغية الشام، فقد أعلن الحرب ضده. ومثال آخر: موقف الإمام الحسين عليه السلام في زمن أخيه الحسن عليه السلام، وموقفه بعد وفاة أخيه الحسن الجبي عليه السلام.

ومن الدور العام المشترك لأئمة أهل البيت عليهم السلام أصل القيام بوجهه الحاكم الظالم إذا توفرت العدة الالزمة للقيام بكل أبعادها، لا في بعد العدد وحسب، ويمكن استفادة هذه الحقيقة وهذا الهدف من خلال بعض النصوص التاريخية <sup>(٥)</sup>.

بعد ذكر هذه المقدمة نرجع إلى السؤال المطروح فنقول: بأن أمير المؤمنين عَلِيًّا  
بعد السقيةة والمؤامرة التي قام بها بعض المسلمين، كان قد حرض البدريين من  
المهاجرين والأنصار على القيام والثورة، فلم يدع أحداً منهم إلا أتاه في منزله،  
يذكرهم حقه ويدعوهم إلى نصرته، فما استجاب له منهم إلا أربعة وأربعون،  
فأمرهم أن يصبحوا بكرة مُحَلِّقين رؤوسهم معهم السلاح ليابسوا على الموت، فما  
وافاه في الصباح منهم إلا أربعة، ثم أتاهم أيضاً في الليلة الثانية فناشدهم  
 فقالوا: نصبح بكرة، فما أتاه غير أولئك الأربعة، وكانت النتيجة نفسها أيضاً  
في غداة اليوم التالي، فلما رأى غدرهم وقلة وفائهم له لزم بيته<sup>(٦)</sup>.  
هذا نموذجٌ واحدٌ من سيرة الأئمة عَلِيًّا، وهناك نماذجٌ كثيرةٌ في أمثال هذه  
القضية.

### الخلاصة :

إن الأئمة كانوا يريدون الثورة وإرجاع حقهم الشرعي، ولكن الظروف لم  
تسمح لهم بذلك، سواءً على مستوى الأنصار أو مستوىوعي الأتباع، وما عليك  
إلا أن تقرأ التاريخ بدقة لترى معاناة الأئمة وصبرهم على الأمة التي جهلت  
حقهم عَلِيًّا<sup>(٧)</sup>.

فمسألة الأنصار وعدهم الكافي ، في بعض الأحيان هو يُحَكَّم الموقف  
السياسي، فمسألة كفاية العدد ليست مقتصرةً على القيام بشورة أو غيرها، بل  
لكل إصلاحٍ وأمر معروف ونهي عن منكر لابد من توفر حد الكفاية في جبهة  
أهل الحق في قيامهم ضد جبهة أهل الباطل.

ويُستفاد هذا الأصل (وهو حد الكفاية) من قصة سدير الصيرفي مع الإمام  
الصادق عَلِيًّا فيقول الراوي: (دخلت على أبي عبدالله عَلِيًّا فقلت له: والله ما

يسُعُك القعود (عن الجهاد) فقال عليه السلام: ولِمَ يَا سَدِير؟ قلت: لِكثْرَةِ مَوَالِيك وَشَيْعَتِكَ وَأَنْصَارِكَ، وَاللَّهُ لَوْ كَانَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ مَا لَكَ مِنْ الشِّيَعَةِ وَالْأَنْصَارِ وَالْمَوَالِيِّ مَا طَعْمٌ فِيهِ تَيْمٌ وَلَا عَدِيٌّ، فقال عليه السلام: يَا سَدِير، وَكَمْ عَسَى أَنْ يَكُونُوا؟ قلت: مائةُ أَلْفٍ. قال: مائةُ أَلْفٍ؟! قلت: نَعَمْ، وَمَائِتَيْ أَلْفٍ. قال: مَائِتَيْ أَلْفٍ؟! قلت: وَنَصْفُ الدُّنْيَا. فَسَكَتَ عَنِّي. فَسَرَّنَا حَتَّى صَرَّنَا إِلَى أَرْضِ حَمْرَاءَ وَنَظَرَ إِلَى غَلَمٍ يَرْعِي جَدَاءً<sup>(٨)</sup> فَقَالَ: يَا سَدِير، لَوْ كَانَ لِي شِيَعَةٌ بَعْدَ هَذِهِ الْجَهَادِ مَا وَسَعَنِي الْقَعْدَةِ. يَقُولُ الرَّاوِي: فَعَدَّتْهَا فَإِذَا هِيَ سَبْعَةُ عَشْرَ)<sup>(٩)</sup>.

وَكَمَا يُسْتَفَادُ مِنْ رِوَايَةِ مَأْمُونِ الرَّقِيقِ فِي قَصَّةِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ سَهْلِ بْنِ حَسْنِ الْخَرَاسَانِيِّ الَّذِي اعْتَذَرَ لِلْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ امْتِشَالِ أَمْرِهِ فِي دُخُولِ التَّتْرُورِ الْمَسْجُورِ، وَدُخُولِهِ هَارُونَ الْمُكَيِّ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْخَرَاسَانِيِّ: (كَمْ تَحْدُدُ بِخَرَاسَانِ مُثْلِ هَذَا؟) فَقَالَ: وَاللَّهِ وَلَا وَاحِدًا. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا وَاللَّهِ وَلَا وَاحِدًا، أَمَّا إِنَّا لَا نَخْرُجُ فِي زَمَانٍ لَا نَجِدُ فِيهِ خَمْسَةً مَعَاصِدَنَا لَنَا، نَحْنُ أَعْلَمُ بِالْوَقْتِ)<sup>(١٠)</sup>.

## ٢- حول الإمام الحسن المجتبى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

الإشكال كذلك يرد على الإمام الحسن المجتبى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلماذا لم يحرك ضد معاوية ويحاربه؟! أليس من حقه أن يطلب الخلافة وإمامية الأمة؟

**الجواب:**

عندما استشهد الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ واستسلم الإمامة من بعده الإمام الحسن المجتبى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذ كان أول ما فعله بعد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هو مواصلة التعبئة العامة لقتال معاوية في حرب مصرية، ولو لا الخيانات الكبرى والخذلان الخطير والوهن المتفشي في عسكره وما أشبه ذلك من أسباب أجبرته على ترك الحرب، لما آل

الأمر إلى صلحٍ مع معاوية، وكان الإمام الحسن عليه السلام قد ابتلى الناس في عزّهم على الجهاد قبل المهادنة فما وجد فيهم إلا الخور والضعف وحب السلامه والدنيا، حين صعد المنبر فخطبهم قائلاً:

(ألا وإنَّ معاوية دعانا إلى أمرٍ ليس فيه عزٌّ ولا نصفة، فإن أردتم الموت رددناه عليه، وحاكمناه إلى الله عزوجل بضم الهمزة بضم الباء السيف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضا، فنداه القوم من كل جانب:البقاء، الباقيه، فلما أفردوه أمضى الصلح) (١١).

فيتضح جليًّا من هذه المواقف -وغيرها- أن الإمامين أمير المؤمنين والختبى عليهم السلام كانوا يسعian لنيل حقهما الشرعي، ولكن الظروف والأجواء السياسية والاجتماعية كانت تقف أمام طلبهما.

### ٣- حول الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

هل سعى الإمام السجاد عليه السلام لإقامة الحكومة الإسلامية؟ وماذا نفسر ابعاده عن الناس وانعزاله عن المجتمع في تلك الظروف؟

**الجواب:**

إن حياة الإمام السجاد عليه السلام تحتاج إلى دراسةٍ معمقةٍ ودقيقةٍ قلما يتعرض لها الباحثون والمحققون، ولو اقتطعنا منها لطال بنا المقام، ولقد سلط الإمام القائد الخامنئي (دام ظله) على حياة الإمام السجاد عليه السلام وهي حقيقة بالقراءة والمراجعة والتأمل الواعي في سطور كلماته (دام ظله)، وكذلك السيد الجلالـي في كتابه (جهاد الإمام السجاد عليه السلام).

نذكر روایةً يتبيّن لنا موقف الإمام السجاد عليه السلام من بنـي أمـية والظـالـمـين لـحقـهـمـ.

وهي رواية ذكرها الشيخ الحر العاملي في كتاب الوسائل برواية موثقة عن الشيخ الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن عثمان بن عيسى عن سعاعة عن أبي عبدالله عليهما السلام قال: (لقي عباد البصري علي بن الحسين عليهما السلام في طريق مكة، فقال له: يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته، وأقبلت على الحج ولينه، إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُغَارِّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية، فقال علي بن الحسين عليهما السلام: ألم الآية فقال ﴿الْتَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ الآية، فقال علي بن الحسين عليهما السلام: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فلجهاد معهم أفضل من الحج) (١٢)

يتضح صريحاً بأن الإمام زين العابدين عليهما السلام لم يترك الجهاد لصعوبته ومشقته، بل لعدم وجود الناصر الذي يتصرفون بصفات المقاتل الحقيقي.

بعد ذكر هذه النماذج يتضح لنا موقف الأئمة عليهما السلام اتجاه حكام الجور، وعرفنا بأن السبب في ترك الأئمة للجهاد والثورة ليس من الأئمة عليهما السلام، بل من جهة الأمة وضعفها وتتخاذلها.

وبهذه النماذج نستطيع أن نرد على جميع الإشكالات التي قد يوردتها البعض من هنا وهناك، فإن مقتضى مصلحة المسلمين فوق كل شيء.

وكذلك أزمان بعض الأئمة عليهما السلام فقد توفرت المعرفة والوعي، إلا أن العدد لم يكن متوفراً، كما في زمن الأئمة الباقر والصادق والرضاء عليهما السلام، إلا أنهم افتقدوا باقي الشروط كالحزم واليقين والنصرة والطاعة المطلقة للإمام المعصوم عليهما السلام.

## المواهش:

- (١) نهج البلاغة / الخطبة ٦١، ذكرها الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (حفظه الله) في نفحات الولاية ج ٣ ص ٥.
- (٢) مقتبس من نفحات الولاية ج ٣ ص ٥-٦، ومن أراد المزيد فعليه المراجعة.
- (٣) من أراد المزيد حول هذه النقطة بإمكانه أن يرجع إلى كتاب السيد الشهيد الصدر قلنسوة / الأئمة عليهما السلام تعدد أدوار ووحدة هدف.
- (٤) كذلك موقف الأمير علية السلام لما هجموا على الدار، وضربهم فاطمة بضعة المختارات.
- (٥) مع الركب الحسيني: ٢١٣١/١ بتصرف.
- (٦) سليم بن قيس: ٨١ ، تاريخ اليعقوبي: ٨٤/٨٥.
- (٧) من أراد المزيد في هذا البحث فليراجع محاضرات سماحة الإمام القائد الخامنئي (دام ظله) حول سيرة الأئمة عليهما السلام، وكذلك كتاب السيد الحسيني الجلالی (جهاد الإمام السجاد عليهما السلام) وكذلك كتب السيد جعفر متضي العاملي (الإمام الحسن عليهما السلام والحياة السياسية) و (الإمام الرضا عليهما السلام والحياة السياسية) و (الإمام الجواد عليهما السلام والحياة السياسية).
- (٨) وهي أولاد المعزى جمع جدي.
- (٩) الكافي الشريف: ٢٤٢ - ٢٤٣/٢.
- (١٠) مناقب آل أبي طالب: ٤/٢٣٧.
- (١١) مع الركب الحسيني: ٢١٥/١، نقلًا عن أسد الغابة: ١٤/٢.
- (١٢) الوسائل ج ١٥ باب ١٢ - باب اشتراط وجوب الجهاد بأمر الإمام وإذنه، وتحريم الجهاد مع غير الإمام العادل. - ١٩٩٥٦ . الرواية موثقة من جهة عثمان بن عيسى وسماحة ، فهما وافقيان إلا أنهما موثقان. ورويت مثل هذه الرواية ولكن بستد مرسل ، في نفس الباب، رقم الرواية ١٩٩٥٩.

## قرة العينين في ترجمة الصيمريين

فاضل عبد الجليل الزاكى

### تمهيد:

لقد زخرت البحرين ومنذ القدم بالعديد من العلماء والشعراء الذين أثروا في الحياة العلمية والأدبية في المنطقة بشكل عام وفي البحرين بشكل خاص، وذلك من خلال ما كتبوه من كتب ومصنفات أو من خلال ما نظموه من أشعار، كما كان لبعضهم أيضاً دوراً بارزاً في الحياة الاجتماعية والسياسية في البحرين على ما يظهر من درس حياتهم.

و كنت أرجو ومنذ زمن بعيد في أن أوفق للإسهام في الجهود الرامية لنفض الغبار عن ما يلف شخصية رجالات البحرين من غموض، نتيجة تراكمات سنوات الإهمال الطويلة، التي تضافرت خلالها جهود الحاقدين من يرغب في طمس تراث هذه المنطقة، مع تخاذل أهلها عن القيام بأقل ما يقتضيه الواجب عليهم إزاء هذه الهجمة الشرسة التي تستهدفهم في هويتهم وتاريخهم.

وقد وفقت والله الحمد في أداء بعض ما يتوجب عليَّ القيام به، إذ قمت بتحقيق بعض ما ألهَّه علماء المنطقة من كتب، كما كتبت بعض المقالات التي تعرِّفُ علماء المنطقة، وكان في ضمن ما كتبته في وقتٍ سابقٍ ترجمة للعلامة الشيخ مفلح الصيمرى ولابنه الشيخ حسين بن مفلح الصيمرى، وقد أعددتها لطبع آنذاك ولكن الظروف لم تساعد على ذلك، وقد قمت مؤخراً براجعتها مرةً أخرى وأضفت إليها بعض ما استجد عندي من معلومات حول هاتين

الشخصيتين، وقد سعى جهد الإمكان لاستقصاء كل ما يمكن العثور عليه من هنا وهناك مما يمكن أن يلقي الضوء على شخصيتها وأحوالهما، وأننا إذ أقدم هذه الترجمة للنشر لأرجو من المختصين أن لا يخلوا عليّ بما لديهم من ملاحظات أو إضافات.

### الشيخ مفلح الصيمرى

اسم ونسبه:

الشيخ مفلح بن الحسن بن رشيد بن صلاح الصيمرى، وقد اختلفوا في ضبط اسمه والده وجده هل هما بالتصغير أم بالتكبير، فقد ورد في بعض المصادر مكبيرٌ هكذا (بن الحسن بن راشد)، وفي مصادر أخرى مصغرٌ هكذا: (حسين بن رشيد)، والذي نستصوبه تبعاً لصاحب الذريعة هو أنَّ الاسم الأول مكبر والثاني مصغر أي هكذا: (مفلح بن الحسن بن رشيد)، كما ورد بخط الشيخ مفلح في بعض كتبه وفي إجازته التي رأها صاحب الذريعة على ظهر كتاب (قواعد العالمة) (١).

أصله :

الصيمرى نسبةً إلى (صيمراً) أو (صيمراً)، وهي اسم لبعضين كما يذكر ياقوت الحموي (٢)، الأول في البصرة، والثاني بين ديار الجبل وديار خوزستان، وقد ذكر الماحوزي أنه (من صيمراً وانتقل منها إلى البحرين) (٣)، وهذا يعني أنه من أصلٍ غير بحراني، ولكنَّ صاحب أنوار البدرين نقل عن البعض من ثقاته

وجود منطقة في قرية (سلما باد) بالبحرين تعرف بـ(صيمر)، واحتمل كون الصيمرى نسبةً إليها، خصوصاً وأنه مدفون في تلك القرية، ولكن الحقّ على ما يبدو هو ما قاله الماحوزي؛ وذلك لقرب عهده به، ولو وجود أبيات شعر للشيخ مفلح قالها حين أخرج من البحرين تؤكّد ذلك، فقد نقل الشيخ علي البلادي (٤) أنه رأى أبياتاً للشيخ صيمرى قالها حينما نُفيَ من البحرين حيث قال:

رأى من مبلغ الإخوان أني	رضيت بسنة الفجار فيما
فاعل مثل (فعلان) وإنني	كجندب للولاية قد نفينا
وما أسفني على البحرين لكن	إخوان بها لي مؤمنينا
دخلنا كارهين لها فلما	أفنانا خرجنا كارهينا

وقوله: (دخلنا كارهين لها) يدل على أنه لم يكن بحراني الأصل، كما يظهر ذلك أيضاً من قوله: (فلما أفنانا) إذ تشعر بأنه غريب عنها ثم أنها نتيجة اندماجه فيها، ولعل المنطقة الموجودة في سلما باد والتي تُعرف بـ(صيمر) قد أخذت اسمها من وجود هذه الأسرة فيها كما شاهدنا ذلك في حالات مشابهة.

وغيّ عن الإشارة أن كلمة (فعلان) التي وردت في الأبيات على وزن عثمان، و(جندب) اسم أبي ذر الغفارى الصحابي المعروف الذي نفاه عثمان بن عفان إلى الربذة، وقد أراد الشاعر أن يشبهه ذاك الطاغية الذي نفاه من البحرين بعثمان، ويشبه نفسه بأبي ذر.

#### مولده:

لم تسعننا المصادر بتحديد تاريخ مولده على وجه الدقة، إلا أن من المرجح أن تكون ولادته سنة ٨٢٠هـ أو قبل هذه السنة؛ حيث أن أستاذه الشيخ أحمد بن

فهد الحلي توفي سنة ٨٤١هـ، فإذا افترضنا أنه كان حين وفاة أستاذه في الحادية والعشرين من عمره فهذا يعني أن ولادته كانت سنة ٨٢٠هـ، (حوالي سنة ١٤١٧م).

### موطنه:

قلنا فيما سبق بأن أصل صاحب الترجمة من (صيمر) البصرة، وأنه انتقل بعد ذلك إلى البحرين وتوطن فيها، وقد ذكرتُ بعض المصادر المتأخرة<sup>(٥)</sup> أنه سكن في الحلة السيفية مدة من الزمن، ولم أجده في المصادر القديمة ما يشير إلى ذلك، وربما أنهم استنادوا في ذلك إلى تتلمذ الصيمر على الشيخ أحمد بن فهد الحلي، فاستنتجوا أن ذلك حصل في الحلة لكون الأستاذ منها، إلا أن الصحيح أن ابن فهد الحلي تنقل في عدة أماكن ولم تنحصر إقامته في الحلة، فلا يتم هذا الاستنتاج.

وعلى أي حال فمما لا شك فيه أن العلامة الصيمر قد انتقل إلى البحرين، وكان انتقاله إليها بمثابة المرحلة الجديدة في حياته، إذ بدأ مرحلة العطاء الفكري، وقد استقر في البحرين في قرية (سلمabad) وهي إحدى القرى القديمة في البحرين، والتي لا زالت مأهولة لحد الآن، وهي في الوسط الشمالي لجزيرة البحرين، وتقع إلى الشمال من قرية (عالي)، وتقع إلى شرقها قرية (توبيلي)، وقد تضررت هذه القرية مؤخراً بسبب إنشاء منطقة صناعية فيها مما تسبب في حدوث تغييرات كبيرة في القرية.

## الأوضاع السياسية في عصره:

نحتاج هنا للتعرف على الحكومات التي عاصرها العلامة الصيمرى في كل من العراق والبحرين على حد سواء، وذلك للتعرف على الأوضاع السياسية التي عاشها، والتي ساهمت بشكلٍ أو باخر في تكوين شخصيته.

عاش الصيمرى في العراق حيث تتلمذ هناك على يد أستاذه العلامة الشيخ أحمد بن فهد الحلى (المتوفى سنة ٨٤١ هـ)، وعاصر الأحداث التي عصفت بالعراق على يد السيد محمد بن فلاح المشعشع، والذي كان زميلاً في التلمذ على ابن فهد الحلى.

ففي أواخر حياة أستاذة ابن فهد الحلى بدأ السيد محمد المشعشع حركته وتمكن في غضون فترة وجيزة من إقامة دولته التي امتدت لتشمل المناطق العربية في إيران، كما شملت البصرة ومناطق واسعة من العراق حتى حدود بغداد، وقد استمر أولاده من بعده إذ استمرت حكومتهم قرابة الثلاثة قرون بين مد وجزرٍ، حيث فقدت استقلاليتها في بعض الفترات وصارت تابعة للدولة الصفوية.

ولم تكن دولة المشعشعين مقبولة لدى العلماء، فقد امتزجت حركتهم بالكثير من العقائد الباطلة والانحرافات الفكرية، كما اتسمت بالكثير من العنف في تعاملها مع المجتمعات التي حاربتها، وقد وصل الأمر بهم إلى قيام المولى علي بن محمد المشعشع بالتعدى على العتبات المقدسة في العراق بشكل مهين جداً وكان ذلك في عام ٨٥٨ هـ ، وذلك بالرغم من أنهم ينحدرون من السلالة

العلوية، إذ أنهم من أحفاد الإمام موسى الكاظم عليه السلام ، ورغم أن محمد المشعشع قد أظهر عدم رضاه عن ما فعله ابنه المولى علي إلا أنه مع ذلك لم يفعل شيئاً إزاءه مدعياً العجز عن ردّه.

ولعل هذه الأعمال التي قام بها المشعشعيون هي التي سببت زيادة الفجوة بينهم وبين العلماء الذين عارضوهم بشدة، وانتقدوا أفعالهم وأفكارهم، ولعل ذلك هو السبب في تهجير الصimirي من موطنه الأصلي (صimir البصرة) إلى البحرين، أو أنه كان من بين الأسباب التي أدت إلى ذلك.

هذا بالنسبة إلى العراق، وأما في البحرين فقد شهدت تلك الفترة سقوط حكومة آل جروان والتي حكمت كل من البحرين والقطيف والإحساء ما يزيد على المائة عام، فقد استولى على الحكم جدهم جروان المالكي في سنة ٧٠٥ هـ، ثم لما مات جاء ولده ناصر بن جروان ثم أعقبه ولده إبراهيم بن ناصر الذي استمر بالحكم إلى ما بعد سنة ٨٢٠ هـ وقد وصفهم ابن حجر في الدرر الكامنة بأنهم كانوا من كبار الروافض، مصرياً بأن حكمهم كان شاملًا لكل بلاد البحرين، ولا نعرف على وجه التحديد متى انتهى حكمهم للبحرين، وهل أن إبراهيم هو آخر حكامهم أم أعقبه غيره، فكل هذا لا زال يحتاج إلى مزيد من الجهد والوثائق لينكشف عنه الغموض.

وقد أعقبتهم في الحكم سلالة أخرى عرفت بـ(آل جبر) وهي أسرة عربية سنية تتبع المذهب المالكي، ولكن يبدو أن حكم هذه الأسرة في بدايته كان مقتصرًا على الإحساء ولم يشمل كلاً من القطيف والبحرين، إذ كانتا تابعتين لحكومة هرمز من الناحية الإدارية، وبعد فترة من الزمن أي حوالي سنة ٨٠ هـ

توفي حاكم هرمز (توران شاه) ونتيجة لوقوع التناحر بين أبنائه على حكم هرمز فقد استنجد أحدهم ويدعى (سنقر شاه)<sup>(٦)</sup> بحاكم الإحساء (أجود بن زامل بن جبر) واتفق معه على أن يعينه على إخوته في مقابل أن يعطيه جزيرة البحرين والقطيف، وقد أعاذه على ذلك واستتببت الأمور لـ (سنقر شاه) ولكنه ما لبث أن طمع في البحرين مرة أخرى، ووقعت الحرب بين هرمز وبين (آل جبر) ولكنهم ما لبثوا أن تصالحوا في حدود سنة ٨٩٣ هـ على أن تكون البحرين تابعة لـ (آل جبر) إدارياً، في حين تبقى من الناحية الشكلية تابعة لحاكم هرمز وأن تدفع له ضريبة سنوية، واستمر الحال على ذلك إلى حين خضوع منطقة الخليج للبرتغاليين<sup>(٧)</sup>.

وهناك بعض المصادر تشير إلى أن حكومة (آل جبر) لم تستمر بعد ذلك في البحرين لمدة طويلة وأنها سرعان ما انتزعها العمانيون منهم، وتشير هذه المصادر إلى أن ذلك حصل في سنة ٨٩٣ هـ<sup>(٨)</sup> وأن حكم العمانيين قد استمر إلى حين دخول البرتغاليين، ولكن ما ذكرناه أولاً هو الأقرب على ما يبدو لتضارف المصادر على ذكره.

وعلى أي حال فالذي نطمئن له هو أن البحرين خلال الفترة التي عاشها الصيمري (أي في القرن التاسع الهجري) لم تنعم بالهدوء لفترات طويلة، كما لم تكن تستقر لها حكومة قوية لمدة طويلة.

#### نشاطاته الاجتماعية:

لم يسعفنا التاريخ بالكثير من المعلومات حول النشاطات السياسية

والاجتماعية التي كان يقوم بها صاحب الترجمة، إلا أن الظاهر أن مجئه إلى البحرين لم يكن برغبة منه كما يظهر ذلك من قوله السابق (دخلنا كارهين لها)، ولعل مجئه كان نتيجة لتلك التفاعلات السياسية التي عصفت بموطنه، ولعله شخصياً قد احتك بتلك الفئات مما جعله هدفاً لها.

كما أن شخصية صاحب الترجمة كانت تأبى الإقرار بالظلم والفساد، ولذا نراه وهو في بلاد الغربة -البحرين- يتخذ المواقف الجريئة والتي قد تكلفه الكثير، فلا تأخذه في الله لومة لائم، فحينما يرى أحد الطواغيت الذي يسمى (قرقور) يتلاعب بالشرع نراه يبادر بتصنيف كتاب مستقل ينصلح فيه على كفر هذا الطاغية<sup>(٤)</sup>.

#### الصيمرى في المنفى:

لقد اضطر العلامة الصيمرى إلى الخروج من البحرين والعيش في المنفى، وقد أشار لهذا النفي في الأبيات التي ذكرناها له، حيث قال فيها: (فلما أفنناها خرجنا كارهينا)، ولم نتمكن من معرفة سبب هذا التهجير القسري، ولكن يمكننا أن نخمن سببين محتملين لذلك:

**السبب الأول:** هو الكتاب الذي كتبه الصيمرى في (تكفير ابن قرقور وارتداده)، ولا نعرف شيئاً عن المنصب الذي كان يشغله ابن قرقور آنذاك في البحرين، ولكن يظهر من الوصف الذي وصلنا للكتاب أنه كان من أعيان البحرين، وكان فاسداً يحاول التلاعب بالشرع.

**السبب الثاني:** هو الكتاب الذي كتبه في موضوع الولاية، والذي سماه

بـ(إلزم الناصب بولية علي بن أبي طالب علثيمه)، فمن المحتمل أن يكون هذا الكتاب هو السبب في إبعاده عن البحرين، وما يقوى هذا الاحتمال هو ما ورد في الآيات المتقدمة حيث أن الصimirي شبه نفسه فيه بالصحابي الجليل جندي بن جنادة المعروف بأبي ذر الغفارى، كما شبه الطاغية الذى نفاه عن البحرين بال الخليفة عثمان حين نفى أبا ذر إلى الربذة، كما أن قوله: (كجندي للولاية قد نفينا) صريح بأن السبب هو موضوع الولاية، أو لا أقل أن له بعد طائفى.

و سواء كان السبب هو الأول أو الثاني، أم كان السبب هو مجموع الأمرين، إلا أن المتيقن أن إبعاد الصimirي عن البحرين كان بسبب مبادئه و مواقفه الجريئة والتي أقضت مضاجع طواغيت عصره، وبهذا يمكن اعتباره كأول مُبعَدٍ سياسياً في تاريخ البحرين المدون.

ولنا عرف الكثير عن هذه الفترة التي قضاها العالمة الصimirي في المنفى، فهل استمرت لمدة طويلة؟ أم أنها لم تطل؟ وما هي الأنشطة التي قام بها خلال فترة نفيه؟ وما هي العوامل التي أعادته إلى البحرين مرة أخرى؟ كل ذلك نجهله، ولعلنا نعثر مستقبلاً على ما يكشف الغموض عن هذه الفترة.

#### أساتذته:

لا نعرف الكثير عن أساتذته، ولكن يمكننا الكلام هنا وبصورة أساسية عن شخصيتين:

**الشخصية الأولى:** هو الشيخ أبو العباس أحمد بن فهد الحلبي المتوفى سنة

٤٨٤هـ صاحب كتاب المذهب البارع، فقد تلمنذ عليه الصيمري واستفاد منه كثيراً، واستجاز منه في الرواية أيضاً.

**والشخصية الثانية:** هي الشيخ كريم الدين يوسف بن حسين بن أبي القطيفي، فقد ذكر الميرزا الأفندى أن الصيمري تلمنذ عليه<sup>(١٠)</sup>، ولم نجد من أشار إلى ذلك قبل الميرزا الأفندى، ونحن نشك في كون الشيخ كريم الدين يوسف أستاذأً للصيمري، وذلك لأن الشيخ كريم الدين يوسف يروى عن ابن فهد الحلى بواسطة الشيخ رضي الدين حسين الشهير بابن راشد القطيفي<sup>(١١)</sup>، بينما الشيخ مفلح الصيمري يروى عنه مباشراً من دون واسطة، فيكون الشيخ مفلح متقدماً عليه في الطبقة، فالصيمري في طبقة أساتذة الشيخ كريم الدين ولم يعهد رواية مثله عنه، كما لم نجد أي ذكر لذلك في أي مصدر آخر.

#### تلامذته:

لم نعرف من تلامذته سوى ابنه الشيخ حسين بن مفلح الصيمري، وإن كنا نقطع بوجود تلامذة آخرين لم يدونهم التاريخ.

هذا ولكننا نظن ظناً قوياً بأن كلاً من الشيخ ناصر بن عبد الحسين السماهيجي والشيخ محمد بن أحمد الإحسائي اللذين ستأنى قصيدتاهما هما من تلامذة الصيمري، كما يلوح ذلك من أبيات قصيدتيهما.

يبقى أن نشير إلى وجود إجازة كتبها الشيخ مفلح الصيمري لأحد تلامذته على ظهر كتاب القواعد للعلامة، وتاريخها (١ جمادى الأولى ٨٧٣هـ) ولكن لم يتضح لنا من هو هذا التلميذ، وقد ذكر السيد محسن الأمين<sup>(١٢)</sup> أن هذا التلميذ

هو الشيخ ناصر بن إبراهيم البويمي الإحسائي، ولكن الظاهر عدم صحة ذلك إذ أن الشيخ ناصر البويمي توفي سنة ٨٥٢ أو ٨٥٣ هـ، فتكون الإجازة متأخرة عنه قرابة العشرين عاماً، وقد نبه على ذلك الشيخ الطهراني في ترجمته للبويمي (١٣).

#### مصنفاته:

للشيخ مفلح الصimirي العديد من الكتب، وقد طبع القليل منها ولا يزال البالقي ينتظر أن يرى النور وينخرج من عالم النسيان، وقد تناول الصimirي في كتبه مواضيع مختلفة، فبالإضافة إلى الفقه تناول المسائل العقائدية، كما تناول علوم الحديث والتاريخ واللغة والأدب، ولكن بقي جل اهتمامه منصباً على المواضيع الفقهية، ونحن هنا نذكر أسماء هذه الكتب ونُعرّفُ بها بشكلٍ موجز:

١- جواهر الكلمات في العقود والإيقاعات، ذكره الشيخ الطهراني في الذريعة (١٤)، رُتب الكتاب في مقدمةٍ لبيان ترتيب كتب الفقه، ثم بابين في العقود والإيقاعات في كل منهما عدة كتب، فرغ منه في العاشر من جمادى الأولى عام ٨٧٠ هـ، أوله: (الحمد لله رب العالمين، وبعد فقد التمس مني بعض الإخوان الأعزة علي الكرام لدى أن أجمع له صيغ العقود والإيقاعات) (١٥) هذا وقد ذكر صاحب الذريعة أن نسخة خطّ المؤلّف موجودة في مكتبة الشيخ محمد علي الخونساري في النجف.

٢- غاية المرام في شرح شرائع الإسلام، ذكره الشيخ الطهراني في

الذریعة<sup>(١٦)</sup>، وقال إنّه رأى نسخةً من هذا الكتاب في كربلاء وتأريخ كتابتها ٩٨١هـ، هذا وقد طبع هذا الكتاب في بيروت حدود سنة ١٩٩٣ في عدة مجلّدات، وأول الكتاب: (الحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام، وأنعم علينا بالتكليف المؤدي إلى دار السلام).

٣- كشف الالتباس عن موجز أبي العباس، وهو شرح على كتاب أستاذه أبي العباس أحمد بن فهد الحلبي واسم الكتاب (الموجز الحاوي لتحرير الفتاوى)، وقد ذكره صاحب الذريعة<sup>(١٧)</sup>، أوله: (الله أَحَمَدَ عَلَى سَوَابِغِ إِنْعَامِهِ، وَتَرَادُفِ آلاَئِهِ وَإِكْرَامِهِ وَتَتَابِعِ فَضْلِهِ وَدَوَامِهِ وَأشْكَرَهُ عَلَى حَالِي عَفْوِهِ وَانتِقامَهِ..)، وهو شرح بـ(قال - أقول)، فرغ منه مؤلفه في ٢٨ رمضان سنة ٨٧٨هـ، وتعد بعض نسخه<sup>(١٨)</sup> الموجودة إلى سنة ٩٨٨هـ، وقد طبع مؤخرًا في قم المقدسة ورأيت بعض أجزائه.

٤- رسالة في الطواف، ذكرها الشيخ سليمان الماحوزي في الفهرست<sup>(١٩)</sup>.

٥- إلزام النواصي، ذكره الشيخ الطهراني في الذريعة<sup>(٢٠)</sup>، أوله بعد التحميد والصلوات: (وبعد فإنه يجب على كلّ عاقل أن ينظر لنفسه قبل حلول رمسه)، وقد طبع طبعتين، الأولى في إيران سنة ١٣٠٣هـ، والثانية طبعة حديثة محققة في سنة ١٤٢٠هـ، كما طبع ثالثة في إيران سنة ١٤٢٤هـ بتحقيق السيد محمود الغريفي، المعروف أن هذا الكتاب هو من مصنفات الشيخ مفلح الصيمري كما نقل ذلك في كثير من المصادر وكما أثبت ذلك على نسخه المطبوعة، إلا أن هناك من نسبة إلى السيد ابن طاووس<sup>(٢١)</sup>، كما أن هناك من نسبة إلى الشيخ حسين بن الشيخ مفلح الصيمري<sup>(٢٢)</sup>.

٦- التبيينات في الإرث والتوريثات، ذكره الشيخ الطهراني<sup>(٢٣)</sup> وقال عنه بأن

رأى نسخة منه في ضمن مجموعة موقوفة في كتب السادة بيت الحرسان في النجف، وهو مرتب على ثلاثة أبواب وخاتمة، أوله: (الحمد لله الذي أسعدنا بدین الإسلام وأوضح لنا الحق وإيصال الضياء من الظلام).

٧- تلخيص الخلاف وخلاصة الاختلاف، ذكره الشيخ الطهراني في الذريعة<sup>(٢٤)</sup> ، وقد رتب فيه كتاب (الخلاف) للشيخ الطوسي بعين ألفاظه مع التقديم والتأخير وحذف الزوائد حسبما يراه فذكر من آراء أهل السنة أقوال الصحابة وأئمة المذاهب الأربع ولم يتعرض لغيرهم، وإذا كان له رأي خاص في المسألة أورده مع الإشارة إلى دليله، وقد أتته في ١٧ جمادى الآخرة سنة ٨٦٣ هـ<sup>(٢٥)</sup>، وقد طبع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء في مدينة قم المقدسة بتحقيق السيد مهدي الرجائي في سنة ١٤٠٨ هـ.

٨- التنبيه على غرائب من لا يحضره الفقيه، ذكره في الذريعة<sup>(٢٦)</sup> .

٩- ديوان شعر، ذكره في الذريعة<sup>(٢٧)</sup>.

١٠- رسالة في أصول الدين، ذكرها في الذريعة<sup>(٢٨)</sup> ، وقال عنها أنها مختصرة في الغاية ببراهين موجزة في عدة أوراق، وقال أنها موجودة في مكتبة السماوي.

١١- رسالة في تكفير ابن قرقور، ذكرها في الذريعة<sup>(٢٩)</sup> ، كما ذكر الشيخ سليمان المحوزي أنه رآها في خزانة أستاذه الشيخ سليمان بن علي الإصبعي الشاخوري، قال: وله رسالة في تكفير ابن قرقور رجل من أعيان البحرين وارتداده بسبب تلاعنه بالشرع المقدس<sup>(٣٠)</sup>.

١٢- عقد الجمان في حوادث الزمان، ويسمى أيضاً بـ (رجال الشيخ مفلح)

ذكره الشيخ الطهراني في الذريعة<sup>(٣١)</sup>، وقد طبع في ضمن سلسلة (ميراث إسلامي مكتوب)، وقد أخبرني بعض الإخوة أنه بقصد طبعه مستقلاً.

### ١٣- مختصر الصحاح، ذكره في الذريعة<sup>(٣٢)</sup>

#### أخلاقه وسجاياه:

لا يوجد في المصادر من أشار إلى أخلاق وسجايياً الشيخ مفلح الصimirي، نعم تكلم الشيخ يحيى البحرياني عن ابنه الشيخ حسين بن مفلح، ووصفه بالعبادة والتقوى ووصف حسن أخلاقه، وكما قيل فإن (الفتوى سر أبيه)، نعم ورد في قصيدة معاصره السماهيجي الآتية وصفه بأنه قد تفوق على أبناء زمانه في الورع، ووصف تضلعه في العلوم، وذكر مجاهدته لنفسه.

كما أن قصة إبعاده عن البحرين التي ذكرناها فيما سبق تعطي بعدها آخر لشخصيته وأنه كان من لا تلومه في الله لومة لائم.

#### تضلعه في العلوم:

يمكن القول بأن كتب الشيخ الصimirي وأراءه الفقهية قدحظت باهتمام بالغ من العلماء الذين تأخرروا عنه، فقد دأب العلماء على استعراض أرائه الفقهية، ويمكن ملاحظة ذلك بشكل واضح في مطاوي كتاب الحدائق الناصرة للمحدث البحرياني، وكتاب مفتاح الكرامة للعاملي، وكتاب جواهر الكلام، وكتاب المكاسب.

## **أقوال العلماء في حقه:**

- ١- قال عنه الشيخ يحيى بن الحسين البحرياني: (الشيخ الأجل مفلح بن حسن الصيمري صاحب التنقيحات الباهرة، وقد صنف كتاباً جملاً منها... )<sup>(٣٣)</sup>
- ٢- وقال عنه الحر العاملي: (فاضل علامه فقيه، له كتب منها... ورسالة سماها جواهر الكلمات في العقود والإيقاعات، وهي دالة على علمه وفضله واحتياطه، وهو معاصر للشيخ علي بن عبد العالى الكركي) <sup>(٣٤)</sup>.
- ٣- قال عنه الشيخ سليمان الماحوزي: (الشيخ الفقيه العلامة الشيخ مفلح بن حسن الصيمري، وأصله من صمير وانتقل إلى البحرين وسكن قرية سلماباد، وله التصانيف الفائقة المليحة منها...) <sup>(٣٥)</sup>.
- ٤- وقال عنه الشيخ علي البلادي: (وهذا الشيخ فليس من رؤساء الطائفة الحقة وفتاويه كثيرة منقوله مشهورة في كتب الأصحاب كالجواهر والمقاييس ومفتاح الكرامة وغيرها... وقبره في قرية سلماباد من البحرين وقبر ابنه الصالح الشيخ حسين بجنبه) <sup>(٣٦)</sup>.

## **أشعاره وما قيل فيه من الشعر:**

له الكثير من القصائد، وقد ذكر الشيخ فخر الدين الطريحي في منتخبه قصيدتين من قصائده، كما قام الشيخ محمد السماوي بجمع أشعار الشيخ مفلح الصيمري في ديوان مستقل وقد انتقل هذا الديوان بعد وفاة الشيخ السماوي إلى الشيخ محمد علي اليعقوبي، ولا علم لنا عن مصيره الحالي، وقد تقدمت قصيده التي قالها حين خرج من البحرين، وقصائده طويلة ولكننا سنقتصر هنا على

بعض النماذج، فمما ذكره الشيخ فخر الدين الطريحي في منتخبه (٣٧) هذه القصيدة وهي طويلة تبلغ ثلاثة وثمانين بيتاً، وسنذكر مطلعها:

أَمْ الْجُورُ مفروضٌ عَلَيْكَ مَحْتَمْ فِلْمَ تَرَعَ إِلَّا لِلَّذِي هُوَ الْأَمْ وَعَرَنِينَ أَرْبَابَ الْفَصَاحَةِ تَرْغِمْ وَتَرْعِي لِمَنْ لَا فَضْلَ فِيهِ وَتَرْحِمْ لِشَخْصٍ رَمَاهُ الدَّهْرُ وَهُوَ مَصْمَمْ وَلَيْسَ لَمَا قَدْ قَالَ أَوْ قَيْلَ هُمْ لِدِيهِ فَيَقْضِي مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمْ لَهُ مَعْدُنَ أَهْلُوهُ يَؤْخُذُ عَنْهُمْ وَخَيْرُهُمْ صَنْوُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمْ وَأَلْقَتْ إِلَيْهِ نَفْسَهَا وَهِيَ تَبْسَمْ وَقَابَلَهَا مِنْهُ الطَّلاقُ الْمَحْرَمْ وَأَوْمَتْ إِلَيْهِمْ أَيْهَا الْقَوْمُ أَقْدَمُوا عَلَيْهِمْ وَقَالَتْ فَاسْمَعُوهُ ثُمَّ افْهَمُوا وَشَيْعُتُهُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مِنْهُمْ عَلَى حَرْبِهِمْ خَيْلُ الضَّلَالِ وَأَلْجَمُوا	أَعْدَلُكَ يَا هَذَا الزَّمَانُ مَحْرَمْ أَمْ أَنْتَ مَلُومٌ وَالْجَدُودُ لَئِمَةٌ فَشَانِكَ تَعْظِيمُ الْأَرَادِلَ دَائِمًاً إِذَا زَادَ فَضْلُ الْمَرْءِ زَادَ امْتِحَانَهُ إِذَا اجْتَمَعَ الْمَعْرُوفُ وَالدِّينُ وَالنِّقَىٰ وَكَمْ جَامِعٌ أَسْبَابٌ كُلُّ رَذِيلَةٍ فَأَنْصَحَىٰ وَقَدْ أَلْقَى الزَّمَانُ جَرَاءَهُ وَذَاكَ لِأَنَّ الدِّينَ وَالْعِلْمَ وَالنِّدَىٰ فَمَعْدُنَهُ آلُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٌ فَأَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَيْهِ بِزِينَةٍ فَأَعْرَضَ عَنْهَا كَارِهًا لِنَعِيمِهَا فَمَالَتْ إِلَى أَهْلِ الرَّذَائِلِ وَالْخَنَاٰ فَجَاءُوا إِلَيْهَا يَهْرَعُونَ فَأَقْبَلَتِ صَدَاقِي عَلَيْكُمْ ظُلْمٌ آلُ مُحَمَّدٍ فَقَالُوا رَضِينَا بِالصَّدَاقِ وَأَسْرَجُوا
---	---

ثم يشرع في ذكر مصائب أهل البيت ابتداء من حادثة الهجوم على الدار وصولاً إلى واقعة الطف، وهناك قصائد عديدة أخرى للصimirي أوردها الطريحي في هذا الكتاب.

ونحن هنا نذكر قصيدة أخرى للشيخ الصimirي كنموذج آخر لأشعاره، وهذه

القصيدة قالها في وصف كتابه (كشف الالتباس عن موجز أبي العباس) والقصيدة موجودة على إحدى النسخ الخطيّة القدّيمّة الموجوّدة في خزانة السيد المرعشي والتي يعود تاريخ كتابتها إلى سنة ٩٦٨هـ وقد كتبها علاء الدين بن عبد الرحمن، ومعها ثلث قصائد أخرى، إحداها لابنه الشيخ حسين بن مفلح الصيمرى والثانية للشيخ محمد بن أحمد الإحسائى، والثالثة للشيخ ناصر بن عبد الحسين السماهيجى، وهذه القصائد الأربع كلها تتكلّم عن كتاب كشف الالتباس، أما قصيدة الشيخ مفلح فهي هذه (٣٨):

هذا كتاب فيه شرح الموجز  
غلط المسمى للكتاب بموجز  
بيان لفظ مرمز أو ملغز  
بل كان يحسن اسمه بالمعجز  
رام ابن فهد فيه تعجيز الورى  
فأتى به رمزاً ولفظاً معجماً  
من كل حبر المعى هربز  
وضمائراً تخفي ولم تتميز  
ما رام حل رموزه ذو حاجة  
مضت السنون عليه غير محقق  
إلا ورد بحاجة لم تنجز  
أو كاعب رتقاً تريك بشاشة  
بل هو ككتنر نيله لم يبرز  
حتى تظن بأنها لم تنشر  
أو كاعب رتقاً تريك بشاشة  
كغريم سوء ماطل متحرز  
حتى أراد الله فض ختامها  
كغريم سوء ماطل متحرز  
جها فتىً عن فضها لم يعجز  
فافضها قهراً فصارت شيئاً  
من أم يوماً وصلها لم تحجز  
نعم الكتاب كتاب شرح الموجز  
كغريم سوء ماطل متحرز  
جها فتىً عن فضها لم يعجز  
وأبان ما أخفاه من أغازه  
كغريم سوء ماطل متحرز  
شرح كما المصباح وسط زجاجة  
في وسط مشكاة بيت الموجز  
قد كان قبل الشرح بيتاً مظلماً  
فأضا بنوره الشرح للمتميز  
وبدا كبيت زخرفوه بعسجد  
أو ثوب خز طرزوه بقرمز

ليست بمبسط ولا في موجز  
مستوره في خدرها لم تبرز  
من بعد صون عنهم وتعزز  
فيه لأهل العلم كل مبرز  
في البيت إلا قعدة المستوفز  
إن هي ونت في السير قال لها اجمز  
ظهور كثر للفقير المعوز

قد حاز هذا الشرح جمع فوائد  
وافتض أبكاراً وكانت قبله  
فبرجت من بعد ذلك للوري  
لو كان هذا الشرح في زمن مضى  
لم تلق ذاك الحبر عنه قاعداً  
وسرى إليه فوق كل نجية  
مستبشرًا بفوائد ظهرت له

وستعرض لقصيدة الشيخ حسين بن مفلح الصيمري في ترجمته، وأما  
القصيد الثانية وهي التي قالها الفقيه الورع الشيخ محمد بن أحمد الإحسائي (٣٩)  
فهي (٤٠):

حاوٍ لكشف الموجز المشهور  
سواء و مرجعه خلال قبور  
من بعد ما قد كان كالديجور  
مما بها من عجمة بسطور  
ومسهلاً لحزونه ووعور  
ظهرت مناقبه ظهور بدور  
الأمجدي وليس ذاك بزور  
منه وقد أعيى على التحرير  
سهلاً على الطلاب غير عسير  
أمسى له التوفيق خير نصير  
يهواه طبعاً قلب كل بصير  
فيه معاً عن مشبه ونظير  
كالشمس تشرق بالضياء والنور

هذا هو الشرح المعظم قدره  
تصنيف مولانا ابن فهد طاب مثل  
شرح به أمسى منيراً ظاهراً  
تحير العلماء في الفاظه  
فسمى إليه مذلاً لصعبه  
علامة العلماء مفلح الذي  
الصيمري الأفضل الأوحد  
وسطي وحل المشكلات وغامضاً  
فتراه بعد الامتناع وعسره  
لما تصدى كاشفاً لغطائه  
فأتي يفوق مخلياً أقرانه  
فرداً إذا علت فكرك منصفاً  
فيه فوائد زاهرات خمسة

لوا لا تأخره سعى لعلوه الـ  
لا عيب فيه غير أن به غنىً  
فلذاك يحتاج الفقيه إليه في  
لو أن صاحب ميّة أهيا أبا الـ  
لو لا اعتراض أخي الهاوي نهنا بما  
علماء من بلد إليه شطير  
عن غيره في فنه المأثور  
تدريسه في مجلس معمور  
عباس كان به عظيم سرور  
تحفي الصدور وما يجن ضميري

وأما القصيدة التي قالها الفقيه الورع الشيخ ناصر بن عبد الحسين

السماهيجي البحرياني (٤١) فهي (٤٢):

مصنفات أبي العباس شاهدة  
إذا أجال أمرؤ فيها رويته  
وكان من أهل تحقيق ومعرفة  
خصوصاً الموجز الحاوي الذي قصرت  
ما رامه طالب يوماً مطالعة  
لما تضمن من لغز ومن نكت  
لا يهتدى حلها إذ كان جامعه  
الله در فقيه غاص لجته  
وصار في نظر البحار مرتفعاً  
تهدى وتجلب من شام إلى يمن  
ذاك الذي فاق أبنا عصره ورعاً  
مقرراً لفروع كان أغفلها  
فحل الشريعة من يدعى إذا ازدحمت  
بمفلح رفع الرحمن منزلة  
الصimirي مجلبي كل مشكلة  
فقد تصدى على خبث الزمان وما  
بأنه بحر علم كالفرات طما  
محققاً لمعانيها وقد فهمما  
أحلها في محل دونه القدما  
عن كشف أسراره من جد واعترضا  
إلا وآب وفي الأحساء منه ظما  
تردد طالبها عنها حليف عمى  
أعده لتحدي من له قدما  
وأخرج اللؤلؤ المكنون منتظما  
يضاعفون له الأثمان والقيما  
إلى العراقيين يدعى الفرد والعلماء  
وبذهم في فنون العلم خير سما  
من قبله أكثر الطلاب والعلماء  
فرسان بحث وكل أظهر السلما  
غداً وأجزل في الدنيا له النعما  
في العلم أعيت لمن بالعلم قد وسما  
فتى مجاهدة للنفس مغتنما

ثواب من تسع الأعمال رحمته  
حتى استبان بحمد الله واتضحت  
جزاء ذو العرش خيراً عن مصنفه  
وزاده بسطةً في العلم شاملةً  
ولم تزل أبداً تتلى فوائده  
بشرحه بعد ما ألقوا له السلماء  
أسراره من زيادات لها رسماً  
وعن ذوي دينه طرأً فما وهما  
وصحةً لا يرى من بعدها سقماً  
ما دامت الأرض أرضاً والسماء سما

#### وفاته:

لم أجد تاريخاً دقيقاً ومحدداً لوفاته، ولكن إسماعيل باشا البغدادي (٤٣) والسيد  
محسن الأمين (٤٤) همَا وفاته بحدود سنة ٩٠٥هـ ( حوالي سنة ١٤٩٥م)، ولم يذكرا  
مصدرهما في ذلك، ولعل السيد الأمين قد تأثر في نقله بما ذكره البغدادي، لأن  
وفاة الأخير حصلت قبل وفاة السيد الأمين بقرابة النصف قرن.

وعلى أي حال فقد سرى ما ذكره إلى أكثر الكتب المتأخرة عنهما، فكثير من  
المصادر تذكر هذا التاريخ على أنه تاريخ مسلم، هذا ولكن لا يوجد ما يدل على  
حياة الصيمرى حتى هذا التاريخ، إذ أن المتيقن هو أن الشيخ الصيمرى كان حياً  
في رمضان سنة ٨٧٨هـ ( حوالي سنة ١٤٧٤م)، إذ أنه في أواخر شهر رمضان من  
هذه السنة فرغ من كتابه (كشف الالتباس)، ولا يوجد ما يدل على حياته أو  
وفاته بعد ذلك، وإن كنت لا أعتقد أنه عاش بعد ذلك كثيراً، إذ أنه لم يصنف  
أي من كتبه بعد هذا التاريخ، إذ أن جميع كتبه التي رأيناها يرجع تاريخها إلى ما  
قبل هذا التاريخ، فالأرجح أنه لم يعش بعد سنة ٨٧٨هـ أكثر من بضع سنوات.

#### مدفنه:

اختلاف في تعين محل قبره على ثلاثة أقوال:

**الأول:** أنه مدفون بالحلة السيفية كما نقله إسماعيل باشا البغدادي (٤٥).

**والثاني:** أنه مدفون في بلدة (هرموز)، كما يظهر من كتاب (مشايخ الشيعة)، حيث نقل إنه توفي هناك (٤٦).

**والثالث:** إنه مدفون في البحرين في قرية (سلماباد)، كما نقله في أنوار البحرين (٤٧) عن الشيخ سليمان الماحزي.

هذا ويوجد الآن في قرية (سلماباد) بالبحرين قبر مشهور، وقد بُني عليه مسجد وهو منسوب إلى الشيخ مفلح الصimirي، ولم أجد أحداً من قدماء علماء البحرين نصّ على أنّ قبره في (هرموز) إلاّ صاحب (مشايخ الشيعة)، وقد نقله عنه بعض المتأخّرين، وأول من نصّ على أنه في البحرين هو الشيخ الماحزي، وتبعه عليه الشيخ علي البلادي في (أنوار البحرين)، وتبعهما من جاء بعدهما كالشيخ المبارك في (حاضر البحرين) (٤٨).

والقول الأول في غاية البعد حيث لم ينقل ذلك عن أحد من علماء البحرين، وإسماعيل باشا البغدادي متاخر ولا نعرف مصدره في هذا الادعاء إذ لم نسمع عن أن الصimirي بعدما هاجر إلى البحرين واستقر فيها عاد مرة أخرى إلى العراق للاستقرار فيه، كما يبدو من كلام إسماعيل باشا أنه غير مطلع على سفر الصimirي إلى البحرين، ولعله ذكر ما ذكره تخميناً ليس إلا.

ولا يمكنني الجزم بصحة أي من القولين الآخرين على وجه الخصوص، وإن كنت أميل لما قاله الشيخ سليمان الماحزي وأستقر به لاستهار القبر بين أهل البحرين، بينما لم نجد بحسب تتبعنا لتاريخ (هرموز) من أشار إلى وجود هذا

القبر هناك، وأما احتمال أن يكون القبر الموجود في البحرين لشخص آخر غير الشيخ مفلح فهو أمر مستبعد.

### الشيخ حسين بن مفلح الصيمري

#### اسم ونسبه:

هو الشيخ حسين ابن الشيخ مفلح بن الحسن بن رشيد بن صلاح الصيمري، وقد اختلفوا في ضبط أسماء بعض الأجداد وقد تعرضنا لذلك في ترجمة والده الشيخ مفلح الصيمري.

والظاهر أنه كان يلقب بـ(جمال الدين) كما ذكر ذلك الميرزا عبد الله الأفندى<sup>(٤٩)</sup>.

#### مولده:

لم تذكر لنا المصادر مكان ولا تاريخ ولادته على وجه التحديد، إلا أن المظنون أن ولادته حصلت في البحرين، كما أن تلميذه الشيخ يحيى البحاراني أشار إلى أن الشيخ حسين الصيمري حينما توفي كان عمره أكثر من ثمانين سنة، وحيث أن وفاته كانت سنة ٩٣٣ هـ، فيمكن أن نستشف من كلامه أنه ولد قبل سنة ٨٥٣ هـ ( حوالي سنة ١٤٤٩ م).

#### الأوضاع السياسية:

لم يذكر لنا التاريخ ما يشفي الغليل عن أوضاع البحرين في تلك الفترة التي

عاش فيها صاحب الترجمة، وقد تعرضنا في ترجمة الشيخ مفلح إلى ما اطلعنا عليه من أوضاع البحرين في تلك الفترة، ولكن يمكننا أن نضيف هنا بأن صاحب الترجمة عاش على ما يبدو أوقاتاً صعبةً خلال تلك الحقبة من الزمن، فمضافاً إلى عدم الاستقرار السياسي الذي مرت به البحرين خلال تلك الحقبة، يمكننا أيضاً أن نلمس حذرين مهمين في حياة صاحب الترجمة:

**الحدث الأول:** أنه شهد في بدايات حياته ما لحق والده العلامة الشيخ مفلح الصيمرى من اضطهاد نتيجة تمسكه بمبادئه، وكيف نفاه الطواغيت عن البحرين من دون أي مراعاة لمستواه العلمي.

**الحدث الثاني:** وقد شهد في أخرىيات حياته، وهو الاحتلال البرتغالي للبحرين حوالي سنة ٩٢٧ هـ (١٥٢١م) وبلدان الخليج، وما صاحب هذا الاحتلال من نهب وسلب واضطهاد لهذه البلدان، وكان هذا أول غزو أوربى تتعرض له البحرين ومنطقة الخليج، وقد توفي صاحب الترجمة بعد هذا الاحتلال بعده سنوات، وقد استمر هذا الاحتلال قرابة المائة عام.

### سجاياد وصفاته:

لقد وصفه تلميذه الشيخ يحيى بن الحسين البحرياني بقوله: (وقد استفدت منه وعاشرته زمناً طويلاً ينيف على ثلاثين سنة، فرأيت منه خلقاً حسناً، وصبراً جميلاً، ولا رأيت منه زلةً فعلها، ولا صغيرةً أصر عليها فضلاً عن الكبيرة، وكان له فضائل ومكرمات، كان يختتم القرآن...) (٥٠)

ولهذه الأوصاف قيمتها؛ إذ أنها صدرت من عاشره زمناً طويلاً، وخالفته  
وتتلذذ عليه، وعرف عنه كل صفاته ومزاياه.

#### عبادته:

في كتابه مشايخ الشيعة يصف الشيخ يحيى البحرياني عبادة أستاده الشيخ حسين بن مفلح الصيمرى بقوله: (...كان يختتم القرآن في كل ليلة اثنين والجمعة مرة، وكان كثير النوافل المرتبة في اليوم والليلة، وكثير الصوم، ولقد حج مراراً متعددةً تعمده الله برحمته) (٥١).

ورغم أن الشيخ يحيى البحرياني قد قصد في كتابه المذكور أن يختصر ويترك الإطالة، إلا أنه خرج عن هذه القاعدة وأطال في ذكر مزاياه أستاده، ولعله يريد أن يرد له بعض أفضاله عليه.

#### أساتذته ومشايخه:

لم نطلع على أسماء المشايخ الذين تتلمذ عليهم الشيخ حسين الصيمرى، وكل الذي عرفناه أنه تتلمذ على يد والده الشيخ مفلح الصيمرى، وأما مشايخه في الرواية فإنه يروى عن والده الشيخ مفلح، كما يروى عن المحقق الكركي، بل نقل الميرزا عبد الله الأفندى أن صاحب الترجمة تتلمذ على الكركي أيضاً (٥٢).

#### تلامذته:

من المطمئن به أنه كان للشيخ حسين الصيمرى الكثير من التلاميذ، ولكننا

ونظراً لشحة المصادر لم نتمكن من التعرف على أسماء تلامذته والراوين عنه، وكل الذين تعرفنا عليهم منهم أربعة أشخاص فقط:

- ١- ولده الشيخ عبد الله بن الحسين بن مفلح بن الحسن الصيمرى (٥٣).
- ٢- الشيخ يحيى بن الحسين بن عشيرة بن ناصر بن أحمد البحرياني (٥٤).
- ٣- الشيخ نصر بن برقع بن صالح بن تركي الطرفي (٥٥).
- ٤- السيد إبراهيم (٥٦).

#### مصنفات:

للشيخ حسين الصيمرى العديد من الكتب، منها:

- ١- (محاسن الكلمات في معرفة النبات)، ذكره الطهراني في الذريعة وقال إنه موجود في خزانة الرضوية (٥٧).
- ٢- مناسك الحج الكبير، ذكره الشيخ الطهراني وقال إنه موجود في خزانة السيد حسن الصدر (٥٨).
- ٣- مناسك الحج الصغير، ويسمى أيضاً رسالة المناسك، ذكره الشيخ الطهراني في الذريعة وقال عنه: (وهو كسابقه موجود في خزانة سيدنا الصدر) (٥٩).
- ٤- (جواز الحكومة الشرعية)، ذكره الشيخ الطهراني في الذريعة، وقال ناقلاً عن كشكول البحرياني بأنَّ الشيخ سليمان الماحوزي ينقل عن هذا الكتاب في

كتابه (الفوائد النجفية) (٦٠).

٥- الأسئلة الصimirية. ذكره الشيخ الطهراني في الذريعة (٦١)، وهي الأسئلة التي كتبها إلى الحق الكركي، وقد أجاب عنها الكركي وقد وصفه الكركي فيها بـ(الشيخ الأجل أبقاء الله تعالى)، وفي ضمن هذه الأسئلة جاء في السؤال الرابع ما لفظه: ما يقول - دام ظله - وفضله في مسألة التقصير ، هل لو كانت ثمانية فراسخ فصاعداً حال استقامة طريقها وعند دورانها ينقص عن الثمانية ، فتكون الاستقامة شرطاً، أم كالمساجد العشرة التي تزار في البحرين في المواقت : وهل يجوز الجمع بين القصر والتمام أم لا ؟

وقد أجاب الحق الكركي عن هذا السؤال وعن بقية الأسئلة الأخرى بشكل مفصل، والأسئلة مع أجوبتها مطبوعة في ضمن المجلد الثاني من (رسائل الحق الكركي).

٦- الإيقاظات في العقود والإيقاعات. ذكره الشيخ الطهراني في الذريعة (٦٢) .

٧- وقد نسب إليه الميرزا عبد الله الأفندي كتاب (إلزم الناصب بولاية علي بن أبي طالب عليهما السلام ) وقد تقدم أن هذا الكتاب لوالده الشيخ مفلح، إلا أن الميرزا الأفندي يذكر بأنه رأى عدة نسخ عتيقة منه في البحرين وببلاد الإحساء وغيرها، وكان فيها بأنه من مؤلفات الشيخ حسين هذا، وقد يُظن أنه تأليف والده (٦٣)، إلا أننا نجد الشيخ سليمان الماحوزي وهو من كبار علماء البحرين ومن لهم اطلاع واسع على حياة علمائها - ينسب هذا الكتاب إلى الشيخ مفلح لا إلى ولده الشيخ حسين (٦٤)، ومن بعيد جداً أن لا يكون الشيخ الماحوزي قد اطلع على تلك النسخ التي ذكرها الميرزا عبد الله الأفندي، فإن الماحوزي كانت له

مكتبة كبيرة، وكانت له معرفة جيدة بمؤلفات علماء البحرين، ولهذا فالأرجح  
لدي هو كون الكتاب من مؤلفات الأب الشيخ مفلح.

#### آراء الفقهية:

لم تنقل لنا المصادر الكثير من آرائه الفقهية، ولعل أهم ما نقل لنا من ذلك  
هو فتواه بجواز الحكومة الشرعية أي القضاء لغير المجتهد مع فقده من باب  
الضرورة، فقد ألف فيه رسالة مستقلة للاستدلال على هذا القول، وهذا الرأي  
رغم ندرته في أوساط الفقهاء -خصوصاً في تلك الأعصار- إذ أن الرأي المعروف  
هو اشتراط الاجتهاد في القاضي، إلا أن هناك من تبني عدم الاشتراط إما مطلقاً  
أو مع فقد المجتهد كالشهيد الثاني على ما نقل عنه، وكالشيخ سليمان بن عبد الله  
الماحوزي الذي تبني هذا القول ودافع عنه وألف رسالة في ذلك.

#### شعره:

لم يدون لنا التاريخ قصائد كثيرة لصاحب الترجمة، وكل ما عثرنا عليه هي  
قصيدة قالها تقريراً لكتاب والده (كشف الالتباس عن موجز أبي العباس)،  
ولكن يظهر من هذه القصيدة أنه كان شاعراً مجيداً من غير تكلف، وهذه  
القصيدة مذكورة على نسخة خطية من كتاب (كشف الالتباس) وهي نسخة  
خطية قديمة موجودة في خزانة السيد المرعشبي، ويعود تاريخ كتابتها إلى سنة  
٩٨٨هـ وقد كتبها علاء الدين بن عبد الرحمن، ومعها ثلاثة قصائد أخرى،  
إحداها لوالده أبي الشيخ مفلح الصimirي، والثانية للشيخ محمد بن أحمد  
الإحسائي، والثالثة للشيخ ناصر بن عبد الحسين السماهيجي البحرياني، وقد

تعرضنا للقصائد الثلاث سابقاً في ترجمة الشيخ مفلح الصيمرى، ولعل التاريخ يكشف لنا من بطون المخطوطات قصائد أخرى لصاحب الترجمة ولغيره من علماء وأدباء البحرين، والقصيدة هي (٦٥):

للتالبين عمود رأس المذهب  
عبارة وضحت لكل مذهب  
سندأً وتعليقأً وحسن تهذب  
حتى غدا سهلاً بغير تصعب  
يلو على كلّ بهذا المطلب  
متعتمداً حتى سما كالعقرب  
عن نيله فغدا بغير تحجب  
متمتعاً كتمنع المستصعب  
من عصر ذاك العالم المتکسب  
حقاً وهذا القول غير مكذب  
حاز على حتى أضا كالكوكب  
وعلي والزهرا وكل مطيب  
وأدمه بالتقوى لكشف المذهب

هذا كتاب ليس يوجد مثله  
شرح تضمن كشف لفظ الموجز  
شرح تصدى للمسائل كلها  
قد كان موجز ابن فهد معجزاً  
رام الإمام الشيخ أحمد أنه  
فأتى بلغز ثم لمز موجز  
قد كان يعجز كل حبر مصقع  
من بعد ما قد كان صعباً مغلقاً  
مضت السنون عليه غير محقق  
مع كونه يقرأ ويروى دائماً  
ذاك الإمام الشيخ مفلح الذي  
أسألك يا رب على بالمستطفي  
من نسلها فأدم فواضل شيخنا

### أقوال العلماء فيه:

قال عنه تلميذه الشيخ يحيى بن الحسين بن عشيرة البحرياني: (الشيخ الفاضل نصير الملة والحق والدين حسين بن مفلح بن حسن، ذو العلم الواسع، والكرم الناصع، صنف كتاب المسك الكبير كثير الفوائد، ورسائل أخرى، وقد استفدت منه، وعاشرته زماناً طويلاً ينيف على الثلاثين سنة، فرأيت منه خلقاً

حسناً، وصبراً جميلاً، ولا رأيت منه زلةً فعلها، ولا صغيرةً أصرّ عليها، فضلاً عن فعل الكبيرة، وكان له فضائل ومكرمات، وكان يختتم القرآن في كل ليلة اثنين والجمعة مرة، وكان كثير النوافل المرتبة في اليوم والليلة، وكثير الصوم، ولقد حج مراراً متعددةً تغمده الله بالرحمة والرضوان وأسكنه بحبوحة الجنان، ومات في (...).<sup>(٦٦)</sup>

قال عنه الشيخ الحر العاملي : (الشيخ حسين بن مفلح الصيمرى، عالم محدث عابد كثير التلاوة والصوم والصلوة والحج وحسن الخلق ، واسع العلم، له كتاب المناسك الكبير كثير الفوائد ، ورسائل أخرى ، توفي سنة ٩٣٣ وعمره يزيد على الثمانين) <sup>(٦٧)</sup>

قال عنه الشيخ سليمان الماحوزي: (الشيخ الفقيه الزاهد العابد الشيخ حسين، أورع أهل زمانه وأعبدhem وأفضلهم، كان مستجاب الدعوة، كثير العبادات والصدقات، قل أن يمضي له عام في غير حج أو زيارة، لم يعشرا له عشرة، وكان للناس فيه اعتقاد عظيم وراج الشرع الشريف في زمانه غاية الرواج، وكان أذكي أهل زمانه، واجتمع في بعض أسفاره بالشيخ العلامة مروج مذهب الإمامية في المائة التاسعة الشيخ علي بن عبد العال الكركي، واستجاز منه وأجازه).<sup>(٦٨)</sup>

#### وفاته ومدفنه:

ذكر تلميذه الشيخ يحيى بن الحسين بن عشيرة البحرياني في كتابه (مشايخ الشيعة) أن صاحب الترجمة توفي في أول محرم سنة ٩٣٣هـ، (أي في السابع من أكتوبر سنة ١٥٢٦م) حيث قال: (ومات بقرية سلماباد إحدى قرى بلدة البحرين

مفتوح شهر محرم الحرام من سنة ثلاثة وثلاثين وتسعين، وعمره ينيف على  
ثمانين سنة).

وقبره معروف يزار في قرية (سلما باد) منذ القدم، وقد ذكر الشيخ سليمان  
الماحوzi (المتوفي سنة ١١٢١هـ) أنه زار قبر صاحب الترجمة ووالده الشيخ مفلح  
في قرية سلما باد<sup>(٦٩)</sup>، وحالياً فإن القبرين عليهما بناء معروف ويقصدهما الناس  
للزيارة والتبرك.

\*\*\* \*\*\* \*\*\*

## المواهش:

(١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١: ٢٥١.

(٢) معجم البلدان ٣: ٤٣٩.

(٣) كما نقل عنه في أنوار البدرين: ٨٠.

(٤) أنوار البدرين: ٧٦.

(٥) ذكر ذلك الخونساري في (روضات الجنات)، لكنه لم يكن جازماً ويبدو أن معلوماته حول  
الصيمرى كانت قليلةً ولا تفي بالغرض، فقد قال: وَكَانَ فَلَيْلَ كَانَ قَدْ سَكَنَ الْخَلَةَ  
السِّيفِيَّةَ أَوْ بَعْضَ بَلَادِ الْبَحْرَيْنِ وَالْدِيَارِ الْمُجْرِيَّةِ، لَأَنَّهُمَا كَانَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مُحْطَّ رِجَالٍ  
عُلَمَاءَ الشِّعَّةِ الْإِمَامِيَّةِ، إِلَى أَنْ يَظْهُرَ الْأَمْرُ فِي حَقِّهِ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.  
(انظر: روضات الجنات ٧: ١٧٠).

كما ذكر ذلك إسماعيل باشا البغدادي في كتابه (هداية العارفين) حيث قال متحدثاً عن  
الشيخ الصيمرى بأنه: سكن الخلة الفيحاء ومات بها في حدود سنة تسعين. (انظر

هدية العارفين ٢: ٤٦٩) وستتعرض لمكان وفاته وما قيل في تعينه.

(٦) بعض المصادر الفارسية تسميه (سلغر شاه)، كما أن بعض المصادر العربية تسميه (سلغور)، إلا أن اسم (سنقر شاه) الذي أثبتناه في المتن هو الأشهر في المصادر الفارسية.

(٧) تختلف المصادر في أوضاع البحرين السياسية خلال هذه الحقبة، وما ذكرته هنا هو نتاج الجمع بين مجموعة من المصادر المختلفة التي رجعت إليها، ومع ذلك فلست مطمئناً تماماً لهذه النتيجة، ويمكن الإشارة هنا إلى بعض هذه المصادر، فمنها:

١- عقد اللآل في تاريخ أول: ٩٢.

٢- الضوء اللامع للسخاوي: تحت اسم (أجود بن زامل).

٣- تاريخ النفوذ البرتغالي في البحرين: ١١٢.

٤- فارسname ناصري ١: ٤٤٤. (كتاب باللغة الفارسية).

(٨) على ما نقله التاجر في (عقد اللآل في تاريخ أول: ٩٢)، فقد نقل ذلك عن كتاب (كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة) للكاتب الأباشي سرحان بن يوسف الأزكوي.

(٩) الذريعة إلى تصنیف الشیعه ١١: ١٥٥.

(١٠) ریاض العلماء ٥: ٣٩٤.

(١١) راجع: عوالي اللثالي ١: ٨ ، ولؤلؤة البحرين: ١٨١.

(١٢) أعيان الشیعه ١٠: ١٣٣.

(١٣) طبقات أعلام الشیعه، القرن التاسع: ١٤٣.

(١٤) الذريعة إلى تصنیف الشیعه ٥: ٢٧٩.

(١٥) راجع: التراث العربي في مكتبة السيد المرعشی قلنسی ٢: ٢٣٨.

(١٦) الذريعة إلى تصنیف الشیعه ١٦: ٢٠.

- (١٧)الذریعة إلى تصانیف الشیعه .٢٠:١٨.
- (١٨)راجع : التراث العربي في مکتبة السيد المرعشی قلنسی ٤: ٣٣٠.
- (١٩)فهرست علماء البحرين: ٨٠.
- (٢٠)الذریعة إلى تصانیف الشیعه ٢:١٩٩.
- (٢١)كشف الحجب والأستار: ٥٨.
- (٢٢)ریاض العلماء ٢: ١٧٩.
- (٢٣)الذریعة إلى تصانیف الشیعه ٣: ٣٣٥.
- (٢٤)الذریعة إلى تصانیف الشیعه ٤: ٤٢٢.
- (٢٥)راجع كتاب التراث العربي في مکتبة السيد المرعشی قلنسی ٢: ١١٧.
- (٢٦)الذریعة إلى تصانیف الشیعه ٤: ٤٣٨.
- (٢٧)الذریعة إلى تصانیف الشیعه ٩: ١٠٨٦.
- (٢٨)الذریعة إلى تصانیف الشیعه ١١: ٨.
- (٢٩)الذریعة إلى تصانیف الشیعه ١١: ١٥٥.
- (٣٠)نقل ذلك عنه الشیخ علی البلاذی رحمة الله في كتاب أنوار البدرين: ٧٥.
- (٣١)الذریعة إلى تصانیف الشیعه ١٥: ٢٨٧.
- (٣٢)الذریعة إلى تصانیف الشیعه ٢٠: ٢٠٠.
- (٣٣)مشايخ الشیعه، مخطوط، لدينا نسخة مصورة منه.
- (٣٤)أمل الآمل ٢: ٣٣٤.
- (٣٥)نقل ذلك عنه الشیخ علی البلاذی رحمة الله في كتاب أنوار البدرين: ٧٥.
- (٣٦)أنوار البدرين: ٧٥.

(٣٧) راجع المجلس السابع من كتاب المنتخب للطريحي رحمه الله: ١٣٢.

(٣٨) راجع القصيدة في كتاب تراجم الرجال ٣: ٤٧٦.

(٣٩) لا نعرف الكثير عن هذا الشاعر، ولكنه كان يلقب بـ (شمس الدين)، وقد وصف بـ (الشيخ الفقيه الورع) على ما يظهر مما كتب على إحدى النسخ الخطية (راجع الفوائد الطريفة: ٥٧٣)، ونحن نستقرب كونه من تلامذة الشيخ مفلح الصimirي.

(٤٠) راجع القصيدة في كتاب تراجم الرجال ٢: ٣٦٤.

(٤١) لا نعرف الكثير عن هذا الشاعر، إلا أن الظاهر أنه كان معاصرًا للصimirي حيث دعا له بالصحة والزيادة في العلم، وقد وصف بـ (الفقيه الورع) كما أنه يلقب بـ (ناصر الدين) على ما يظهر مما كتب على إحدى النسخ الخطية، ونحن نستقرب كونه من تلامذة الشيخ مفلح الصimirي.

(٤٢) راجع: تراجم الرجال ٤: ٨.

(٤٣) هداية العارفين ٢: ٤٦٩.

(٤٤) أعيان الشيعة ١٠: ١٣٣.

(٤٥) هدية العارفين ٢: ٤٦٩.

(٤٦) الكتاب لا زال مخطوطاً، ولدي نسخة مصورة منه.

(٤٧) أنوار البدرين: ٧٦.

(٤٨) حاضر البحرين : ٦٠.

(٤٩) الفوائد الطريفة: ٥٧٢.

(٥٠) كتاب مشايخ الشيعة، مخطوط، لدينا نسخة مصورة منه.

(٥١) كتاب مشايخ الشيعة، مخطوط، لدينا نسخة مصورة منه.

- (٥٢) الفوائد الطريفة: ٥٧٠.
- (٥٣) طبقات أعلام الشيعة، القرن العاشر: ١٣٣.
- (٥٤) طبقات أعلام الشيعة، القرن العاشر: ٢٧٤.
- (٥٥) طبقات أعلام الشيعة، القرن العاشر: ٢٦٥.
- (٥٦) ذكره الميرزا عبد الله الأفندى رحمه الله في (الفوائد الطريفة : ٥٧١) ولم يذكر بقية نسبه ولا شيئاً من أحواله.
- (٥٧) الذريعة إلى تصنیف الشیعه: ٢٠: ١٢٧.
- (٥٨) الذريعة إلى تصنیف الشیعه: ٢٢: ٢٦٢.
- (٥٩) الذريعة إلى تصنیف الشیعه: ٢٢: ٢٦٢.
- (٦٠) الذريعة إلى تصنیف الشیعه: ٥: ٢٤٣.
- (٦١) الذريعة إلى تصنیف الشیعه: ٢: ٨٩.
- (٦٢) الذريعة إلى تصنیف الشیعه: ٢: ٥٠٢.
- (٦٣) ریاض العلماء: ٢: ١٧٩.
- (٦٤) فهرست علماء البحرين: ٨٠.
- (٦٥) تراجم الرجال: ١: ٣١٦.
- (٦٦) رسالة مشايخ الشیعه، تأليف الشیخ یحیی بن الحسین البحراني رحمه الله، مخطوط، ولدينا نسخة منه.
- (٦٧) أمل الأمل: ٢: ١٠٣.
- (٦٨) أنوار البدرين: ٧٦.
- (٦٩) أنوار البدرين: ٧٦.

## مِنْرَسَةُ الْإِمَامِ الرَّاجِلِ قَاتِلِ

علي المسترشد

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةً طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتَى كُلُّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

إن من أبرز ما تميز به الدين الإسلامي هو شموليته وعمقه الأصيل، بكل ما للكلمة من معنى فأينما نظرنا في أحكام الإسلام ومستحباته وأوامره ونواهيه وتعاليمه وإرشاداته وتوجيهاته، وأبعاده العقائدية ورؤيته الكونية وأيدلوجيته الخلقية، نجدها كلها نسيجاً واحداً متكاماً يكمل بعضه بعضاً.

ولا تجد شيئاً من هذا النسيج الكلي المتقن فيه أي نوع أو أي شكل من أشكال التعارض والتصادم مع بعضه البعض بل نجده متزناً منسجماً متكاماً مع الفطرة الإنسانية السليمة.

وهذا البعد البارز في الدين الإسلامي نجده مطروحاً بأبهى صورة وأدقها وأنفعها وأكثرها أصالةً في مدرسة أهل بيته النبوة والعصمة والطهارة عليهما السلام.

وبعد سنين طويلة من نزول الوحي مروراً بالسنين العجاف العصيبة المظلمة من الاضطهاد والظلومة والمحروميات التي عاشتها مدرسة أهل بيته النبوة والعصمة عليهما السلام ووصولاً لسنين الغيبة الصغرى والكبرى خرج شبل من مدرسة رسول الله المصطفى عليهما السلام، ابن من أبناء فاطمة وعلي عليهما السلام، وفقيه من فقهاء مدرسة أهل بيته عليهما السلام، نفض الغبار المتراكم لكل تلك السنين من الآهات

والظلامات و الحرمان و كشف من جديد و للعالم بأجمعه عن جوانب مشرقة غُيَّبت و تجاهلها الكثيرون. و أخرج للوجود من جديد العالم الأصيلة للفقه المحمدي العلوي بأبهى صورة متمثلةً بنهج نوراني واضح المعالم والأهداف والآليات.

و شارك في رسم هذا النهج و الخط و بيان معالمه و أهدافه و أبعاده ركام كبير من جهاد وجهود العاملين وأتعابهم و تحركهم و دمائهم و دموعهم و آهاتهم في غياب السجون و تحت سياط الجلادين، بالإضافة إلى جهد جهيد من فكر ونظر خير فقهائنا و علمائنا و كوادرنا الإسلامية. فكانت النتيجة الخط الخميني المقدس.

وبالتالي فإن هذا الخط شقته أمّة كبيرة من العلماء والمجاهدين والمضحين والعاملين في سبيل الله تعالى .

و إن جذور هذا الخط المتكامل الأبعاد تعود إلى رسالة الأنبياء والأئمة عليهما السلام ،  
فليس هذا الخط مثبوراً بل متصلًا بالرسالة الإسلامية وعظمتها.

و ربما يعد هذا الإنجاز الفريد و الكبير و النوعي من أبرز الإنجازات التي حققها إمامنا الحبيب قده ، حيث أبرز تعاليم مدرسة أهل البيت ع ليس في الدائرة الإسلامية فحسب بل للعالم بأجمعه .

### شمولية الإمام انعكست على مدرسته:

إن من أبرز المميزات التي تميز و تفرد بها الإمام الراحل الخميني المقدس قده هي شموليته و موسوعيته المترنة بالعمق الأصيل و الرؤية المتتجدة و الواقعية والواقعية.

فأن نهج الإمام المقدس هو فعلاً مدرسةً جامعةً و متكاملةً و منسجمةً مع بعضها.

فقد كان الإمام الخميني المقدس: فقيهاً، أصولياً، مفسراً، عارفاً، فيلسوفاً، قائداً، مديراً، سياسياً من الطراز الأول، تاريخياً، أدبياً، مربياً، مفكراً، شجاعاً، جريئاً، حكيناً، و عارفاً بالزمان و المكان، ....

فقد جمع جميع هذه الأبعاد و غيرها فهو قبسٌ منيرٌ من نور جده أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الذِّي جَمَعَ فِي شَخْصِهِ الْأَضْدَادَ.

و لقد كتب الإمام و تحدث في الأبعاد الأخلاقية و السلوكية و العقائدية و العرفانية و الاجتماعية و السياسية و الشرعية و الفقهية و الفلسفية و الحضارية . و خاطب حريصاً مشفقاً كل فئات و طبقات الناس، و ترجم كل دعواته بالعمل قبلها، فجاءت مشفوعة بكل مقومات التأثير.

فقد نجد فقيهاً من فقهائنا العظام تميز في بعد من أبعاد الإسلام كالفقه أو الأصول أو الفلسفة أو الأخلاق و العرفان أو التاريخ و غيرها، و قد نجد آخر تميز بالسياسة و الإدارة أو التنظيم أو القيادة و الحنكة، لكن أن نجد كل هذه الصفات و الخصائص و غيرها مجتمعةً في شخصية واحدةٍ و بعمقٍ جليٍّ! فإن هذا أمرٌ استثنائيٌ لم يتتوفر لأحد على أقل تقدير منذ زمن الغيبة الكبرى و حتى يومنا هذا.

فقد كان الإمام الراحل الخميني المقدس هو الأقرب من بين الكثيرين لمنابع الإسلام الحميدي الأصيل و كما قال خليفة الإمام الراحل ساحة الإمام القائد المرجع الخامنئي المفدى (دام ظله العالى) (إن الشخصية العظيمة لقائدهنا الكبير وإمامنا العزيز لا يمكن مقارنتها بعد الأنبياء و الأولياء المعصومين عَلَيْهِمْ بِأَيَّةٍ شخصية أخرى).

## **المدرسة الخمينية مدرسة الإسلام المحمدي الأصيل:**

قد احتوت شخصية الإمام الخميني المقدس على هذه الأبعاد و كان احتواها عليها لا على سبيل الجمع السطحي الضحل، بل وجدنا الإمام اخترق أعماق هذه الأبعاد و تميز و تفوق في كل بعده منها .

و لهذا كان منهج الإمام الخميني المقدس مدرسةً متكاملة للأبعاد لم تطرح في تاريخنا أي مدرسة بشموليتها و عمقها و موسوعيتها و معالجتها لكل الأبعاد العملية و الفكرية و الروحية. و وضع رَحْمَةُ الْكَوَافِرِ مجموعةً من الأسس الحيوية التي منها يمكننا الانطلاق من أرضية أيدلوجية و حركية صلبة تمكن المجتمع الإسلامي من الصمود و التقدم في ظل الوضع العالمي الراهن.

فكانت مدرسة الإمام الخميني المقدس هي الأقرب إلى روحية الإسلام المحمدي الأصيل في منهج و مدرسة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ و قد أعاد حفيدهم الراحل فَاتَّحَى مجد هذه المدرسة، و كشف الستار عنها، و قدمها للعالم كل العالم، وما نراه اليوم من تصريحات و اعترافات الأعداء قبل الأصدقاء لدليل نير واضح على ما قام به الإمام من تقديره لصورة الحقيقة النقية للدين الإسلامي المحمدي الأصيل.

**بالتستفادة من:**

- خطابات و بيانات إمام المسلمين القائد الخامنئي (دام ظله).
- دروس في خط الإمام الخميني فَاتَّحَى لسماحة حجة الإسلام و المسلمين السيد حسن نصر الله (دام بركاته).
- الإمام مدرسة لسماحة العلامة السيد عباس نور الدين (حفظه الله).
- كلمات الأعلام بحق الإمام المقدس.

**كلمات خالدة في حق روح الإمام الراحلة:**

**الإمام القائد الخامنئي المفدى(دام ظله):**

سيدي ومقتداي سماحة آية الله العظمى روحه فداء،

لقد علمتنا أيها الإمام أن نعزّ الإسلام، ونفديه بهجنا حتى يتحقق ويثمر،  
وتشمر معه شجرة النبوة والأئمة الأطهرين، وحتى يختلط زلال الكوثر بدماء  
الشهداء والصديقين، فلا نبالي بالمصائب والويلات في هذا السبيل، وكل ما  
نخشاه أن نحرم فلا نوفق في الحياة الأبدية ونعمتها .

وأنا الذي اعتبر نفسي جندياً بسيطاً من جند الله، بل و قطرة في بحر حزب  
الله المائج، مستعداً لأقarrع الأعداء المنافقين إلى آخر قطرة من دمي وسأجعل من  
﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ شعاراً بل أنشودةً في كل  
يوم وفي كل لحظة.

**شيخ الفقهاء والمجتهدین آیة الله العظمی الأراکی قلیلی :**

خلال مدة الخمسين سنة من معرفتي به لم أرَ منه غير التقوى والتدين  
والسخاء والشجاعة والشهامة وكبر النفس والقلب الكبير وكثرة التدين والجدية  
في العلوم النقلية والعقلية والمقامات العالية و... ، كان رجلاً تقىياً بكل ما للكلمة  
من معنى، يضحي في سبيل الإسلام .

هذا الرجل الخنت له المروءة فقام مقابل الكفر، فجعل يد الغيب تلازمه بما  
يحيّر العقول، بحيث لم يبق بيت في هذه الدولة إلاً وقال: الموت للشاه . فسار

واضعاً روحه على كفه، مصغياً من أجل الإسلام والقرآن وتبلیغ الدين الحنیف، واستعد للشهادة. والله سبحانه وتعالى خلق فيه قوة غریبة لم تعط لأحدٍ غيره، لقد تمیز بالجرأة والشجاعة والبصرة .

ومثال هذا الإنسان نادر، قل نظيره، بل لا نظير له.

إنّ أعمال هذا الرجل كانت خالصةً لله وحده، وأنّه لو كان في عاشوراء لأصبح أنصار الحسين (٧٣) فرداً بدل (٧٢) ولذهب للقتال وجعل صدره درعاً للحسين عليه السلام، هذا الرجل بذل حياته وكيانه وابنه وعياله وما ملك للإسلام، ولم يأب شيئاً ولم يخف أمريكا وروسيا، لقد طمع الكفر من بعده في الإسلام.

**آية الله العظمى الشهيد المظلوم محمد باقر الصدر** قلبي :

ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب هو في الإسلام.

(كيف تطلبون مني أن لا أؤيد الإمام الخميني وقد حقق ما كنت أرجوه وأسعى إليه؟ إنكم تطلبون المستحيل ولن أدخل بحياتي إذا توقف عليها تحقيق هدفي) .

**فقيه أهل البيت آية الله العظمى السيد الكلبايكاني** قلبي :

سلام الله وصلواته على الروح العظيمة لذلك الرجل الذي أحيا الإسلام في عالم الاستسلام، وطرق أسماع العالم بنداء التكبير والتوحيد، وأعاد للمسلمين مجدهم وعظمتهم، وزلزل أركان القوى الاستكبارية بصريحه المدوية، وذلك كله بفضل جهاده وتضحياته العظيمة، وقيادته الحازمة والحكيمة.

**آية الله العظمى السيد شهاب الدين المرعشى النجفى** قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ سَلَامٌ :

سلام الله على روح الله الذي استطاع قلب جميع المعاذلات السياسية لأعداء الإسلام، وحقق النصر المظفر على أعتى القوى الاستعمارية العالمية؛ وذلك بفضل جهاده المتواصل وكفاحه الدؤوب.

**شهيد المحراب آية الله صدوقي** قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ سَلَامٌ :

إن كلّ ما عندنا سواءً قبل انتصار الشورة أو بعدها هو من هذا الرجل الشريف العظيم فهو الذي أحيانا إسلامياً وسياسياً.

**الشهيد المظلوم آية الله السيد البهشتى** قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ سَلَامٌ :

كان الإمام من بين مجتهدي الشيعة العظام ذا أبعاد متعددةٍ من حيث سعة الرؤية، فكان فيلسوفاً عارفاً، فقيهاً، أصولياً، من أهل الحديث والقرآن. تجمع كلّ هذا في مرحلة التهذيب، وكان ينظر إلى الأمور بنظرية منفتحةٍ شمولية.

**شهيد المحراب آية الله أشرفى أصفهانى** قَدَّسَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ سَلَامٌ :

إن مقارنة الإمام الخميني بغيره لأمر مستحيل، فنحن لم نشاهد شخصاً في عصر الغيبة بعظمة إمام الأمة.

**الفقيه و الفيلسوف الإسلامي آية الله الشيخ الجوادى آملى**(دام ظله) :

الإمام الخميني أنسى من سبقه من العلماء وأتعب من سيأتي بعده.

## **حجة الإسلام والمسلمين السيد نصر الله(دام بركاته):**

أتى الإمام الخميني لنرى فيه ما دون المعصوم عليه السلام الذي تجتمع فيه هذه الموصفات: علم وشجاعة وإخلاص وزهد وورع وعرفان وتدبر، واستطعنا بحمد الله بعد كل هذه القرون المتتمادية والمظلومة التي لها أول وليس لها آخر، وشاء الله سبحانه وتعالى، أن يقيم في هذا العصر على يدي الإمام الخميني قائلاً دولة لا لـ محمد صلوات الله عليه، وهذه الدولة تزداد يوماً بعد يوم عزةً وقوّةً ومنعةً، ثم توفى الإمام قائلاً وأصبح عندنا ولـي أمر جديد، وبتشخيص الإمام وتسميته، فالذى نـوه باسم السيد الخامنئي، هو الإمام الخميني قائلاً نفسه وتم اختيار السيد القائد ولـيـاً للأمر..

## **شهيد المحراب آية الله السيد محمد باقر الحكيم قائلاً:**

أقام الإمام الخميني قائلاً الحكومة الإسلامية كان لذلك أثراً عظيماً في العالم الإسلامي وأهم الإنجازات في هذا العالم، والذي أدخل أفواجاً من العالم إلى الإسلام وأدى إلى هدايتهم. لذا يعتبر تضييف هذه الدولة تضييفاً للإسلام وكل الإنجازات التي حققتها، ومشاركة مع عمل كل المنافقين . واعلموا أن من يقوم بإضعاف هذه الدولة يشتراك مع كل هؤلاء المنافقين مهما كانت أسماؤهم .

## **سماحة الفقيه المجاهد آية الله مصباح يزدي(حفظه الله):**

إننا نحتاج لقرنين على الأقل حتى نقف بدقة على ما تركه الإمام من تأثير على المجتمع البشري .

## **المرجع الديني الشيخ حسين المظاهري(دام ظله):**

لقد كان الإمام رجل الله أسوة الورع واستمرار تجلّي نور الرسالة، وكان بحق مصداقاً للإنسان الكامل من بين أهل زمانه الغافلين .

**سماحة آية الله الشيخ عيسى قاسم(دام ظله):**

السيد الإمام قُلبي روح الفداء في سبيل الله بلا شرط، والتضحية من أجل الإسلام بلا حد؛ ولقد واصل الدرب الطويل لم يهن ولم يكل ولم يعله سأم ولا ضجر ولا فتور، وما شكى يوماً من فداحة الخسائر المادية أيام الثورة، وأيام الحرب المفروضة، وفي عمليات الاغتيال، بل كان يرى في كل ما يحدث من تضحيات وعطاء كبير مفخرةً وعزّاً، وفي روح الشهادة المتحفزة تقدماً ونصرًاً وحياةً ومجداً.

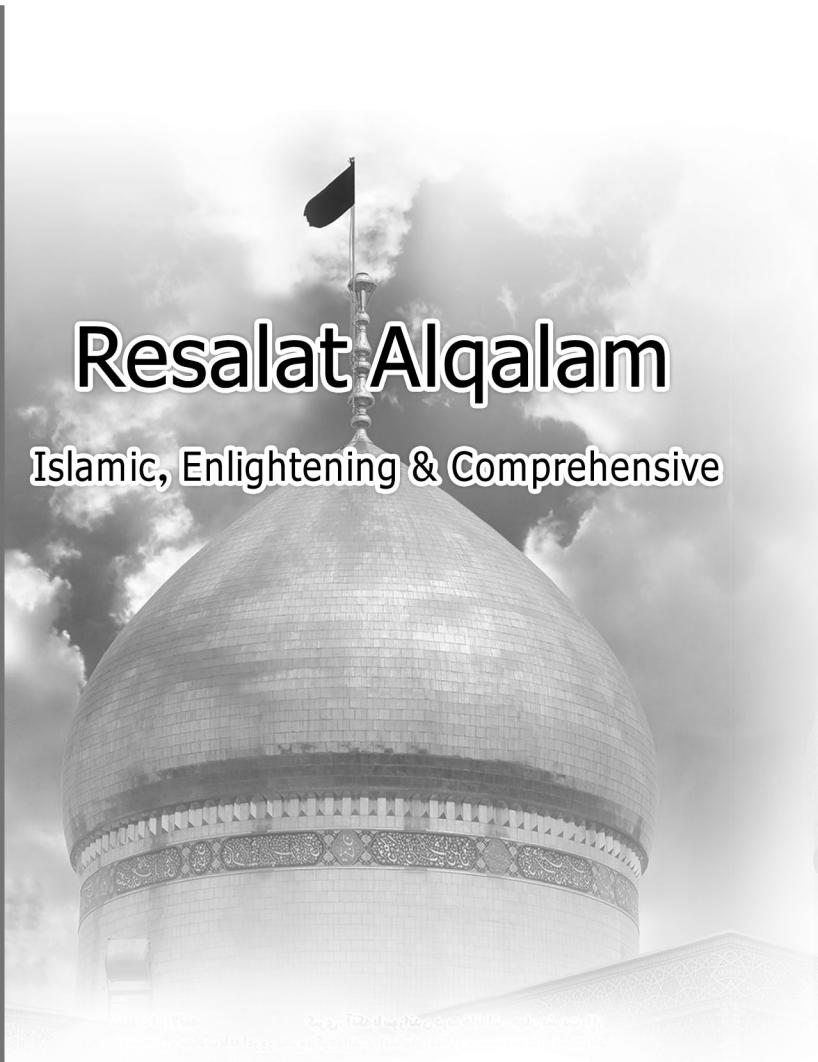
**سماحة آية الله المجاهد السيد أحمد الخاتمي(دام ظله):**

إن الإمام الراحل كان فقيهاً مخلصاً وعارفاً زاهداً وعلمياً ورعاً وسياسياً بارعاً، حيث جعلت هذه الخصال الحميدة منه شخصيه نادرة خلال القرن الأخير، استطاع بقيادته الحكيمه إنقاذ سفينه الثورة الإسلامية من العواصف الرهيبة وإرائه على ساحل الأمان والاستقرار. (خطبة الجمعة ٢٠٠٦-٢).

**وَالْحَمْرَ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**



- General Supervisor & Executive Manager:  
Abdulla Ali Al daqaq
- Editor in Chief:  
Ali Ahmad Alkarbabadi
- Managing Editor:  
Ali Ahmad Aljofairi
- Publishing Committee:  
Fadhel Abdujaleel Al Zaki  
Jaffer Abdulmahdi Shehab  
Saeed Hassan Al Madeh



# Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive

A Periodical Magazine Issued by the  
Bahraini Students  
of the Educational Hawza the  
Holy City of Qom